أقدم النُصوص المَسيحيَّة

*

سِلسِلة النُصوص الليتُورجيّة

2

كيرلّس الأورشليمي

(387 - 314)

العظات

تعريب

الآب جورج نصور

(1976 +)

رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط A. T. I. M. E.

الكسليك 1982

توطئـة

حين أنهى المرحوم الأب جورج نصور تعـريب عظـات القـديس كيرلّس الأورشليمي التي نحن في صدد طبعها، في 24 أيار سنة 1975، لم يكن أحد _ غير الله _ يدري أن نشر هذه العظـات في سلسـلة "أقـدم النصـوص المسـيحية"، سـوف يتمّ في غيـاب المعرّب، فيد المـوت القاسـية اختطفت الأب جـورج في 25 آذار سـنة 1976، بينمـا كـان لا يـزال، باندفاعـه المعهـود وانكبابـه المستمر على التراث الشـرقي، يعـرّب ويحضّـر ليتحـف مكتبتنـا اللاهوتيـة والليتورجيـة العربيـة بـأروع صـفحات آبـاء الكنيسـة. فإكرامـاً ووفـاء منـا لـذاكره، وعربونـاً لعرفاننـا بجميلـه، نعطي القرّاء لمحة مختصرة عن حياة هذا الرجل العالِم، الطّيب الفاضل :

ولد الأب جورج نصور في مدينة حلب (سـوريا)، في 24 شـباط 1918، وتعمدّ في الكنيسة الملكية. وبعد أن تلقن دروسـه الأولى في مدينتـه، انتقـل إلى اكليريكيـة القديسـة حنـة في القـدس حيث درس عند الآباء البيض علم الفلسـفة واللاهـوت. سـيم كاهنـاً في 25 شباط سنة 1945 في حيفا. دخل رهبانية الآباء الـدومينيكان في الأول من شـباط سـنة 1946 وتخصـص في اللاهـوت في السولشوار قرب باريس (1947 ـ 1950). من أبرز نشـاطاته ما قام به في القاهرة (1953 - 1963) خاصة مع الشبيبة

المسيحية، وفي بيروت (1963 - 1976) حيث ساهم في تأسيس مركز الآباء الدومينيكان.

في لبنان، عمل في الحقل الرعاوي والتربوي والليتورجيني، وأسعدنا الحظ أن نلتقيه ونتعاون ضمن إحدى لجان "رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط" ATENE، منذ 1975. نشرنا معاً نصوصاً كثيرة، وكنا على وشك إكمال هذه المشاريع، بيد أن الموت أوقف قلم الأب جورج عن التعريب، وحرمنا من صديق عزيز ساهم في نقل تراث الأجداد إلى اللغة العربية.

قام الأب جورج بتعريب ما يلي في سلسلة : "أقدم النصوص المسيحية" :

1 – الديداكيه.

2 – التقليد الرسولي.

3 – نافور ادي وماري.

4 – خولاجي سيرابيون.

5 – اقليمندوس الروماني.

6 – راعي هرماس.

جميع هذه النصوص نشرت سنة 1975. أما عظات القديس كيرّلس الأورشليمي، فقد هيأها الأب جورج للسلسلة ذاتها.

وكانت عندنا يوم تُوفي. ولقد قمنا شخصياً باعادة قرائتها لتصلح للنشر.

وجهُ الأب جورج الكاهن والرسول سنشتاقه؛ وجه الصديق لكل الكنائس الشرقية أو المعاملة في الشرق الأوسط، ووجه المعرّب الدقيق الذي كشف لنا عن جزء لا يستهان به من تراثنا العريق.

وسوف تتابع سلسلة "أقدم النصوص المسيحية" مسيرتها، باذن الله، خدمة للكنيسة والناشئة.

الكسليك، في آذار 1982،
ذكرى وفاة الأب جورج نصور
في 25 آذار 1976

الأب يوحنا ثابت
رئيس جامعة الروح القدس
الكسليك
لبنان

مقـــــدّمة المعــرّب

وُلـد القـديس كـيرّلس في سـنة 314، أي بعـد عـام من "السـلام القسطنطيني"، في أورشليم أو ضواحيها، من أبوين تقـيين غرسـاً في قلبه الإيمان القويم. فقذى شبابه في العزلة، منكباً على الصلاة والتأمل في الكتب المقدسة. ثم دعـاه القـديس مكسـيموس، أسـقف القـدس، لخدمـة الكنيسـة، ورسـمه كاهنـاً عـام 344 وكلّفـه بتعليم طالبي العماد. وبعد وفاة مكسيموس عام 348، خافه على كرسيّ أورشـليم. "إن ظـروف رُقيّـه إلى السـدّة الأسـقفية يكتنفهـا بعض الغموض، ذلك أنه خلـف اسـقفاً نُفي لسـبب تمسّـكه بإيمـان مجمـع نيقيـة. وكـان من دعمـهَ ورسـمهَ أسـقفاً هـو أكـاكيوس أسـقف قيصــرية، الأريوســي الشــهير، فضــلاً عن أنــه لم يحصــل على كرسيّه الاّ بعد أن وعد بانظمامـه إلى الأريوسـيين"؛ هـذا مـا ورد في تاريخ سقراط وسوزومين. على أن هذا كله غـير صـحيح، إذ أن تيـودوريطس في كتابـه "تـاريخ الكنيسـة" (الكتـاب الخـامس، الفصل التاسع) يذكر الرسـالة الـتي بعث بهـا مجمـع القسـطنطينية الأول عام 381 إلى البابا داماس وإلى أسـاقفة الغـرب، وقـد جـاء فيها : "نحن نقرّ ونعترف منذ زمن بعيد بأن كيرّلس الحبر الجليـل الموقرّ هو الذي انتخب قديماً حسب قوانين الكنيسة أسقفاً على

الكنيسة أمّ كل الكنائس، كنيسة أورشليم، من بين أساقفة اقليمه؛ وإنه هو الذي جاهد الجهاد الحسن ضدّ الأريوسيين في أوقات مختلفة".

ومما لا شك فيه أن كيرّلس تصدّى لهجمات اكاكيوس الأريوسي بدفاعه عن عقيدة مجمع نيقية، كما يتضح ذلك من عظاته التي ألقاها خلال عام 348. وقد واصل هذا النشاط الرسولي حتى سنة 357. ولكن مكايد الأريوسيين لم تلبث أن نالت منه، فأبعد عن إقليمه إذ ذهب أولاً إلى أنطاكية ثم إلى طرسوس. ثم رجع إلى أبرشيته عام 359. ولكن أكاكيوس حرّض أنصاره الأريوسيين على نفيه مدة سنتين. ولما استتبّ الحكم في يد يوليانس الجاحد، أصدر عفواً عن جميع الأساقفة المنفيين. فعاد كيرّلس إلى أورشليم. وخلف فالنُس يوليانسَ، فنفى من جديد الأساقفة، الذين كان نفاهم الأمبراطور كونستانس، فشمل هذا النفي كيرلّس (367 – 378). ولما صارت الإمبراطورية البيزنطية في يد تاودوسيوس، أعلن الإمبراطور عقيدة نيقية وأرجع المنفين إلى كراسيهم. فعاد كيرلّس الى ابرشيته وأخذ يقتلع ما زرعه الأريوسيون في مقاطعته من تعاليم فاسدة. واشترك في مجمع القسطنطينية الذي عقده تاودوسيوس عام 381. وظلّ يعمل ويتعب في حقل الرب حتى وفاته عام 387.

بشرح قانون الإيمان. وأقدم تعليم وصل إلينا هو "الديداكية"، كما رأينا ذلك في المجلّد الأول. إنما اقتصر هذا التعليم على شرائع ووصايا ليتورجية وأدبية. وازدهرت هذه العظات التعليمية في الأماكن التي كان فيها عدد طالبي العماد متوافراً؛ ونخصّ بالذكر منها عظات القديس امبروسيوس "في الأسرار" والقديس أغسطينوس "في الأمور المتعلّقة بطالبي العماد" والعظات الثمانية للقديس يوحنا الذهبي الفم من العماد، والعظات التعليمية الستة عشر لتاودورس أسقف مصيصة. على أن أشهر هذه العظات وأقدمها وأكملها كانت عظات القديس كيرلّس (348).

إننا لن ندخل في الجدل القائم منذ زمن بعيد بين العلماء لمعرفة ما إذا كان القديس كيرلّس هو الذي وضع جميع العظات المنسوبة إليه، بما فيها العظات الخمس الأخيرة "في الأسرار". إن الأب أوغست بييدانييل الذي ترجم مؤخراً هذه العظات في مجموعة "الينابيع المسيحية"، رقم 126، ينسبها إلى القديس كيرلّس.

تقسم هذه العظات إلى عظة مقدّمة، وثماني عشرة عظة لطالبي العماد (1 – 18) وخمس عظات في الأسرار (19 – 23) للمعمدين الجدد. تشرح المقدّمة أهمية سرّ العماد وضرورة الاستعداد له. وبين الثماني عشرة عظة، كانت الخمس الأول مصاغة في قالب عام، وإن كانت هي بمثابة تمهيد لسرّ العماد :

1 – استعداد المستنير؛ 2 – التوبة؛ 3 – العماد؛

4 – العقائد العشر؛ 5 – الإيمان. ابتداءً من العظة السادسة

وحتى الثامنة عشرة يشرح القديس كيرلّس قانون الإيمان بنداً بنداً.

تـأتي العظـات في الأسـرار : العظـة 19 – في جحـــد الشـيطان والاتحاد بالمسيح؛ 20 – في سرّ العمـاد؛ 21 – في سـرّ التثـبيت؛ 22 – في سرّ جسد المسيح ودمه؛ 23 – في ذبيحة القداس.

بيروت في 24 أيار 1975.

الأب جورج نصور

فهــرس

صفحة

صفحة

صفحة

مقــدمة عِظات أبينا القديس كيرلّس

رئيس أســاقفة أورشليم

1 – الاستعداد للعماد

ها هي رائحة السـعادة تغمـركم، يـا من يتقبلـون النـور. وهـا أنتم تقطفون الأزهار الروحية، لتضـفروا منهـا أكاليـل سـماوية. شـذا الروح القدس يهـزّكم (نشـيد 2 /ـ 12)، وأنتم على أعتـاب الـديار الملكية، فيا ليتكم تمثلون أمام الملك ! لقد ازدهرت الآن الأشـجار، فيا ليت الثمر يكـون كـاملاً ! إن أسـماءكم أصـبحت مسـجّلة الآن، بعــد أن تطــوّعتم في جيش المســيح، حــاملين مصــابيح مــوكب العُرس، يلهبكم الشـوق إلى المدينـة العلويـة، ويحـفّ بكم الرجـاء. لقد صدق من قـال : "كـل شـيء يـؤول لخـير الـذين يحبّـون الله". فالله سـخيّ في هباتــه، ولكنــه ينتظـر الإسـتعداد الصـادق. لـذلك يضـيف الرسـول : "..لخـير المـدّعوين بحسـب القصـد" (رومـة 8/28). فإن كان قصدك صالحاً فهو يجعل منك مختاراً. وعليه، إذا كنت بالجسم هنا وبالروح في مكان آخـر، فـإن هـذا القصـد لن يفيدك شيئاً.

2 – لا يجوز تجربة نعمة العماد

في ما مضى جاء سيمون الساحر إلى العماد (أعمال 8/13)، وغطس في الماء، ولكنّه لم يتلّق النور. غسل جسدَه في الماء، ولكنه لم يُنير قلبَهُ في الروح. نزل الجسد في الجرن وصعد منه، ولكن النفس لم تُدفن مع المسيح، ولم تنهض كذلك معه (رومة 6/4؛ كولسي 2/12). وإن كنتُ أسوق مَثَل الذين سقطوا، فلكي لا تسقطوا أنتم. فإن هذه الأشياء، قد حدثت لهم على سبيل الرمز، وكُتبت لتعليم الذين يأتون بعدهم حتى هذا اليوم (1 كور 10/11). انتبهوا لئلا يتأخر أحد بينكم عن نعمة الله، "ولئلا ينبت أصلُ مرارة فيكون مضرًّا ويتدّنس به الكثيرون" (عبر 12/15؛ تثنية 29/17) ليته لا يدخل أحد ويقول : لأنظرنّ ما يفعل المؤمنون، لأدخلنّ وأرى حتى أعرف ماذا يحدث! هل تأمل أن ترى دون أن تُرى؟ وهل تظن أنك تستطيع أن تفحص ما يحدث دون ان يفحص الله قلبك؟.

3 – الرجل الذي جاء إلى الوليمة وليس عليه حلّة العُرس

تعلّم الأناجيل. إن رجلاً أراد يوماً أن يرى وليمة عُرس؛ فدخل مرتدياً ثوباً غير لائق، وجلس وأخذ يأكل؛ لأن الحاجب لم يعترضه. وكان قد لاحظ، وهو داخل، ان المدعوّين كانوا يرتدون ملابس بيضاء، وأن الواجب كان يحتم عليه وهو أيضاً أن يلبس ثوباً أبيض. ولكنّه اشترك مع المدعوين في الطعام، دون الاهتمام إلى أيّ حدّ كان يختلف عنهم بثيابه وباستعداداته

الباطنيــة. على أن العــريس، وإن كــان ســخيًّا، لم يكن عــديم البصـيرة، إذ بينمـا كـان يقـترب من كـل واحـد من الضـيوف، لا ليرى ما يأكل – لأنه لم يكن يهتمّ لذلك – بل ليرى رداءه، فأبصـر هناك متطفلاً ليس؛ عليه حُلّــة العُـرس؛ فقـال لـه : "يـا صـاحب، كيف دخلت إلى هنا؟" (متى 22/12) بأية حُلّــة وبأيّ ضمير؟ إن كان البّواب لم يمنعك من الدخول بسبب صاحب الوليمــة، فليكن! وإن كنت تجهل أيّة حُلّة كان يجب عليـك أن تلبس للعُـرس، فليكن كذلك! ولكن عندما دخلت، ألم تـرَ ملابس الضـيوف المتألقـة، ألم يكن ذلك كافياً لك حتى تتمثّـل بهم؟ ألم يكن من الـواجب أن يكـون مظهرك لائقاً لكي تخرج بلياقة؟ ولكن بمـا أنـك دخلت بغـير لياقـة فستُطرد بغير لياقـة". وأصـدر إلى خَدَمـه هـذا الأمـر : "أوثقـوا قدميه اللتين قادتاه إلى هنا بوقاحة، واربطوا يديـه اللـتين لم تعرفـا تلبسانه الثوب اللامع، وأطرحوه في الظلمة الخارجيـة، لأنـه غـير جدير بمصابيح العُـرس" (مـتى 22/13؛- 25/1). أنت تـرى مـا حدث لهذا الرجل، فكن إذن على حذر لنفسك.

4 – يجب أن نستفيد من زمن الصيام لفحص استعداداتنا

لأننـا نحن خدّام المسيح، نستقبل كـل واحـد، وكبـوّابين نفتح البـاب على مصــراعيه. من المحتمــل أن تــودّ الــدخول بنفس ملوثــة بالخطايا وبقصد ســيء؛ أنت تـدخل وتُقبـل، ويُسـجَل إسـمك. هـل ترى قداسة الكنيسة وهيبتها؟ هل ترى هذا الترتيب وهذا النظام :

تلاوة الكتب المقدّسة، وحضور الإكليروس، والمطابقة في التعليم!

لقد بهرك المكان وتعلّمت مما رأيت، فاخرج الآن وعُد غداً وأنتَ أكثر لياقة. ان كنت تهتم بنفسك فألبس ثوباً آخر وعُد. إخلع رداءك ولا تستره؛ إخلع الفجور والنجاسة، وألبس ثوب العفة المألق. إني أُنذرك قبل أن يدخل عريس النفوس، يسوع، ويرى ثيابك. إن يوم الإستحقاق لا يزال بعيداً، أمامك أربعون يوماً للتوبة؛ لديك المتسع الكافي من الوقت، لكي تخلع (ثوبك) وتغسله وتلبس وتعود. ولكن اذا فضّلت البقاء في الشر، فالواعظ ليس مسؤولاً؛ وعليك ألاَّ تنتظر طويلاً لتقبُّل النعمة. الماء يقبلك، ولكنّ الروح لن يقبلك. فإذا لاحظ أحد أنه جريح، فليضمدّ جراحه؛ وإذا سقط أحد فلينهض. ليته لا يكون بينكم سيمون، ولا رياء ولا فُضول وخيم.

5 ـ ربما القصد الأولي للعماد لم يكن صافياً في البداية

من المحتمل أن تكون قد جئت بدافع حُجّة غريبة، كما أنه من المحتمل أن يأتي رجل للتودّد إلى إمرأة، وأن تأتي إمرأة للغرض نفسه، أو أن يودّ خادم أن يحظى بإعجاب سيّده، وصديق أن يقترب إلى صديقه. إني أعضّ على طُعم الصّنارة، وأقبلُك على الرغم من قصدك السيء، أملاً مني في إنقاذك، لعلّك لم تَرَ إلى أين أنت قادم، ولا أيّة شبكة التقطتك. لقد وقعت في شباك الكنيسة، وأُخذت حيًّا، فلا تهرب. إصطادك يسوع بالصّنارة (متى 13/47)، لا ليُسلمك إلى الموت، بل ليُميتك ثم يعود فيُحييك.

يجب عليك أن تموت أولاً ثم أن تنهض. لأنك سمعت ما قاله الرسول : "لقد حمل هو نفسه خطايانا في جسده على خشب الصليب، "لكي نموت عن خطايانا فنحيا للبرّ" (1 بطرس 2/24؛ أشعيا 53/12؛ رومة 6/11، 18). عِش ابتداءً من هذا اليوم.

6 – عندما يصبح "طالب العماد" "مؤمناً"، فإنه يحصل على إسم إلهيّ

تأمّل في عظمة المنزلة التي أنزلك فيها يسوع ! كنتَ تُدعى "طالب عماد"؛ كنت لا تسمع من الخارج إلا صدى ما يقال؛ كنت تسمع عن الرجاء دون أن تدرك معناه؛ كنت تسمع عن الأسرار دون أن تفهمها. كنت تسمع الكتب المقدّسة دون أن يمكنك أن تسبر عمقها. أنت لم تعد تسمع صوتها من الخارج، لأن هذا الصوت يدوي فيك؛ لأنّ الروح الساكن فيك (رومه 8/9 – 11) يجعل من ذهنك بيتاً لله. فعندما تقرأ في الكتب المقدسة عن الأسرار، سوف تفهم ما لم تفهمه عنها حتى الآن. ولا تظن أنك تتلقّى بذلك هدّية بسيطة : فأنت الإنسان الحقير، تتلقّى إسم الله. اسمع ما يقول القديس بولس : "الله أمين" (1 كور 1/9؛ فيلبي 3/10)؛ ويقول سفر آخر : "الله أمين وعادل" (1 يو 1/9؛ تثنية 32/4). وقد سبق لصاحب المزامير أن قال مقدَّما باسم الله (بما أنه كان محتمَّاً أن يتلقّى البشر تسمية إلهية) : "قلت أنكم آلهة وبنو العليّ كلكم" (مز 81/6). ولكن أحذر، وأنت تسمّى أميناً، من أن

تكون لك إرادة غير مؤمن. لقد دخلتَ حلبة السباق، فجاهد لأنك قد لا تجد فرصة أخرى كهذه. لو كنت أنت تعدّ العدّة لزفافك، أما كنت تتخلّى عن كل شيء للإهتمام بإعداد الوليمة؟ فكم بالحري وأنت تكرّس نفسك للعريس السماوي ! ألا يجدر بك أن تطرح كل اهتمام دنيوي للإنصراف إلى ما هو روحيّ؟

7 – لا يعمدَ الإنسان إلاّ مرة واحدة

لا يمكن تقبّل غسل الميلاد الثاني مرّتين أو ثلاثة، وإلاّ لجاز لنا أن نقول : ما أسأتُ تقبّله مّرة، سأُجيد تقبّله المرّة الثانية. ان ما تفقده مرّة لا يمكن استعادته؛ لأن "الربّ واحد، والإيمان واحد، والمعمودية واحدة" (أفسس 4/5؛ 1 كور 12/4 – 6) والهراطقة وحدهم يعمدَّون ثانية، لأن عمادهم الأول لا يُحسب.

8 – القصد الصالح ضروري، فيجب الكفّ عن عمل الشّر

لا يطلب الله منا سوى القصد الصالح. لا تقل : كيف تمحى خطاياي؟ أنا أقول لك : بالإرادة والإيمان. أيّ طريق أقصر من هذا؟ ولكن إذا كانت شفتاك تقولان : "أريد"، وقلبك يمتنع عن هذا القول، فإن الذي يفحص القلوب هو الذي يدينك. فكُفّ من اليوم عن كل عمل شرير، ولا ينطق لسانك بكلمات لاذعة، ولا تخطئ عينك ولا يتعلّق ذهنك بالباطل.

9 – دور "المعزّمين" في استئصال الشرّ

لتسرع قدماك إلى التعاليم المستمدّة من الكتب المقدّسة، سواء تلك التي تسمعها أو تتلوها؛ فهذا عمل يؤول إلى خلاصك. فكرّ أن لدينا ذهباً خاماً مخلوطاً بمواد أخرى، مثل النحاس والقصدير والحديد والرصاص (حز 22/18)، ونحن نحاول أن نحصل على ذهب نقيّ. وهذا لا يمكن أن يتمّ إلاَّ بواسطة النار. هكذا لا يمكن للنفس أن تتنقّى إلاّ بواسطة التعاليم. يُستر وجهُك لكي يتحرّر قلبك، خوفاً من أن تزوغ عينُك فلا ينضبط قلبك. العينان المعصّبتان لا تعوقان أذنيك عن تقبّل تعاليم الخلاص. وكما أنّ الذين ينقّون الذهب، مضطرّون إلى تذكية النار بأدوات دقيقة، بحيث لا يبقى في البوتقة غير الذهب الصافي؛ كذلك يُثير المكلّفون "بالتقسيمات" الرعب بواسطة روح الرب، ويوقظون النفس المتجمدة في الجسد كما لو كانت في بوتقة؛ فيهرب الخصم – الشيطان – ويبقى الخلاص ورجاء الحياة الأبدية، وأخيراً تحصل النفس على الخلاص بعد أن تكون قد تنقّت من خطاياهم. فلنبقَ في هذا الرجاء، يا إخوتي، حتى إنّ إله الكون الذي يرى قصدنا الصالح، يطهرّنا من خطايانا ويهبنا رجاء الخيرات الحقّة، ويمنحنا توبة خلاصية. الله يختار، وقد وقع اختياره عليك.

10 – المثابرة على التعليم سلاح ضدّ الهرطقات

ثابر على التعاليم. وحتى إذا قضينا وقتاً طويلاً في الكلام، فلا

تدعّ ذهنك أو يملّ؛ لأنك تتسلّم أسلحة ضدّ القوات المعادية. أنك تتسلم أسلحة ضد الهراطقة واليهود والسامريين والوثنيين. إن لك أعداء كثيرين، فتسلّم سهاماً كثيرة توشقهم بها.

وتعلّم كيف تنازل اليونانيين والهراطقة واليهود والسامريين. ان الأسلحة معدّة و "سيف الروح" (أفسس 6/17) هو أسرعها.

فعلينا أن نقاتل بقصد صالح لكي نحارب حرب الرب، فنقهر القوات المعادية ولا تقهرنا هجمات الهراطقة.

11 – ضرورة المجهود الفكري لفهم التعليم

ها هي نصيحتي لك : تلقّن تعاليمي وأحفظها حتى النهاية. لا تظن أنها عظات عادية؛ مِثل هذه العظات صالحة كذلك وجديرة بالإيمان؛ ولكننا إذا نحن أهملناها اليوم، ففي استطاعتنا أن نتعلّمها غداً. أمّا العظات التي تتناول غسل الميلاد الثاني، فهي تُلقى في حلقات متسلسلة؛ فإذا نحن أهملناها اليوم، فمتى يمكننا تعويض هذا الإهمال؟ فكرّ في أنّ الوقت الآن وقت غرس الأشجار، وإذا نحن لم نحفر بعمق، فمتى يمكننا أن نحسن زرع ما أسأنا زرعه؟ إعتبر التعليم كالبناء؛ إذا نحن لم نحفر ولم نلقِ الأسس، ولم نحكم ربط أجزاء المبنى كما يجب، فإنّ بنياننا قد لا يخلو من ضعف وقد يهدّد بالإنهيار؛ وحتى عملنا السابق قد لا ينفع شيئاً. ولكن يجب أن نضع الحجر فوق الحجر بكل إنتظام، وأن نصل بين زاوية وأخرى بإزالة الزائد، وهكذا يرتفع البناء ويصبح جميلاً. أنا أعطيك أحجار المعرفة، وعليك أنتَ ان تسمع ما يخصَ الله الحيَ والدينونة والمسيح والقيامة، وحقائق أخرى كثيرة سوف

تُشرح بإسهاب وانتظام في حينه، ولكنّي الآن أناولها لك، الواحدة تلو الأخرى. فإذا أنت لم تجمعها في وحدة واحدة، ولم ترتّبها كما يفعل المهندس، فإنّ بناءك سيؤول حتماً إلى السقوط.

12 – كتمان هذه التعاليم على غير المؤمنين

اذا سألك موعوظ من الخارج (أي الذي لم يُقبل بعد كطالب عماد) عمّا يقوله المعلّمون، فلا تقل شيئاً، لأننا نسلّمك سرًّا ورجاء في الحياة الأبدية. إحفظ السرّ لمن يدفع لك الأجر العادل. لا يقل أحد : ماذا يصيبك لو عرفته أنا أيضاً؟ فإنه كالمريض الذي يطلب خمراً : فهو اذ يأخذها في وقت غير مناسب يحدث له الهذيان. مما قد ينتج عنه شرّان : المريض يموت والطبيب يُلام ! وهكذا الحال مع الموعظ، فهو اذا سمع (الأسرار) من مؤمن، يصاب بالهذيان (لأنه لا يفهم ما يسمعه ويتهكّم عليه)، ويُدان المؤمن كخائن.

أنت الآن على عتبة الباب، فاحذر من أن تقول شيئاً، لا لأن ما يقال لا يستحقّ أن يقال، بل لأن الأذن غير جديرة بسماعه. أنت كذلك كنت يوماً ما موعوظاً ولم أخبرك بأسرارنا. ولكنك عندما تختبر عظمة ما تعلّمته، عندئذٍ ستدرك أن الموعوظين لا يستحقّون سماعه.

13 – الابتعاد عن كل همّ آخر

لقد أصبحتم أبناء وبنات أمّ واحدة، أنتم الذين سُجلت أسماؤهم. اذا وصلتم قبل وقت "التقسيمات"، فليتكلّم كل واحد منكم عمّا يخصّ

التقـوى. واذا تغيّب أحـدكم فـابحثوا عنــه. فـإن كنت دُعيت إلى وليمة، أما كنت تنتظر الذي دُعي معك؟ وإن كان لك أخ، أما كنت تبحث عن خير أخيك؟ لا تتهمكوا في الأمور الباطلـة، ولا تهتمـوا بما يحدث في المدينة لأو في الريف أو بما يفعله الملك أو الأسقف أو الكاهن. إرفعوا أعينكم إلى فوق، وأطلبوا ما تحتاجون إليـه في هذه الساعة. "كفوا فاعلموا أني أنا الله" (مز 45/11). إن رأيتم المؤمنين يخدمون وهم مطمئنون، فاعلموا أنهم في ملكيـة النعمـة. أمـا أنت فـإلى الآن على كفّـة مـيزان، لا تعلم إن كنت سـتُقبل أو تُرفض. فلا تقلّد الذين هم في طمأنينة، بل أطلب المخافة.

14 – حفظ النظام وقت التقسيمات

عنـدما يـأتي وقت "التقسـيمات"، وإلى أن يجيء الـذين يجب أن يُطـرد منهم الشيطان، فليجلس الرجـال مـع الرجـال والنسـاء مـع النساء. والآن سأحدثكم عن سفينة نوح، على سـبيل المثـل. كـان فيها نوح وبنوه وزوجته ونساء بنيه (تـك 7/3). ومـع أن السـفينة كانت واحدة والباب كان مغلقاً، كـان كـل شـيء فيهـا مرَّتبا ترتيبـاً حسناً. وإن تكن الكنيسة مغلقة وأنتم فيهـا جميعـاً، فليكن فيهـا كـل شيء مرَّتبا : الرجال مع الرجال والنسـاء مـع النسـاء، لئلا يكـون أساس الخلاص فرصـة للهلاك. لأنــه إذا كـان من المستحسـن أن تجلسوا بعضكم إلى جـوار بعض، فلا بـدّ من إبعـاد الشـهوات. ثمّ ليكن مع الرجال الجالسين كتاب مفيد : يقرأ واحد ويستمع الآخر.

وإن لم يكن معهم كتاب، فليصلّ الواحد وليقل الآخر كلاماً نافعاً. ولتجلس الفتيات معاً، وليصلّين أو يقرأن بصمت، بحيث تتحرّك الشفاه دون أن يبلغ الصوت مسامع الآخرين. "إني لا أبيح للمرأة أن تتكلّم في الكنيسة" (1 تيمو 2/12؛ 1 كور 14/34). ولتتبع النساء المتزوجات نفس المثال : ليصلّين ولتتحرّك شفاههن دون أن تسمع أصواتهن (1 ملوك 1/13)، حتى يأتي "صموئيل"، أي حتى تلد نفوسُهُنَّ العواقر خلاصَ الله الذي يسمع الصلاة؛ لأنه هذا هو معنى صموئيل (1 ملوك 1/20).

15 – السهر للحصول على الاستنارة الإلهية

سأرى غيرة كل رجل وتقوى كل إمرأة. ليلتهب الذهن بالتقوى، ولتُصهِرَ النفس وتتحطّم القسوة والخيانة. ولتسقط الشوائب وليبقَ المعدن خالصاً. ليزُل زَغَبُ الحديد ويبقَ ما هو حقيقي. لعلّ الله يريكم الليلة الظلامَ الذي يتلألأ كالنهار. إذ قيل عنه : "الديك لا تظلم الظلمة، والليل يضيء كالنهار" (مز 138/12). عندئٍ ينفتح باب الفردوس لكل واحد وكل واحدة منكم، وعندئذٍ تبتهجون بمياه المسيح ذات الرائحة الزكية، وتُدعون "مسحاء"، وتتقبّلون قوّة الأعمال الإلهية. أُنظُروا إلى فوق بأعينِ أذهانكم، وتمثّلوا الأجواق الملائكية والله سيّد الكون، والابنَ الوحيد جالساً إلى يمينه بحضور الروح القدس. العروش والسيادات في الخدمة، وهي تحاول أن تنقذ كل واحد وكل واحدة منكم. لتُنصت آذانكم، وارغبوا في سماع هذا الصوت الجميل، عندما يقول الملائكة

عنكم أنتم الذين خلصوا : "طوبى لمن غُفرت معصيته وسترت خطيئته" (مز 32/1 ؛ رومة 4/7). عندئذٍ ككواكب الكنيسة، ادخلوا بجسد متألق ونفس متلألئة.

16 – عظمة العماد تتطلب السهر والصلاة

عظيم هو العماد الموعود : إنه عتقُ الأسرى وغفران الخطايا وموت الخطيئة والميلاد الثاني للنفس، وثوب النور وطابع مقدّس لا يُمحى ومركبة للسماوات، وبهجة الفردوس وعربون الملكوت وعطية التبني. ولكن يوجد في الطريق تنّين يترّقب المارّة. فاحذر من أن يلدغك بسبب عدم إيمانك. "إنه يجول الذين يخلصون ملتمساً من يبتلعه" (1 بطرس 5/8)؛ وللوصول إلى أب الأرواح (عبر 12/9)، لا بدّ لكم أن تهربوا من هذا التنّين. وما السبيل إلى النجاة منه؟ بانتعالكم بالغيرة على نشر إنجيل السلام (أفسس 6/15)، بحيث أنه إذا لدغكم فلا يجرحكم. ليكن إيمانكم راسخاً ورجاؤكم ثابتاً لا يتزعزع؛ وشدّوا أنعالكم ليمكنكم الفرار من العدو والمثول في حضرة الرب. هيئوا قلوبكم لتقبّل التعاليم والمشاركة في الأسرار المقدسة. ثابروا على الصلاة لكيما يجعلكم الله مستحقين للأسرار السماوية الخالدة. لا تنقطعوا عنها ليلاً ونهاراً.

وعندما يبتعد النوم عن أعينكم، فلينصرف ذهنكم إلى الصلاة.

وإذا طرأت على خاطركم فكرة شيئة، اذكروا الدينونة فتخلصوا.

إنصرفوا إلى الدراسة حتى يتحوّل ذهنكم عن أباطيل الملذّات. وإن قال لكم أحد : "هل أنت آت للنزول في الماء؟ أليس هناك

أحـواض سـباحة في المدينـة؟"، فـاعرف أنّ تّـنين البحـر (أشـعيا 27/1) هو الذي ينصب لك هذه الشـراك. ولا تأخـذ بـأقوال الـذي كلّمـك، ولكن فكّـر في الله الـذي يمنح القـوّة. وصـن نفسـك حـتى النهايـة، بحيث أنـك إذا بقيت في الرجـاء، تصـبح وارثـاً للخلاص الأبدي.

17 – عسى الله أن يغرسكم في كنيسته

نحن كرجـال، نبشـركم ونعلّمكم. لا تبنـوا بخشـب، أو حشـيش أو تبن، لأنـه إذا اشـتعلت النـار فسـوف يحـترق عملكم. ولكن ابنـوا بذهب أو فضّة أو حجارة كريمة (1 كور 3/12 ـ 15). مهمّتي أن أتكلم، وعليكم أنتم أن تبدأوا العمل، والله يكمّله. فلنوطد أذهاننا وننهض نفوسنا ولنهنّئ قلوبنا. اننا نجاهد في الحيـاة أملاً في نيـل الخيرات الأبديـة. والله الـذي يعـرف القلـوب ويميّـز الصـادق من المـرائي، قـادر أن يحفـظ مَن هـو صـادق النيّـة، ويخب إيمانـاً للمرائي، ويجعل من غير المؤمن مؤمناً متى سلّم قلبه لـه. ليُـوفِ اللهُ الصكَّ الذي عليكم (كولوسي 2/14) ويهبكم غفـران خطايـاكم السابقة، ويغرسكم بخيرات العهـد الجديـد السـماوية، ويعطكم ختم الروح القدس الـذي لا يُمحى إلى الأبـد، في المسـيح يسـوع ربنـا، الذي له المجد أبد الدهور. آمين.

العظات الثماني عشرة :

لطالبي العماد

العظة الأولى

استعدادات المتقدّم للاستنارة

"اغتسلوا وتطهّروا وأزيلوا شرّ أعمالكم من أمام عينيّ ..."

(اشعيا 1/16)

1 – الدعوة إلى الفرح

يا تلاميذ العهد الجديد، يا من يشتركون في أسرار المسيح، الآن بالدعوة، وعمّا قليل بالنعمة، إصنعوا لكم قلباً جديداً وروحاً جديداً (حز 18/31)، حتى تعمّ السعادة السماوات. لأنه إذا كان هناك فرح من أجل خاطئ واحد يتوب، على حدّ قول الإنجيل (لو 15/7)، فكم بالحري يسعد سكّان السماء بخلاص مثل هذا القدر من النفوس ! وبما أنكم اندفعتم في الطريق الصالح الحق، فاشتركوا بورع في سباق التقوى. فالواقع أن ابن الله الوحيد يتوق إلى افتدائكم، إذ هو يقول : "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والمثقّلين، وأنا أريحكم" (متى 11/28). يا من يلبسون ثوب المعاصي المزري، ويا من تغلّهم سلاسل خطاياهم الشخصية، إسمعوا صوت النبيّ القائل : "اغتسلوا وتطهّروا وأزيلوا شرّ أعمالكم من أمام عينيّ" (اشعيا 1/16)، حتى تصرخ لكم الأجواق

الملائكية : "طوبى لمن غُفرت معصيته وسُترت خطيئته" (مز 31/1). أنتم يا من أُشعلوا حديثاً مصابيحَ الإيمان لا تدعوها تنطفئ بين أيديكم حتى يهبكم – ذاك الذي فتح قديماً باب الفردوس للص بسبب إيمانه (لو 23/43) على جبل الجلجلة – ان ترتّلوا نشيد العُرس.

2 – إخلعوا الإنسان العتيق

إن كان هناك بينكم عبد للخطيئة، فليستعدّ بالإيمان للميلاد الثاني الحرَ في التبنّي؛ وهو بعد تحرّره من أسوأ العبودات، وهي عبودية الخطيئة، وحصوله على عبودية الرب الطوباوية، يصبح أهلاً لميراث ملكوت السماوات. "فاخلعوا إذن الإنسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور، والبسوا الإنسان الجديد الذي يتجدّد للمعرفة على صورة خالقه" (أفسس 4/22 – 24؛ كولسي 3/10). اقتنوا عربون الروح (2 كور 5/5) بالإيمان، حتى يقبلوكم في المظالّ الأبدية (لو 16/9). اقتربوا بإيمان من الختم السرّي حتى يعرفكم الرب، وتُحصّوا بين قطيع المسيح المقدس الروحاني، وتجلسوا عن يمينه وترثوا الحياة المعدّة لكم. أمّا هؤلاء الذين لا يزالون متمسّكين بخطاياهم، فسوف يكونون عن يساره (متى 25/33)، لأنهم لم يقتربوا من نعمة الله التي يمنحها المسيح في غسل الميلاد الثاني. إني لا أتكلّم عن الميلاد الثاني للأجساد، بل عن الميلاد الثاني الروحي للنفس (راجع يوحنا 3). إن الأجساد يلدها والدانا المنظوران، ولكن الأرواح تولد ميلاداً ثانياً بالإيمان.

"لأن الروح يهبّ حيث يشاء" (يو 3/8) وعندئذٍ تسمعه ان كنت تستحقّه، "أيها العبد الصالح الأمين" (متى 25/21)، متى وُجدت بلا لوم الضمير.

3 – يمنح المسيح نعمته لمن يستحقّها

اذا كان أحد بين الحاضرين يأمل أن يجرّب النعمة، فهو يخدع نفسه لأنه يجهل قوّتها. لتكن نفسك صادقة، أيها الإنسان، من أجل الذي يفحص القلوب والكلى (مز 7/10). وكما أن الذين ينوون القيام بحملة عسكرية، يفحصون أعمار الجنود ولياقتهم البدنية؛ كذلك الرب الذي يجنّد الأرواح، يختبر الإرادات. فإذا تصرّف أحد برياء خفيّ، فهو يُرفض على أساس أنه غير صالح فعلاً لخدمته. أما الذي رأى بالعكس أنه جدير بالاستحقاق، فهو يمنحه في الحال نعمته "لأنه لا يعطي الأقداس للكلاب" (متى 7/6). ولكن من رأى فيه إرادة حسنة، فإنه يعطيه العلامة الخلاصية العجيبة التي يرتعد منها الشياطين ويعرفها الملائكة؛ فيهرب منه الأولون ويلتّف حوله الآخرون. ولذلك يليق بالذين يتقّبلون هذا الختم الروحي المخلّص أن يكون ضميرهم لائقاً به. وكما أنّ القلم والسهم ضروريان للذي يستخدمهما، كذلك النعمة ضرورية للمؤمنين.

4 – هذه النعمة تحوّل الموعوظ الى "مؤمن"

أنت لا تتقبّل درعاً فاسداً بل درعاً روحياً. أنت الآن في حديقة

روحية (رؤيا 2/7)، وتتلقّى اسماً جديداً لم يكن لك من قبل (رؤيا 2/17). أنت كنت تُدعى موعوظاً، والآن "مؤمناً". أنت الآن في بستان زيتون روحي، أُخذت من زيتونة برّية وطعّمت في زيتونة روحية (رومة 11/24)، ومن خاطئ أصبحت بارًّا، ومن الأدناس انتقلت إلى الطهارة. أنت الآن شريك في الكرمة المقدّسة (يو 15/1، 4، 5)، وإن ثبتّ في الكرمة تنمو كغصن مثمر؛ ولكن ان لم تثبت فيها فستلقى في النار. فلنأت إذن بثمار لائقة.

وليت لا يحلّ بنا بسبب عقمنا ما حلّ بشجرة التين التي لعنها المسيح عند مروره بها (متى 21/19)، وليت يُطبّق علينا هذا القول : "أما أنا فكالزيتونة الغضّة في بيت الله مدى الدهر وإلى الأبد" (مز 51/10)، لا زيتونة مادية بل روحية تشعّ نوراً. على الله أن يزرع ويسقي (1 كور 3/6)، وعليك أنت أن تأتي بثمار. على الله أن يمنح النعمة، وعليك أنت أن تتقبّلها وتحتفظ بها. لا تحتقر النعمة لأنها مجّانية، ولكن تقبّلها وحافظ عليها بتدّين.

5 – تفرّغ لخلاص نفسك وطهّر قلبك

الآن وقت الاعتراف، فاعترف بما اقترفته بالقول والفعل ليلاً ونهاراً. إعترف في الوقت الملائم (2 كور 6/2)، وفي يوم الخلاص تقبّل الكنز. اذكر الأشياء التي قيلت، لأننا نقولها، ليس فقط لكي تسمعها، بل لكي تحفظها بالإيمان. اطرح عنك كل اهتمام دنيوي، وجاهد في سبيل خلاص نفسك (أمثال 7/23). اترك الأمر الدنيوية لأنها باطلة. أمّا العطايا التي يمنحها الرب

فهي عظيمة. دع الخيرات الحاضرة واسعَ الى الخيرات المقبلة. لقد قضيت السنين الطوال في العمل بدون جدوى لأجل العالم، ولا تتفرغ أربعين يوماً لأجل خلاص نفسك؟ "كفوا واعلموا أني أنا الله" يقول الكتاب (مز 45/11). إمتنع عن الكلام غير المفيد، ولا تنمّ على أحد ولا تُمل أذنك إلى النمّامين؛ بل اجتهد أن تكون دائماً حاضراً للصلاة، وأظهر بزهدك قوّة قلبك. "نقّ كأسك" (متى 23/26) لكي تتقبّل فيضاً أكثر من النعم. إن مغفرة الخطايا تُمنح للجميع بالتساوي. ولكنّ الشركة في الروح القدس توهب حسب إيمان كل واحد (رومة 12/6). فإن كنت تعمل قليلاً تنال قليلاً، وإن كثيراً تنال أجراً عظيماً (متى 5/12). أنت تركض في سبيل خيرك، فاهتّم بمصلحتك.

6 – كن سميحاً وثابر على التعليم

إن كان لك شيء على أحد فاصفح عنه، وتعالَ لتنال مغفرة خطاياك. من الضروري أن تغفر للذي أخطأ إليك، وإلاّ بأي وجه تقول للرب : "إغفر خطاياي الكثيرة بينما أنت لا تغفر لأخيك زلاّته الصغيرة؟" (متى 18/23 – 25). واظب على اجتماعات الكنيسة بنشاط، ليس فقط في هذا الوقت الذي يطالبك فيه الكهنة باظهار غيرتك، بل بعد أن تنال النعمة. إن كنت قبل أن تنالها وجدتَ فائدة في المجيء، أليس من الأجدى لك أن تأتي أيضاً بعد نوالها؟ وإن كان من المفيد قبل زرعك أن تُسقى ويُعتنى بك، فكم بالحري بعد زرعك؟ جاهد الجهاد الحسن (2 تيمو 4/7) في سبيل

نفسك ولاسيما في هذه الأيام، وغذّها بالقراءات المقدّسة، لأن الرب أعدّ لك مائدة روحية. وقل في نفسك مع صاحب المزامير : "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء؛ في مراع خصبة يُقبلني، ومياه الرحمة يوردني. يردّ نفسي ويهديني إلى سبيل البرّ من أجل اسمه" (مز 22/1 – 3). تصرّف بحيث الملائكة ذاتها تفرح معك، ويتسنّى للمسيح الكاهن الأعظم وهو يتقّبل قصدك الصالح ويقدّمك الى الآب أن يقول : "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله"

(اشعيا 8/18؛ عبر 2/13)، لكي يحفظك برأفته، هذا الذي له المجد والقدرة أبد الدهور. آمين.

العظة الثانية

في التوبة ومغفرة الخطايا

برّ البار عليه يعود، ونفاق المنافق عليه يعود، والمنافق اذا تاب عن خطاياه التي صنعها وحفظ جميع رسومي واجرى الحكم والعدل، فإنه يحيا".

(حزقيال 18/20 – 21)

1 – الخطيئة مرض عضال ولكنه يُشفى بالتوبة

الخطيئة بشعة، والاثم مرض عضال يبتلى النفس، فيشلّ طاقاتها ويجعلها مستحقة للنار الأبدية. انها الشرّ المرتكب طوعاً، وجرثومة القصد السيّئ. ونحن اذا نفعل الشرّ طوعاً نرتكب الخطيئة. ويقول النبي بحكمة : "اني غرستك أفضل كرمةٍ وزرعَ حقٍّ بجملته، فكيف تحوّلت الى غرس كرم أجنبي؟" (ارميا 2/21). الغرس جيّد والثمرة رديئة؛ فالشرّ هو من الإرادة الرديئة، ولا ذنب على الذي زرع. ولكنّ الكرمة ستُحرق في النار، لأنها غُرست للخير، وبسبب الإرادة السيئة أثمرت ثمراً رديئاً. "فالله صنع البشر مستقيمين، أمّا هم فتطلبّوا مباحث كثيرة" على حدّ قول سفر الجامعة (7/30). ويقول الرسول : "إنّا من صنع الله خُلقنا..." للأعمال الصالحة "التي أعدّها بسابق

إعداده كيما نمارسها" (أفسس 2/10). الخالق صالح، خلقنا لأعمال صالحة؛ ولكنّ الخليقة انحرفت إلى الشرّ بملء ارادتها. فالشرّ إذن بغيض ويُدعي خطيئة، ولكنه ليس عديم الدواء. انه بشع للذي يلتزمه، ولكنه سهل الشفاء للذي يسلك طريق التوبة. فلنفرض ان انساناً يحمل ناراً في يده، فهو ما دام يحمل الجمرة حتماً سيحترق. ولكنه اذا ألقى الجمرة فهو ينفض في نفس الوقت ما كان يحرقه.

وإن ظنّ أحد انه لا يحترق إن اخطأ، فإن الكتاب يقول له : "أيأخذ انسان ناراً في حجره ولا تحترق ثيابه؟" (أمثال 6/27)، لأن الخطيئة تحرق قوى النفس.

2 – الخطيئة تنبع من إرادة الإنسان

قد يقول قائل : ماذا يمكن أن تكون الخطيئة؟ هل حيوان أم ملاك أم شيطان؟ ما هو الفاعل أو الدافع؟ ليس هو عدّو، يا انسان، يحاربك من الخارج؛ انها جرثومة تنبت فيك. "لتنظر عيناك الى الأمام" (أمثال 4/25)، ولا تكن فيك رغبات سيئة.

إحفظ ما هو لك، ولا تأخذ ما هو للغير فتنقطع السرقة. أذكر الدينونة، وعندئذٍ لا الدعارة ولا الزنى ولا القتل، ولا أيّ عمل من أفكار السوء تراودك فترتكب المعصية.

3 – الشيطان لا يوحي الاّ بالخطيئة، فابتعد عنه

لستَ أنت وحدك صانع الشّر، بل يوجد من يحرّضك عليه؛

انه الشيطان الذي يقترحه عليك، ولكنه لا يستطيع شيئاً ضد الذين لا يقبلونه. ولذلك يقول سفر الجامعة : "اذا ثار عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك" (10/4)؛ اغلق بابك واطرده بعيداً، فلا يمسّك بسوء، ولكن إذا قبلت بقلّة اكتراث شهوة سيئة، فهو سيتوّغل فيك ويثبتّ فيك أفكاره ويربط ذهنك، ويدفعك إلى هاوية الشرور. ولكن لعلّك تقول : أنا مؤمن، ولن تقهرني الشهوة الرديئة لو جُرّبت مرّات عديدة! هل تجهل أنّ جذر الشجرة، الذي يظلّ زمناً طويلاً ملتصقاً بالصخرة، ينتهي بشقها؟ لا تقبل بهذه البذرة، لأنها ستحطّم إيمانك. إقلع الشرّ من جذوره قبل أن يُزهر. لا تكن كسلاناً في البداية، حتى لا تعمد في النهاية إلى الفأس (متى 3/10) وإلى النار (ارميا 23/29). ابدأ بمعالجة عينيك في الوقت المناسب، لكيلا تصبح أعمى وتسعى فيما بعد إلى الطبيب.

4 – الكبرياء أصل سقوط إبليس

فالشيطان إذن هو المحرّض على الخطيئة وفاعل كل الشرور، وهذا القول هو قول الرب وليس قولي : "ان إبليس يخطأ منذ البدء" (1 يو 3/8؛ يو 8/44؛ تك 2/17) إذ لم يخطأ أحد قبله. لقد أخطأ، ولكنه لم يخطأ بحكم طبيعته، والاّ ارتدّت علّة الخطيئة إلى خالقه. إنه خُلق صالحاً وأصبح شريراً بملء إرادته، واتخذ هذه التسمية بسبب عمله. وكان رئيس ملائكة، فسمّي "إبليساً" بسبب أضاليله؛ ومن خادم صالح لله، أصبح "شيطاناً" بحق، لأن

"شيطان" يعني "خصم". وهذه المعلومات ليست مني، بل من حزقيال نبيّ الأرواح، إذ قال عنه راثياً لحاله : "كنت خاتم صورة الله وتاج البهاء، ولدت في الفردوس"؛ ثم يعود فيقول بعد قليل : "كنت كاملاً في طرقك من يوم خُلقت إلى أن وُجد فيك إثم"؛ وهو على حق عندما يقول : "إلى أن وُجد فيك إثم" لا لأنه تلقاه من الخارج بل لأنه وَلدَه.

ثم يستطرد موضحاً السبب : "طمح قلبك لأجل بهجتك وأفسدت حكمتك لبهائك، فطرحتك إلى الأرض" (حز 28/12 – 17). ويؤيد الرب ذلك في الأناجيل عندما يقول : "كنت أرى الشيطان يهوى من السماء كالبرق" (لو 10/18). ها أنت ترى اتفاق العهد القديم مع الجديد. وهو عند سقوطه أسقط معه كثيرين. وهو الذي يُثير في الذين يذعنون له الشهوات الرديئة : الزنى والفسق وكل أنواع الشرّ، وبسببه طُرد أبونا الأول. وبدلاً من الثمار البهيّة التي كان ينتجها الفردوس، تلقّى ارضاً تنبت شوكاً (تك 3/18).

5 – لا تيأس حتى في حالة الخطيئة

ماذا إذن، يقول قائل : هل نموت يائسين؟ أما من سبيل لنا إلى الخلاص؟ "أنسقط ولا يمكن أن ننهض؟" (ارميا 8/4)؛ لقد عمينا فلا يمكنّا أن نبصر؟ إننا نعرج، فهلاّ أمل لنا في أن نمشي مستقيما؟ وبكلمة، نحن أموات وما من أحد ليقيمنا؟ (مز 40/9). ذاك الذي أقام لعازر وقد أنتن، لأنه كان ميتاً منذ أربعة أيام

(يو 11/1 ــ 4)، ألا يستطيع أن يقيمك، يا إنسان، وأنت حيّ؟ ذاك الذي اراق دمه الكريم لأجلنا، هو ذاته سيعتقك من الخطيئة. فلا نيأسنَّ إذن، يا إخوتي، (أفسس 4/19) خوفاً من أن نقع إذا يئسنا، في حالة لا رجاء منها : إذ من الخطر الاّ نؤمن برجاء التوبة. فالذي لا ينتظر خلاصاً يجلب على نفسه شروراً لا عدّ لها. والذي يأمل الشفاء بالعكس بحفظ نفسه. واللص الذي لا يرجو العفو يزداد شراً، أما الذي يرجهوه فغالباً ما يأتي إلى التوبة.

ماذا إذن؟ أتستطيع الأفعى أن تخلع شيخوختها ونحن لا نستطيع أن نخلع الخطيئة؟ إن كانت الأرض المملوءة شوكاً تتحوّل إلى أرض خصبة متى فُلحت جيًّدا، ألا نستطيع نحن أن نخلص؟ وبما أن طبيعتنا قابلة للخلاص، فما على إرادتنا ألاّ أن تسعى إليه.

6 – الله كثير الرحمة

الله يحب البشر، وإلى حدّ ليس بالقليل. لا تقل إذن : إني ارتكبت الدعارة والزنى، واقترفت آثاماً كبيرة بدل المرّة مرّات عديدة، فهل يغفر لي وينسى ذنوبي؟ إسمع ما يقوله صاحب المزامير : "ما أعظم جودتك التى ادّخرتها للمتقين لك" (مز 30/20). إن عدد خطاياك المتراكمة لا يمكن أن يطغّو على رحمة الله، وجراحك لا يمكن أن تعلو خبرة الطبيب الأعلى. سلّم نفسك إليه بإيمان، وأخيراً الطبيب بدائك، وقل لنفسك مع داود : "قلت، اعترف للرب بمعاصيّ" (مز 31/5؛ 37/19)، فيتحقق فيك أيضاً ما كتب : "وأنتَ غفرت إثم خطيئتي" (مز 31/5).

7 – مدى عظمة رحمته من آدم وقاين ...

هل تريد أن ترى محبّة الله للبشر، أنت الذي تأتي لسماع التعاليم منذ وقت قصير؟ هل تريد أن ترى محبة الله للبشر وتقف على مدى عظمة رحمته؟ اسمع ما حدث لآدم. آدم خليقة الله الأولى، عصى الله. ألم يكن في استطاعة الله أن يحكم عليه بالموت في الحال؟ ولكن انظر ما فعله الرب الكثير الرحمة : طرده من الفردوس (لأنه لم يعد يستحقه بسبب خطيئته، تك 3/24)، وأقامه بجوار الفردوس، لكيما اذا رأى الحالة التي كان عليها والحالة التي أصبح فيها، يخلص بالتوبة. وقاين أول مواليد البشر، صار قاتلاً لأخيه ومخترعاً لجميع الشرور، وأول الحاسدين والقتلة. وبماذا حُكم عليه بعد أن أزال أخاه من الوجود؟ "تكون تائهاً شارداً في الأرض" (تك 4/12). كانت الخطيئة عظيمة، لكن الحكمُ طفيفاً.

8 - ... وفي الطوفان ...

ها هي إذن محبة الله الحقيقية، ولكن لا تُعتبر شيئاً اذا قورنت بما يلي : فكرّ فيما حدث أيام نوح : كان الجبابرة قد أخطأوا، وانتشر على الأرض شرّ عظيم، (هوشع 4/2) بسببه حدث الطوفان. ففي السنة الخمسمائة هدّد الله (تك 6/13)، وفي السنة الستمائة أتى بالطوفان على الأرض (تك 7/11). فاعتبر مدى رحمة الله التي تمتدّ إلى مائة عام. فما عمله بعد مائة عام أما كان في استطاعته أن يفعله في الحال؟ وإن كان هو تأخرَ فذلك عن قصد،

لكي يفسح المجال للتوبة. هل ترى إذن محبة الله؟ فلو أنهم تابوا في ذلك الوقت، لَمَّا حُرموا من محبّة الله!

9 - ... وفي راحاب ...

لنعتبر أيضاً الآخرين الذين خلصوا بالتوبة. قد تقول امرأة : لقد ارتكبت الدعارة والزنى واسلمت جسدي لجميع أنواع الفسق، فهل لي من خلاص؟ انظري يا إمرأة إلى راحاب، وانتظري أنت أيضاً خلاصك. لأنه إذا كانت البغيّ قد خلصت بالتوبة، فكيف لا تخلص تلك التي سقطت مرّة واحدة، وقبل أن تتلقّى النعمة، بسبب توبتها وصيامها؟ هل تعرف كيف خلصت هذه البغيّ؟ إنها قالت فقط : "الرب إلهكم هو إله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل" (يشوع 2/11). إنها تقول "إلهكم" لأنها، بسبب فسقها، لم تجسر أن تقول إنه إلهها. وإذا أردت التأكد من خلاصها بشهادة من الكتاب، فإنك تجد في سفر المزامير : "أذكر راحاب وبابا بين الذين يعرفونني" (مز 86/4). يا لعظمة رحمة الله الذي يذكر الزانيات في الكتاب ! إنه لا يقول : "أذكر راحاب وبابل" فقط، بل يُضيف : "بين الذين يعرفونني"، فهناك إذن خلاص للرجال والنساء عن طريق التوبة.

10- ... ومع هارون ...

حتى ولو كان الشعب كلّه قد أخطأ، لما نال ذلك من محبة الله للبشر. كان الشعب قد صنع عجلاً، ولكن الله لم يتخلَّ عن محبته.

لقد أنكر البشرُ الله، ولكنّ الله لم ينكر ذاته (2 تيمو 2/13).

قالوا : "هذه آلهتك يا إسرائيل" (خر 32/4). وكعادته أصبح إله إسرائيل مخلّصهم. لم يكن الشعب وحده هو الذي أخطأ، بل حتى هارون رئيس الكهنة. وموسى هو الذي قال ذلك : "غضب الرب على هارون جداً فتضرّعت لأجله وغفر الله له" (تثنية 9/20).

وهكذا هدّأ موسى غضب الرب يتوسّله من أجل رئيس الكهنة الخاطئ. فهل يمكن ألاّ تُقبل عند الله الآب شفاعةُ ابنه الوحيد يسوع لأجلنا؟ إن كان الله لم يمنع الكهنوت السامي عن هارون الخاطئ. فهل يمنعك، أنت الآتي من بين الأمم، من الدخول إلى الخلاص؟ فتب أنت أيضاً، أيها الإنسان، ولن تُرفض لك النعمة. ليكن سلوكك في المستقبل بلا لوم، لأن الله يحبّ البشر فعلاً وليس في استطاعة إنسان أن يفسرّ محبته، وحتى ولو اجتمعت كل الألسن البشرية، لما كفت لتفسير رحمة الله؛ ونحن لا نخبرك إلاّ بالقليل مما جاء في الكتب المقدّسة عن محبته للبشر، ولكنّنا نجهل مدى محبته للملائكة، لأنه قد غفر لهم أيضاً، بما أنه ليس هناك إلاّ شخص واحد بلا خطيئة، وهو يسوع الذي طهّرنا من خطايانا.

أما عن الملائكة فقد تحدثنا بما فيه الكفاية.

11 - ... ومع داود ...

إذا أردت، ففي استطاعتي أن أعطيك أمثالاً كثيرة عن هذه المحبة، تعالَ إلى داود الطوباوي وخذه مثلاً للتوبة. لقد سقط هذا الجبّار، إذ قام عن سريره بعد قيلولته وتمشّى على السطح

(2 ملوك 11/2، والقى نظرة شاردة، فشعر بشهوة بشرية. ولما ارتكب الخطيئة لم يمت بسببها، لأنه كان نبيلاً متواضعاً في اعترافه بها. وقد جاءه ناتان النبي الذي لأمه لإثمه وشفى جراحه (2 ملوك 12/1 – 12)، وقال له : "لقد غضب الرب، وأنت أخطأت". كان الذي يكلّم الملك شخصاً بسيطاً من عامة الشعب، ولم يسخط عليه الملك الذي كان يرتدي الأُرجوان، لأنه لم يكن يعتبر الذي يكلّمه، بل الذي أرسله. فلم يُعمِه الصفّ المحيط به من الجنود، لأنه كان يفكرّ في جنود الرب الملائكية. وتأوّه "كأنه يعاين الذي لا يُرى" (عبر 11/27)، وقال للرسول، أو بالحري للذي أرسله : "أخطأت الى الرب" (2 ملوك 12/13). هل ترى تواضع الملك؟ هل ترى اعترافه ! هل كان هناك من يُثبت عليه تهمة الجناية؟ هل كان هناك كثيرون على علم بفعله؟ فحالما وقع الفعل، حضر النبيّ متّهما، واعترف المذنب بجرمه، ولأنه اعترف بنبالة، حصل في الحال على الدواء، لأن النبي ناتان الذي هدّد، أضاف في الحال : "والله غفر خطيئتك" (2 ملوك 12/13). هل ترى السرعة التي تغيّر بها الله محبّ البشر؟ على أنه قال : "لقد أثرتُ إلى أقصى حدّ أعداء الله" (2 ملوك 14/14)، لقد كان لك أعداء كثيرون بسبب عدالتك، ولكن العفة كانت تحفظك. وبما أنك خنت خير سلاح، فعليك أن تكافح ضد أعداء مخفيين. وبمثل هذه الأقوال كان النبّي يُعزّيه.

12 – توبة داود

أما داود الطوباوي، وإن يكن قد سمع هذه الأقوال الجميلة :

"غفر الله خطيئتك"، لم يمتنع عن التوبة، على الرغم من أنه كـان ملكاً. بل لبس المسوح بدلاً من الأرجوان وجلس في الرماد على الارض (2 ملـوك 12/16؛ يونـان 3/6)، بـدلاً من الجلـوس على العروش المذّهبة. ولم يكتفِ بالجلوس على الرماد، بل اتخـذ منـه طعاماً له، كما يقول هـو نفسـه : "أكلت الرمـاد مثـل الخـبز" (مـز 101/10)، وترك مآقي عينيه تذرف الدمع : "في كـل ليلـة أغمـر سريري بدموعي وأميـع بهـا فراشـي" (مـز 6/7). وعنـدما كـان شيوخ بيته يحثّونه على الطعام، كان يرفض. ومدّة أسبوع قضـى كل يوم في الصيام (2 ملوك 12/17 ـ 20). إن كان الملك تاب مثل هذه التوبة، فكم بالحري أنت أيها الإنسان العاديّ ! وعلى أثر تمرّد أبشالوم، كانت أمامه عدّة طرق للفرار، فاختار طريـق جبـل الزيتـون (2 ملـوك 15/23)، كمـا لـو أنـه كـان بـالفكر يبتهـل إلى المخلص الذي كان من هناك سيصـعد إلى السـماء. وعنـدما كـان شمعي يطارده بلعناتـه، قـال : "دَعُوه"، (2 ملـوك 16/11) لأنـه كان يعلم أنّ من يَغفِر يُغفر له.

13 – رحمته مع سليمان

أنت ترى أن الاعتراف صـالح، وأن هنـاك خلاصـاً للتـائبين حتّى سليمان سقط، (3 ملـوك 11/4) ولكنـه مـاذا قـال فيمـا بعـد؟ "إني تبت" (أمثال 24/32). كذلك آحاب ملك السامرة الذي أصـبح من أشدّ عبدة الأوثان وأشدّهم عناداً، وصـار قـاتلاً للأنبيـاء، مغتصـباً حقول الآخرين وكرومهم (3 ملوك 21/19). على أنه عندما قتل

نابوت بسبب ايزابيل، وجاء النبي ايليا يهدده، مزّق ثيابه ولبس المسوح. وماذا قال الرب الرحيم لإيليا؟ "أرأيت كيف ذلّ آحاب أمامي؟" (3 ملوك 21/27)؛ وأضاف كمن يريد أن يهدّئ من ثورة ايليا على التائب ويلطّفها : "لا أجلب الشرّ في أيامه" (3 ملوك 21/29). ومع تأكده أنه لن يتخلّى عن شرّه سامحه، ليس جهلاً بما سيكون عليه في المستقبل، بل كواهب للغفران حسب التوبة المقدّمة في حينه. فإن عدل الله يقتضيه أن يحكم في كل قضية حسب كل فعل.

14 - ... ومع يربعام ...

وعندما كان يربعام واقفاً عند المذبح يقدّم ضحايا للأصنام، يبست يده عندما أمر بالقبض على النبي الذي كان يوّبخه. ولكنه لمّا كان يعرف عن خبرةٍ قوّة الواقف أمامه، قال له : "تضرّع الى وجه الرب إلهك وصلِّ لأجلي" (3 ملوك 13/6). وبسبب هذه الكلمة رجعت يده إلى ما كانت. فاذا كان النبي شفى يربعام، ألا يستطيع المسيح أن يشفيك بتحريرك من خطاياك؟ وكان هناك أيضاً منسّى الكافر، الذي نشر النبيّ أشعيا، وتدّنس بكل العبادات الوثنية، وملأ أورشليم بدم الأبرياء (4 ملوك 21/16). ولكنه لما سيق أسيراً إلى بابل، دفعته خبرته إلى تناول دواء التوبة علاجاً لشروره؛ إذ يقول الكتاب عنه : "التمس منسىّ وجه الرب إلهه، وتخشّع جداً أمام إله آبائه، وصلّى إليه فاستجابه، وسمع لتضّرعه وردّه إلى مُلكه" (2 أخبار 33/12 – 13)، فإذا كان الذي نشر

النبيّ إلى نصفين أُنقِذ بالتوبة، أفلا تُنقَذ أنت الذي لم يأتِ مثل هذا العمل؟

15 - ... وحزقيا ...

إحذر أن تفقد، بغير سبب، الثقة في قوّة التوبة. هل تريد أن تعرف قوّة التوبة؟ هل تريد أن تقف على مدرى قوّة سلاح الخلاص، وتعلم قيمة الاعتراف؟ بقوّة اعترافه، ضرب حزقيا مائة وخمسة وثمانين ألفاً من أعدائه (4 ملوك 19/35)؛ ولكن هذا قليل بالنسبة إلى ما سأقول : بالتوبة أبطل حزقيا الحكم الذي أصدره الله فعلاً؛ وذلك أنه لمّا كان مريضاً، وافاه أشعيا وقال له : "أوصِ لبيتك لأنك تموت ولا تعيش" (4 ملوك 20/1؛ أشعيا 38/1). هل كان يوجد رجاء في الشفاء بعدما قال له النبيّ :

"لأنك تموت"؟ ولكن حزقيا لم يكفَّ عن التوبة، إذ هو، لما تذكرّ ما هو مكتوب : "في التوبة والراحة تخلصون" (أشعيا 30/15)، حوّل وجهّه إلى الحائط، ومن سريره إتجّه بفكره إلى السماء (إذ لا يعوق سِمكُ الحائط الصلوات التي تقال بورع) وقال : "أذكرني يا رب" (أشعيا 38/3)، ويكفي لشفائي أن تذكرني، فأنت لا تخضع للزمن لأنك معطي الحياة، إذ لا تتعلق حياتنا على يوم ميلادنا ولا على اقتران النجوم معاً في برج واحد، كما يظن البعض في غباوة؛ بل أنت الذي يضع قانون حياتنا وتحدّد أيامها حسب إرادتك". والذي لم يكن هناك أمل في شفائه حسب قول النبي، زيدت أيامه خمسة عشر عاماً. والدليل على ذلك أن

الشمس أُرجعت عشر درجات (أشعيا 38/8). وهكذا من أجل حزقيا رجعت الشمس، ومن أجل المسيح أنكسفت (سيراخ 48/26)، وبذلك نرى الفارق بين حزقيا والمسيح : إذا كان الأول تمكّن من إبطال قرار الله، أفلا يستطيع المسيح أن يغفر لنا خطايانا؟ فارجع ونُح على نفسك (أشعيا 30/15). أُغلق بابك وصلِّ لكي يُغفر لك (متى 6/6)، لكي يبدّد اللهُ اللُهُبَ التي تحيط بك (دانيال 3/50)، لأن الاعتراف يمكن أن يطفئ حتى النار، وأن يروّض حتى الأسود (دانيال 6/22).

16 - ... وحننيا ...

وإن كنت لا تؤمن بهذا، ففكر فيما حدث لحننيا ورفاقه : كم من ينابيع وكم من أنهار كانت تحتاج إليها النار لإطفاء لهيبها الذي إرتفع إلى علّو تسعة وأربعين ذراعاً ! وحيث اللُهُب كانت ترتفع قليلاً، كان نهر الإيمان يتدّفق عليها فيخمدها. وكدواء لشرورهم كانوا يردّدون : "أنت عادل، يا رب، في جميع ما صنعت، إذ قد خطئنا وأثمنا مرتدّين عنك، وأجرمنا في كل شيء" (دانيال 3/27 – 29). إن التوبة تبّدد اللُهُب. وإن كنت لا تؤمن بأن التوبة يمكن أن تطفيء نار الجحيم، فتعلّمه من حننيا ورفاقه. ولكن قد يقول أحد السامعين الحاذقين : "هؤلاء، قد خلّصهم الله بعدل، لأنهم رفضوا عبادة الأصنام، فألبسهم الله القوّة". وبما أن الأمر كذلك، فآخذ مثلاً آخر عن التوبة.

17 - ... ونبوكد نصّر ...

ما رأيك في نبوكدنصّر؟ ألم تسمع ما جاء في الكتاب عنه، وكيف كان متعطشاً لسفك الدماء، ووحشاً كالأسد؟ ألم تسمع أنه أخرج إلى النور عظام الملوك من قبورهم؟ (أرميا 8/1)؛ ألم تسمع أنه ساق الشعب (الإسرائيلي) إلى الأسر، وأنه فقأ عيني الملك صدقياً (4 ملوك 25/7)، بعد أن ذبح بنيه على عينيه وحطّم الكروبين؟ إني لا أتحدّث عن هذه الكائنات الروحية – لا تظّن ذلك، يا إنسان – بل عن الكروبين المنحوتين على التابوت (خر 25/13) الذي كان الله من وسطهُ يُسمع صوته (خر 25/22)، ومزّق ستار الهيكل، وأخذ مذبح البخور ووضعه في معبد الأصنام (دانيال 1/2)، وأخذَ كل التقدمات ودّمر الهيكل حتى أساساته. كم من العقوبات كان يستحقّ من أجل الملوك الذين ذبحهم، والأشياء المقدّسة التي حرقها، والشعب الذي ساقه الى الأسر، والأواني التي خصّصها للأصنام. أما كان يستحق لذلك ألف ميتة؟

18 - ... ونبوكدنصّر أيضاً ...

لقد رأيت كثرة خطاياه، فانظر الآن إلى رأفة الله ورحمته : لقد أصبح نبوكدنصّر وحشاً ضارياً يسكن القفار ويجلد نفسه ليخلص.

وطالت أظافره كمخالب الأسد، لأنه كان يسلب الأشياء المقدسة.

وطال شعره حتى أصبح كلبدة الأسد، لأنه كان أسداً مزمجراً مفترساً. وكان يأكل العشب كالثيران، وأصبح بغلاً يجهل من

أعطاه الملك. وابتلَّ جسمه من ندى السماء. وعندما رأى الندى يطفئ النار لم يؤمن. ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟ حدث أنه قال : "أنا نبوكدنصّر ارفع عينيّ إلى السماء وأبارك العليّ وأسبحّ وأمجدّ الحيّ الأزليّ" (دانيال 4/31). وعندما عرف العليّ وشكر الله، ندم على ما فعله. وعندما عرف ضعفه، ردّ الله له مجد مُلكه (دانيال 4/33).

19 - ... وبطرس الرسول ...

ماذا إذن؟ إذا كان الله منح الغفران والمُلك لنبوكدنصّر الذي إرتكب خطايا كثيرة ثم ندم عليها، أفلا يمنحك، أنت التائب مغفرة الخطايا وملكوت السماوات، إذ جاهدت بجدارة؟ إن الربّ صالح (سريع الغفران بطئ العقاب) فلا ييأس أحد من خلاصه.

نكر بطرس، هامة الرسل، الرب يسوع ثلاث مرات أمام جارية، ولكنه ندم وبكى بكاءً مرًّا (متى 26/69، 75). كانت دموعه تدّل على إنسحاق قلبه. ولذلك فهو لم ينل الغفران فحسب، بل ظلّ محتفظاً بمقامه الرسولي.

20 – اعترفوا بخطاياكم

والآن، أيها الإخوة، وقد أصبح لديكم أمثلة عديدة عن الذين خطئوا وتابوا ثم خلصوا. أسرعوا أنتم كذلك إلى الاعتراف للرب، لكي تنالوا مغفرة خطاياكم الماضية، وتستحقوا الموهبة السماوية، وترثوا ملكوت السماوات مع جميع القديسين، في المسيح يسوع أبد الدهور. آمين.

العظة الثالثة

في العماد

"أو تجهلوا أنا، وقد اعتمدنا في المسيح، إنما اعتمدنا في موته؛ قد دفنا معه في المعمودية لنموت فنحيا حياة جديدة، كما أُقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب"

(رومة 6/3 – 4)

1 – الابتهاج بقرب العماد

"رنمي أيتها السماوات وإبتهجي أيتها الأرض" (أشعيا 49/13) من أجل أولئك الذين "ينضحون بالزوفى" (مز 50/9) ويُطهرّن بالزوفى الروحية، بقوّة ذاك الذي قُدّم له ليشرب على قضيب من الزوفى أثناء آلامه (يو 19/29؛ متى 27/48). لتبتهج القوات السماوية، ولتستعدّ النفوس التي ستتحد بالعريس الإلهي، "لأن هناك صوتاً يصرخ في البرية : أعدّوا طريق الرب" (أشعيا 40/3؛ متى 3/3). إن العماد ليس أمراً بسيطاً هيًّنا، ولا عراك أجساد مائع، ولكنه إختيار حسب الإيمان يقوم به الروح القدس الذي يفحص كل شيء (1 كور 2/10) إن عقود الزواج لا تعقد دائماً ببصيرة ثاقبة؛ ولكن حيث يوجد الجمال والغِنى يُقبل

العريس مسرعاً. أما هنا فالبعكس، ليس هو جمال الجسد الذي يجذب، إنما جمال النفس والضمير النقي. هنا لا يسعى أحد الى المال، بل الى غنى النفس في التقوى.

2 – ها هو العروس قد أقبل، فهيئوا نفوسكم

لبّوا إذن، ياأبناء البّر، نداءَ يوحنا القائل : "أعدّوا طريق الرب" (يو 1/23)؛ أزيلوا كل عائق وكل حجر عثرة لتسيروا في الطريق المستقيم نحو الحياة الأبدية. طهّروا أواني النفس بإيمان صادق لتقبّل الروح القدس. إبدأوا في غسيل ملابسكم بالتوبة، بحيث اذا دعاكم العروس وجدكم انقياء. يدعو العروس الجميع بدون تمييز، لأن نعمته وافرة. العروس نفسه يفرز جميع الذين أتوا الى هذا الزواج الرمزي. ليت لا يسمع أحد ممن سُجلت أسماؤهم ذلك القول : "يا صاحب، كيف دخلت إلى هنا وليس عليك حُلة العرس؟ (متى 22/12)، ولكن ليتكم تسمعون جميعاً : "أحسنتَ أيها العب الصالح الأمين، كنتَ أميناً على القليل، فسأقيمك على الكثير : أُدخل نعيم سيدك" (متى 25/21). والآن إذ تقفون خارج الباب، ليتكم تستطيعون أن تقولوا : "أدخلني الملك أخاديره" (نشيد 1/3)، و"تبتهج نفسي في إلهي، لأنه ألبسني ثياب الخلاص، وشملني برداء البّر؛ كالعروس الذي يتعصّب بالتاج وكالعروس التي تتحلّى بزينتها" (أشعيا 61/10).

إني لا أقول ذلك لكي تكون نفوسكم – قبل تلقّي النعمة – "لا شائبة فيها ولا تغضّن ولا ما أشبه ذلك" (أفسس 5/27)، إذ كيف

يمكن أن يتحققّ هذا، بما أنكم مدعوون لنوال مغفرة الخطايا؟

ولكني أقول ذلك حتى إذا ما تلقيتم النعمة، تحافظوا على ضمير نقي يساعد على إزدهار النعمة.

3 – قدّروا عظمة العماد

إن العماد حقاً لأمر مهّم، يا أخوة، فتقدّموا إليه بحرص.

ويجب على كل واحد منكم أن يقف أمام الله وأمام ربوات جيوش الملائكة. ويجب على الروح القدس أن يختم نفوسكم. إنكم ستجنّدون في جيش ملك عظيم. فاستعدوا إذن وكونوا على علم. وارتدوا لا الملابس اللامعة، بل تقوى النفس بضمير نقيّ. لا تقربوا هذا الغسل كما لو كان الغسل يتمّ بماء عادي. لأن نعمة الروح القدس هي التي توهب مع الماء. فكما أن التقادم التي ترفع في معابد الأوثان، تدنّس باستدعاء الأصنام، كذلك يتلقّى الماءُ العادي قوّة مقدّسة باستدعاء الروح القدس والمسيح والآب.

4 – العماد تطهير مزدوج

بما أن الإنسان مزدوج أي مرّكب من نفس وجسد، فلا بدّ له من تطهير مزدوج : لا ماديّ لِما هو غير مادّي، ومادّي للجسد.

وهكذا يطهّر الماء الجسد، ولكن الروح القدس يختم النفس.

فلنتقرّب إذن إلى الله (عبر 10/22) لكي يُغسل قلبُنا في الروح وجسدُنا بالماء النقي. فالذي سينزل في الماء، لا يقترب منه كمن يقترب من ماء عادي، بل من ماء سيمنحه الخلاص بنعمة الروح

القدس. لأنه، بدون الماء ونعمة الروح القدس، لا يمكنكم أن تكونوا كاملين. لست أنا الذي أقول ذلك، بل الرب يسوع المسيح، الذي له القدرة على هذه الأشياء، إذ يقول : "ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت الله، إلاّ إذا وُلد من جديد"؛ ويضيف : "وكان مولده من الماء والروح" (يو 3/3). لا ينال النعمة الكاملة ذاك الذي عُمدّ بالماء، ولكنه لم يتلقَّ. الروح القدس، ولا يدخل ملكوت السماوات ذاك الذي تعلّم حُسن القيام بأعمال البّر، ولكنه لم يتلقَّ ختم الماء. قد يبدو لكم هذا الكلام جرئياً ولكنه ليس منّي، أن يسوع هو الذي أصدر هذا القرار؛ وإليكم الدليل كما ورد في الكتاب المقدس : "كان كورنيليوس رجلاً يخاف الله، فحظي برؤية ملاك الرب يقول له إن صلواته وصدقاته صعدت إلى الله". وجاء بطرس. ونزل الروح القدس على جميع الذين آمنوا، وأخذوا يتكلّمون بلغات غير لغتهم ويتنبأون (أعمال 10/3 ـ 4، 44 ؛ـ 19/6) وبعد أن تلقوا نعمة الروح القدس، يقول الكتاب : "وأمر بطرس أن يُعمَّدوا باسم الرب يسوع المسيح" (أعمال 10/48)، لكي يتلقى الجسدُ النعمةَ بالماء كما تجدّدت النفس بالإيمان.

5 ـ أهمية عنصر الماء

إذا أراد أحد أن يعرف لماذا تُمنح النعمة بالماء ولا تمنح بعناصر أخرى، فإنه يجد السبب في الكتاب : إن الماء لشيء عظيم، ولا شكّ في أنه أجمل العناصر الأربعة، التي يتكوّن منها العالم. إن

السماء مقرّ الملائكة، ولكن السماوات ماء. والأرض هي سكن البشر، ولكنها مصنوعة من الماء. وقبل تكوين أية خليقة من الخلائق التي صُنعت في أيام الخلق الستة، "كان روح الله يُرفّ على المياه" (تك 1/2). في الأصل العالم كان الماء، وفي بداية الإنجيل كان الأردن. تم تحرّر إسرائيل من نير فرعون عن طريق الماء، ويتمّ التحرّر من الخطايا بماء العماد وبكلمة الله (أفسس 5/26).

وحيث يقام عهد مع أحد يوجد هناك ماء : فبعد الطوفان أقام الله عهداً مع نوح (تك 9/9)، كما أنه أقام عهداً مع إسرائيل على جبل سيناء؛ بالماء وصوف قرمزي وزوفى (عبر 9/19)؛ ورفع إيليا إلى السماء، وكان هناك ماء، اذ هو عبر الأردن ثم رُفع إلى السماء في مركبة نارية وخيل نارية (4 ملوك 2/11). ولا يقدّم رئيس الكهنة البخور إلا بعد أن يغتسل بالماء (خر 29/4)؛ وغُسِلَ هارون بالماء أولاً ثم نُصّب رئيساً للكهنة (أحبار 8/6)، إذ كيف يمكن أن يصلّي للآخرين ذلك الذي لا يُطهّر بالماء؟ وكان رمز العماد هو المغسل في داخل الخباء (خر 40/7).

6 – يوحنا يستحقّ لقب المعمدان

العماد هو نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد. والمعمِّد الأول هو "يوحنا الذي لم يظهر في أولاد النساء أعظم منه" (متى 11/11)؛ وكان خاتمة الأنبياء "لأن جميع أنبياء الشريعة قد تنبأوا حتى يوحنا" (متى 11/13). إنه بداية الأعمال الإنجيلية : "في بدء بشارة يسوع المسيح، ظهر يوحنا في البرّية يعظ بمعمودية التوبة"

(مر 1/1، 4)؛ وحتى إيليا الذي رُفع إلى السماء لم يكن أعظم منه. ورُفع أخنوخ كذلك إلى السماء، ولكنه لم يكن أعظم من يوحنا. إني لا أجرؤ أن أقارن الأنبياء بعضهم ببعض، ولكن إلههم الذي هو إلهنا، الرب يسوع المسيح، قال : "ليس في أولاد النساء مَن هو أعظم من يوحنا" (متى 11/11). إنه لم يقل "في أولاد العذارى" بل "في أولاد النساء"؛ أنها مقارنة بين خادم عظيم وخدّام آخرين. أما السموّ والنعمة اللذان للإبن، فيجعلانه فوق كل مقارنة مع الخدام. هل ترى أي رجل عظيم إختار الله في أصل هذه النعمة : إختار رجلاً فقيراً صديقاً للعزلة بدون أن يُبغض لذلك البشر، يلبس ثوباً من وبر الإبل، ويقتات من الجراد وعسل البّر، ويقول أشياء مفيدة وحلوة كالعسل، ويعطي بحياته الخاصة المَثل لحياة الزهد والنسك. وما هو أروع من ذلك كله أنه تقدّس في بطن أمّه من الروح القدس (لو 1/15). تقدّس كذلك إرميا النبي بهذه الكيفية، ولكنه لم يتنبأ في بطن أمّه. يوحنا وحده اهتّز طرباً في بطن أمه، وبدون أن يراه بعيني الجسد، عرف بالروح ربَّه، وبما أن نعمة العماد كانت إلى هذا الحد من السمّو، فقد كانت بحاجة إلى معمِّد عظيم.

7 – إخلعوا الإنسان العتيق

كان يوحنا يعمّد في الأردن، وكانت أورشليم بأسرها تخرج إليه (متى 3/5). لتحظى ببواكير العماد، لأن أورشليم هي في أصل كل خير. ولكن اعلموا، يا سكّان أورشليم، كيف أن الذين كانوا

يذهبون إليه كانوا يعمدَّون منـه : "بـالاعتراف بخطايـاهم". فقد كـانوا يطلعونــه أولاً على جـراحهم، وكــان هـو يعطيهم الـدواء. والذين كانوا يؤمنون، كانوا يخلصون من النار الأبديـة. وإن كنتم تريـدون أ، تقتنعـوا بـذلك، فـإن عمـاد يوحنـا كـان ينقذ من النـار، فاسمعوا ما كان يقول : "يـا أولاد الأفـاعي، من علّمكم أن تهربـوا من الغضب الآتي؟" (متى 3/7؛ 1/5)؛ لا تكونوا أولاد الأفاعي؛ ولكن أنتم الذين كانوا في الماضي أولادَ أفاعٍ، أُتركـوا جانبـاً حيـاة الخطيئة، لأن كل ثعبان يجد نفسه في ضيقٍ يترك ما هو قديم؛ وإذ هو يخلع هكذا، بسبب ضيقه، ما هو قديم، يحيا بجسد جديد.

وهكذا أدخلوا أنتم أيضاً من الباب الضيّق (متى 7/13 – 14).

وبعد أن تكونـوا كفـرّتم عن خطايـاكم بالصـيام، واسـتعجلتم هكـذا النهايـة، "إخلعـوا الإنسـان العتيق مـع أعمالـه" (كولوسـي 3/8)، وردّدوا مع صاحب الأناشيد : "قد نزعت قميصي فكيف ألبســه؟" (نشيد 5/3). فإن كان بينكم من باب المصادقة مراؤون يحـاولون نيل إعجاب النـاس ويتظـاهرون بـالتقوى وهم غـير مخلصـين في قلوبهم، مقلّدين بذلك سيمون الساحر الذي أتى لا لتقبّل النعمـة بـل للإستفادة من معجزاتها، فليسمع هؤلاء ما يقوله يوحنـا : "هـا هي ذي الفـأس على أصـول الشـجر، فكـل شـجرة لا تثمـر ثمـراً طيبًّا تقطع وتلقى في النار". (متى 3/10). إن القاضي لا يرحم، فدعوا عنكم إذن المكر والخداع.

8 – وزّعوا خيراتكم على المحتاجين

ما العمل إذن؟ وما هي ثمار التوبة؟ "من كان لديه ثوبان،

فليقسمهما بينه وبين من لا ثوب له" (لو 3/11)؛ (وقد كان معلماً جديراً بالثقة حقاً، لأنه بدأ بممارسة ما كان يعلّمه. كانت كلمته لا تُردّ، لأن ضميره لم يكن يستنكر ما كان يقوله لسانه). "ومن كان لديه طعام ليعمل كذلك" (لو 3/12). أتريد أن تتمتع بنعمة الروح القدس، ولا تمنح طعاماً حسيًّا للفقراء؟ انت تسعى وراء الخيرات الكثيرة، ولا تعطي مثل هذه الأشياء الصغيرة؟ وحتى لو كنت عشّارا أو زانياً، فلا تيأس من خلاصك. "فإن العشارين والبغايا يسبقونكم إلى ملكوت الله" (متى 21/31). ويشهد بولس بذلك إذ يقول : "لا الزناة ولا عبّاد الأوثان ولا الفاسقون ولا الآخرون يرثون ملكوت الله"؛ "ولقد كان بعضكم على ذلك فغُسلتم بل قدّستم" (1 كور 6/9 – 11). إنه لا يقول "أنتم الآن"، ولكن "كنتم". إن الخطيئة التي ترتكب عن جهل تُغفر، ولكن المثابرة في الخبث مرذولة.

9 – عَمَّدَ المسيح في الروح القدس والنار

كونوا فخورين بالحصول على عماد ابن الله الوحيد. ولكن ما بالنا لا نزال نتحدّث عن الرجل؟ إن يوحنا عظيم، ولكن من هو بالنسبة إلى الرب؟ صوتٌ عظيم، ولكن من هو بالنسبة الى الكلمة؟ مُنادٍ رائع (يو 1/23)، ولكن من هو بالنسبة للملك؟ إنه يعمّد بالماء، وهذا حسن، ولكن ما ذلك بالنسبة للذي يعمّد في الروح القدس والنار؟ (متى 3/11). لقد عمّد المخلصُ الرسل في الروح القدس والنار، "عندما انطلق من السماء بغتة دويٌّ كريح

عاصفة "فملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار قد انقسمت، فوقف على كلّ منهم لسان؛ فامتلأوا جميعاً من الروح القدس" (اعمال 2/3 – 4).

10 – العماد بالدم

إن لم يتلقّ أحدٌ العماد، فهو لا يستطيع أن يحصل على الخلاص، فيما عدا الشهداء الذين يدخلون الملكوت بدون الغسل بالماء؛ لأن المسيح افتدى العالم بالصليب. ومن قلبه الذي طعنه أحدُ الجنود بحربة، خرج دم وماء (يو 19/34)، لكي يُعمّد البعض في الماء وقت السلم، ويعمّد البعض الآخر في دمهم وقت الاضطهاد. ويسمّي المخلصُ الاستشهاد عماداً عندما يقول :

"أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سأشربها، أو تقبلا المعمودية التي سأقبلها؟" (مر 10/38). إن الشهداء يؤدّون الشهادة لكونهم يعرّضون أنفسهم للعالم وللملائكة وللناس (1 كور 4/9). وأنتم أيضاً ستؤدون الشهادة بعد قليل، ولكن الوقت لم يحن بعد لأحدّثكم عن ذلك.

11 – المسيح يؤسس العماد

قدّس يسوع العماد عندما عُمّد هو نفسه. إن كان ابن الله عُمّد، لا لكي يحصل على مغفرة خطاياه (أنه كان بلا خطيئة)، ولكنه عُمّد، هو المنّزه عن الخطيئة، لكي يمنح المعمّدين النعمة الإلهية والكرامة. "ولما كان الأنبياء شركاء في الدم والجسد" (عبر

2/14)، شاركهم هو فيهما أيضاً، لكيما إذا شاركناه في حضوره في الجسد، نشاركه في نعمته الإلهية. وهكذا عُمّد يسوعُ حتى نشترك بواسطته في هذا العماد، ونحصل بذلك على الكرامة والخلاص. كان التنين في المياه – على ما جاء في سفر أيوب (40/23) – وكان إذا طغت عليه المياه لا يحفل، حتى لو اندفق الأردن في فيه.

ولما كان من الضروري أن تحطّم رؤوس التنين، نزل السيّد في المياه وربط القويّ (متى 12/29)، "لكي يولينا سلطاناً ندوس به الحيّات والعقارب" (لو 10/19). أنه ليس وحشاً صغيراً، فمنظره كافٍ لإثارة الرعب، ولا يستطيع أي قارب صيد أن يقاوم ضربة واحدة من ذيله، وأمامه يعدو الهول، وهو يستحق كل الذين يقتربون منه (أيوب 41/13). لقد أقبلت الحياة لتكمّم الموت، حتى نستطيع نحن المخلّصين جميعاً أن نقول : "أين شوكتك يا موت وأين ظفرك يا جحيم؟" (1 كور 15/55). فبالعماد سُحقت شوكة الموت.

12 – العماد بعث

أنتم تنزلون في الماء بخطاياكم، ولكن دعوة النعمة التي تختم نفوسكم لا تتركهم تحت سيطرة التنين المرعب. أنتم تنزلون أمواتاً بخطاياكم، وتصعدون أحياء في البّر (رومة 6/2؛ 1 بطرس 2/24). فإذا أنتم اتحدتم في موت يشبه موته، فإنكم تكونون جديرين بقيامته (رومة 6/2). لأنه كما أنّ المسيح الذي أخذ على نفسه جميع خطايا العالم، قد مات لكيما هو يقيمكم في البّر بسحقه الخطيئة، كذلك أنتم، بنزولكم في الماء، تُدفَنون فيه

بشكل ما، كما هو دُفن في الصخرة، حتى تنهضوا سالكين حياة جديدة (رومة 6/4).

13 – بعد العماد، جاهِدْ وبشرّ بالإنجيل

وبعد أن يجعلكم جديرين بالنعمة، يمنحكم سلطاناً تحاربون به القوّات المعادية. لأنه كما هو، بعد العماد، قد جُرِّب مدة أربعين يوماً (لا لأنه لم يكن في استطاعته أن يقهر بعد العماد ولكن لأنه كان يريد أن يعمل كل شيء بترتيب وفي حينه) كذلك أنتم لم تكونوا لتجرؤوا قبل العماد أن تكافحوا قوّة العدوّ، ولكنكم بعد تلقي النعمة، أصبحتم قادرين على الكفاح، وكلكم ثقة في سلاح البرّ (2 كور 6/7)، أو إذا شئتم، على تبشير الإنجيل.

14 – دور الروح في العماد

كان يسوع المسيح ابنَ الله، ولكنه لم يبشّر بالإنجيل قبل العماد.

فإذا كان الرب نفسه اتّبع هذا النظام، فهل يجوز لنا، نحن خدّامه، أن نخالفه في نظامه؟ وبعد ذلك بدأ يسوع يبشّر (متى 4/17)، عندما نزل عليه الروح القدس في صورة جسم كأنه حمامة (لو 3/22)، لا لكي يراه يسوع (لأنه كان يعرفه قبل أن يأتي في صورة جسم)، بل لكي يراه يوحنا المعمدان : "لأني أنا – يقول يوحنا – "لم أكن أعرفه، ولكنّ الذي أرسلني أعمدّ في الماء، قال لي : إن الذي ترى الروح ينزل عليه فيستقّر، هو ذاك الذي يعمدّ

في الروح القدس" (يو 1/33). وإن كانت لك تقوى صادقة، فإن الروح القدس سينزل عليك، وتسمع أنت صوت الآب، ولكنه لن يقول : "هذا هو إبني" (متى 3/17) بل "هذا أصبح إبني الآن". لأن عن الإبن فقط يقال : "هذا هو إبني"، بما أنه "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدي الله، والكلمة هو الله" (يو 1/1). فله وحده تلائمه عبارة "هذا هو إبني"، بما أنه إبن الله منذ الأزل. ولكن لك أنت، فإن العبارة "هذا الآن أصبح إبني" هي التي تلائمك، لأنك لست إبناً بحسب الطبيعة ولكنك تتلقى التبنيّ.

المسيح هو ابن الله منذ الأزل، ولكنك أنت تصبح إبنه في اللحظة التي تتلقى فيها النعمة.

15 – العماد يغفر جميع الخطايا

أعِدَّ إذن وعاءَ نفسك لكي تصبح ابن الله ووريثه مع المسيح (رومة 6/17). وبما أنك تستعد لتقبّل هذه الموهبة، وتتقرّب إلى الإيمان لتكون مؤمناً، وتخلع الإنسان العتيق بإرادتك، فإن كل ما اقترفته يغفر لك؛ الدعارة والزنى وكل ما شابه ذلك. أيّة خطيئة أعظم من صلب المسيح؟ ومع ذلك فإن العماد يغفرها. عندما وقف بطرس يخطب في اليهود الذين صلبوا المسيح وكان عددهم ثلاثة آلاف نسمة، سأله هؤلاء قائلين : "ماذا يجب علينا أن نعمل، أيها الإخوة؟ (أعمال 2/37)، "فإن الجرح تعظم. لقد أظهرت فظاعة جريمتنا عندما قلت : "لقد أمتم ملك الحياة" (أعمال 3/15). فبأي بلسم يمكننا أن نضمّد هذا الجرح؟ "ما السبيل

لتطهير مثل هذه الخطيئة؟ ما السبيل إلى الخلاص؟" فردّ عليهم بطرس : "توبوا وليتعمد كل منكم باسم يسوع المسيح، "لتغفر خطاياكم ويُنعم عليكم بالروح القدس" (أعمال 2/38). يا للرحمة الفائقة الوصف التي يبديها الله لإنقاذ مَن لم يكن لديهم رجاء ومنحِهم الروحَ القدس ! هل ترى قوّة العماد؟ فإذا كان أحدكم صلب المسيح بالقول وأنكره عن جهل أمام الناس، وكان سبباً في التجديف عن تعاليم الناس، فليتب وليأمل الخلاص، لأن النعمة ذاتها لا تزال حاضرة حتى الآن.

16 – الدعوة إلى العماد

"تشجّعي يا أورشليم، فإن الرب نزع عنك آثامك" (صفنيا 3/14). "ألرب يغسل دنس آبائه وبناته بروح العدل وروح الإحراق" (اشعيا 4/4)، وسيرشّ عليكم ماءً نقياً فيطهرّكم من كل خطاياكم (حز 36/25). إن أجواق الملائكة تحيط بكم وتقول : "مَن هذه الطالعة في ثوب أبيض مستندة على حبيبها؟" (نشيد 8/5)، لأن النفس التي كانت قبلاً عبدة، قد تبنّاها الرب. ويرتّل الذي قُبل وضميره مستقيم : "جميلة أنتِ يا خليلتي، وأسنانك كقطيع مجزوز قد طلع من الاغتسال" (نشيد 4/2)، وبسبب اعترافك بضمير نقي، ثمّ يضيف "وعيناك كحمامتين"، بسبب النعمة المزدوجة، أي التي يُحصل عليها بالماء والروح، والتي تأتي من كرازة العهدَين القديم والجديد. الآن وقد اتممتم الصيام وحفظتم التعاليم وازدهرتم بأعمال البرّ (كولوسي 1/10)، عسى

الله يسمح لكم بالمثول بلا لوم أمام العـروس الـروحي، لكي تنــالوا مغفرة خطاياكم من الله، الذي يُرفع إليـه المجـد مـع الإبن والـروح مدى الدهور. آمين.

العظة الرابعة

في العقائد العشر

"احذروا أن يسلبكم أحد بالفلسفة والغرور الباطل حسب سنّة الناس على مقتضى أركان العالم، لا على مقتضى المسيح. فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم ممتلئون فيه، وهو رأس كل رئاسة وسلطان"

(كولوسي 2/8 – 10)

1 – الكنيسة تدعو أبناءها إلى حسن التمييز

تظهر الرذيلة بمظهر الفضيلة، كما أن الزؤان يظهر بمظهر القمح، ولا يميّزه، عارفوه ألاّ بتذّوقه. وهكذا يغيّر الشيطان هيئته إلى هيئة ملاك نور (2كور 11/14)، لكيلا يصعد مرّة أخرى إلى حيث كان، (إذ قسى قلبه كالسنديان (أيوب 41/15) فصارت إرادته عاجزة عن أن تتوب)، بل لكي يحيط بضباب العمى هؤلاء الذين يحبون حياة أشبه بحياة الملائكة، ويضعهم في حالة الكفر المهلكة. ذئاب كثيرة تجول في ثياب حملان (متى 7/15)، ولكن ليست لها حوافرها ولا أنيابها. إنهم يتستّرون في جلد الحيوانات الأليفة، وبهذا الزيّ الخدّاع يجذبون إليهم

البسطاء، ومن أنيابهم يبثّون فيهم سُمّ الكفر المهلك. لذلك نحن في حاجة إلى النعمة الإلهية وإلى ذهن معتدل وإلى أعين متيقظة، لكي لا نأكل الزؤان بدلاً من القمح فنضرّ أنفسنا بجهلنا، ولا نحسب الذئب حَمَلاً فنقع فريسة له؛ ولا نظنّ الشيطان ملاك خير فنهلك. لأنه، على حدّ قول الكتاب المقدّس : "كالأسد الزائر يجول ملتمساً من يبتلعه" (1 بطرس 5/8). هذا هو السبب في تنبيهات الكنيسة وإقامة التعاليم، وتلاوة الكتب المقدسة.

2 – ضرورة الإيمان والأعمال

تقوم العبادة الإلهية على أساسين : العقائد المقدّسة وأعمال البرّ.

فالعقائد بدون أعمال البرّ لا يمكن أن ترضي الله، والله لا يمكنه أن يتقبّل أعمال البرّ بدون عقائد؛ إذ ما الفائدة أن تعرف صحة العقائد الخاصة بالله، إن كنت تعيش في الدعارة؟ وما الفائدة أن تكون معتدلاً بنبيل الطبع، إن كنت مجدِّفا جاحداً؟ فمعرفة العقائد إذن كنز ثمين ضروري للنفس المتيقظة، إذ كثيرون هم الذين يفسّدون بفلسفتهم الكاذبة وخداعهم الباطل (كولوسي 2/8). فاليونانيون يجذبون الكثيرين بخطبهم البليغة، "لأن شفتي الأجنبية تقطران شهداً" (أمثال 5/3). وأهل الختان يخدعون من يلتقون بهم، بتفسيرهم الكتاب تفسيراً خاطئاً (طيطس 1/10)، رغم دراستهم له منذ الطفولة حتى الشيخوخة (2 تيمو 3/7). والهراطقة يغرّون بسطاء القلوب (رومة 16/18) بعباراتهم المنمّقة وعذوبة لسانهم، مستخدمين إسم المسيح كالشهد، يخضّلون به أسهم

عقائدهم المملوءة كفراً. فعن هؤلاء جميعاً يقول الرب : "إحذروا أن يضلكّم أحد" (متى 24/4). ولهذا السبب نقوم بتعليم عقيدة الإيمان ونفسرّها على مقتضى التقليد.

3 – الفائدة من عرض العقائد الضرورية

ولكن قبل أن نسلّمكم عقائد الإيمان، يبدو لي من المستحسن أن نراجع بسرعة العقائد الضرورية، حتى لا تحمل كثرُة العقائد المعروضة، مع طول مدة أيام الصيام المقدس، البسطاءَ منكم على النسيان. والمواضيع التي نتناولها اليوم باقتضاب هي ذاتها التي سنعاجلها بإسهاب فيما بعد. أما الذين هم أكثر كمالاً منكم، هؤلاء الذين قد تروَضت حواسهم على التمييز بين الخير والشر (عبر 5/14)، فليصبروا لدى سماعهم هذه الأشياء البسيطة التي هي أشبه ما تكون باللبن الذي يُعطى للأطفال (عبر 5/12 ـ 14؛ 1 بطرس 2/2؛ 1 كور 3/2)، حتى إن المحتاجين إلى التعليم يستفيدون منه، والذين لهم سابق معرفة يستذكرونه جيداً.

في الله

4 – إله واحد أبو المسيح

لتكن قبل كل شيء عقيدتك بالله الأساس في نفسك : الله واحد وحيد غير مولود، لا بداية له ولا تغيير فيه ولا تنوّع؛ لم يولد من آخر ولم يعقبه آخر، لم يبدأ حياته في الزمن ولا ينتهي أبداً. أنه صالح وعادل في نفس

الوقت. فإذا سمعت هرطوقياً ينادي بوجود إله صالح وآخر عادل، تذكّر في الحال سهام الهراطقة المسمومة، فقد ذهب بعضهم في خطبهم إلى حدّ الكفر، إذ هم يقسمّون الله الوحيد بقولهم : إن الله الذي خلق النفس هو غير الذي خلق الجسد. كيف يمكن لإنسان أن يكون خادماً لسيّدين؟ في حين أن ربنا يقول في الإنجيل : "لا يقدر أحد أن يخدم سيدّين" (متى 6/24). إن الله إذن وحيد، وهو الذي خلق النفوس والأجساد معاً. واحد هو خالق السماء والأرض، خالق الملائكة ورؤساء الملائكة. صانع كل ذلك أيٌ لابن وحيد واحد قبل الدهور، ربنا يسوع المسيح، الذي به كوّن كل شيء (يو 1/3)، ما يُرى وما لا يرى (كولسي 1/16).

5 – سمّو كمال الله

إن ربنا يسوع المسيح لا يحدّه مكان، وهو ليس بأقلّ من السماء، بل هي من صنع يديه (مز 8/4)، وكل شيء في قبضة يده (أشعيا 40/12). إنه في كل شيء ولا يحويه شيء. لا تظنَّ أن الشمس أكثر ضياء منه أو أنها تشابهه في الضياء. فالذي صنع الشمس يجب أن يكون أعظم منها وأكثر ضياء بما لا يقاس ... إنه يعرف كل شيء قبل أن يكون، وقادر على كل شيء. أنه يعلم بكل شيء ويفعل ما يشاء، ولا يخضع لنظام الأشياء، ولا لمحض صدفة أو قضاء أو قدر. أنه كامل في كل شيء، ويملك كل أنواع الفضائل في كمال مطلق متساوٍ، لا ينقص ولا يزيد، بل

هو هو لا يتغيّر، يُعدّ العقاب للخطأة والإكليل للأبرار.

6 – الإيمان بالإله الواحد يحفظ من عبادة الأوثان

لقد ضلَ الكثيرون بطرق مختلفة في معتقداتهم عن الله : فعبدّ البعضُ الشمسَ حتى إذا ما غابت يبقون في الليل بدون الله؛ وعبد البعض الآخر القمر حتى يكونوا بلا إله في النهار؛ وبكلمة، عبدوا كل شيء في الكون : الفنون والطعام والملذّات وحبّ النساء؛ فأقاموا تمثالاً لامرأة عارية دعوها "فينوس"، عبدوا فيها شهواتهم بصورة منظورة. وبُهر البعض بالذهب فعبدوه، كما عبدوا معادن أخرى.

فإذا أرسخ أحد في قلبه عقيدة وحدانية الله وخضع لها، مبتعداً عن عبادة الأصنام وأخطاء الهراطقة، فقد ألقى في نفسه بالإيمان أساس العقيدة الأولى للتقوى.

في المسيح

7 – الإبن مساوٍ للآب

آمِن كذلك بابن الله الواحد الوحيد، ربّنا يسوع المسيح، إلـه مولـود من إله، حياة مولودة من حياة، نور مولـود من نـور، مسـاوٍ للـذي ولده في كل شيء. إنـه حكمـة الله وقدرتـه وبـرّه الكـائن (1 كـور 1/24- 30)، وهـو يجلس عن يمين الآب قبـل كـل الـدهور، لا – كما يعتقد البعض – لأنه تقبّل العرش الـذي عن يمين الآب مكافـأة له على احتماله آلامه بصبر (عبر 2/9)، بل لأنه مولود منذ

الأزل. وإذا هو يجلس مع الآب لكونه إله، فله الكرامة الملكية والحكمة والقدرة، كما قلنا، ويملك مع الآب دون أن يتقصه شيء من الكرامة الإلهية. إنه يعرف الآب الذي ولده، كما أن الآب يعرفه (يو 10/15). ولاختصار كل ذلك، فما عليكم إلاّ أن تذكروا ما جاء في الإنجيل : "لا يعرف الإبن إلاّ الآب، ولا يعرف الآب إلاّ الابن" (متى 11/27).

8 – الابن، كلمة الله، هو وحيد

ولكن لا تجعل الابن غريباً عن أبيه، ولا تخلط بين الاثنين بمنح الأُبوّة للابن. لكن آمن بأن الإله الوحيد له ابن واحد وحيد مولود، الذي هو الإله الكلمة قبل كل الدهور، كلمةٌ لم يُنطق بها ولم تتبدّد في الهواء، ولا تشبه كلمات الخطَب التي لا كيان لها. ولكن كلمة وابن خالق الكائنات العاقلة، كلمة يسمع الآب ويتكّلم هو نفسه.

وسنتكلم عن كل ذلك باسهاب في اليوم المناسب، إذا أراد الله، إذ نحن لا ننسى أن هدفنا الآن هو التمهيد لعقائد الإيمان باختصار.

في ميلاده من العذراء

9 – تجسُّدُ الابن من الروح والعذراء واقع حقيقي

آمِن بأن هذا الابن الوحيد لله نزل من السماء إلى الأرض بسبب خطايانا، وأنه أخذ طبيعتنا البشرية المعرّضة للألم، وولد من القديسة العذراء ومن الروح القدس. وهذا التجسَد لم يتمَ بحسب الفكر أو بحسب المظهر، بل تمّ بالفعل. وجاء من العذراء لا كمن

يمرّ بقناة، بل أخذ فعلاً جسداً فيها. (ورضع منها فعلاً، وأكل وشرب مثلنا فعلاً). فلو كان التجسد مظهراً لكان الخلاص مظهراً أيضاً. كان المسيح مزدوجاً : إنسان في ما كان يُرى، وإله فيما كان لا يُرى. وكإنسان كان يأكل مثلنا، وكان له جسد معرّض للآلام؛ ولكنه كإله أطعم خمسة آلاف رجل خبزاً (متى 14/17 ــ 21)، ومات فعلاً كإنسان، وكإله أقام ميتاً بعد أربعة أيام (يوحنا 11/39 ــ 44)، ونام فعلاً في السفينة كإنسان (متى 8/24) وكإله مشي على الماء (متى 14/25).

في الصليب

10 ـ صلب المسيح حقاً عن الجميع

وصلب حقاً عن خطايانا؛ وحتى إذا أردت أن تنكر ذلك، فإن المكان المنظور ذاته يقنعك بذلك، هذه الجلجلة المقدسة حيث نجتمع الآن من أجل الذي صُلب عليها. والأرض كلها مملوءة بأجزاء من خشبة الصليب. وصُلب، لا من أجل خطاياه، بل ليعتقنا من خطايانا. واحتُقر عندئذٍ من البشر ولُطم كإنسان (متى 26/67)، ولكنه اعترف به كإله من الخليقة : فأظلمت الشمس مرتعدة عندما رأت الرب مُهاناً بهذا الشكل، إذ لم تستطع أن تتحمّل مثل هذا المنظر (لو 23/45).

في الدفن

11 – كان النزول إلى الجحيم ملائماً

ووُضع فعلاً في قبر من حجر كإنسان (متى 27/60)، ولكن الأحجار تشقّقت مرتعبة بسببه (متى 27/51)، ونزل إلى أسافل الأرض لافتداء الأبرار. أخبرني، هل أنت تريد أن يتمتع الأحياء بالنعمة، على الرغم من أن معظمهم ليسوا قديسين؟ وهؤلاء المحجوزون هناك من زمن طويل، منذ آدم، ألم يكن من الواجب أن ينالوا أخيراً حريتهم؟ لقد رفع اشعيا النبيّ صوته عالياً وبشرّ بكل ما يخصّه. وهلاّ تريد أن ينزل الملك لإنقاذ رسوله؟ داود كان هناك وصموئيل وجميع الأنبياء. وكان يوحنا يسأل على لسان تلاميذه : "أأنت الآتي أم ننتظر آخر؟" (متى 11/3). هلاّ تريد أن ينزل لينقذ مثل هؤلاء الرجال؟

في القيامة

12 – القيامة مُحتملة ومثّبتة

ولكن الذي نزل إلى أسافل الأرض، صعد منها. ويسوع الذي دُفن فعلاً، قام في اليوم الثالث. وإن ضايقك اليهود صدفة، إسألهم في الحال : خرج يونان من جوف الحوت بعد ثلاثة أيام (يونان 2/11)، فَلِمَ لا يقوم المسيح من بطن الأرض بعد ثلاثة أيام؟ عندما مسّ الرجلُ الميتُ عظامَ اليشاع، عاش وقام على قدميه (4 ملوك 13/21)؛ أفلا ينهض بسهولة خالقُ البشر بقدرة أبيه؟

إنه قام حقاً، وبعد قيامته رآه التلاميذ. والتلاميذ الاثنا عشر الذين شاهدوا قيامته (أعمال 2/32 – 33)، شهدوا لا بالكلام المنّمق؛ بل باحتمال الآلام والموت لحقيقة قيامته. ماذا إذن؟ إن الكتاب يقول : "تقوم الكلمة بقول شاهدّين أو ثلاثة شهود" (تثنية 19/15؛ متى 18/16)؛ وهنا اثنا عشر تلميذاً يشهدون لقيامة المسيح؛ وأنت لا تزال غير مؤمن؟

في الصعود

13 – صعد المسيح إلى السماء، والأرض بأجمعها تعبده

لما أتم المسيح شوطه في ميدان الصبر، واعتق البشر من خطاياهم، صعد إلى السماء، إذ رفعته سحابة (اعمال 1/9).

كانت الملائكة تحفّ به، بينما كان الرسل واقفين مدهوشين. فإن كان أحد منكم لا يؤمن بما قلناه، فليؤمن الآن بقوّة الشهودز جميع الملوك عندما يموتون، ينطفئ سلطانهم بانطفاء حياتهم. أما المسيح المصلوب فيعبده العالم أجمع. إننا نبشّر بالمصلوب، والشياطين ترتعد. كثيرون صُلبوا خلال الزمن، ولكن دُعاء أيّ مصلوب آخرَ طرد الشياطين؟

14 _ علامة الصليب فخر للمسيحيّ

فلا تخجل إذن من صليب المسيح. وإذا رسم آخر علامة الصليب في الخفية فارسمه أنت على جبينك علانية. حتى إذا رأى الشياطين هذه

العلامة الملكية يهربوا بعيداً مرتعدين ارسم هذه العلامة وأنت تأكل وتشرب، وأنت تنام أو تنهض، وأنت تتكلّم أو تتمشّى؛ وبكلمة، في كل عمل تعمله. لأن الذي صُلب هنا هو في السماء. لو أنه بقي في القبر بعد صلبه ودفنه، لكنّا نستحي منه.

لكن الذي صُلب على الجلجلة صعد إلى السماء من فوق جبل الزيتونن من ناحية الشرق (زكريا 14/4 ؛ لو 24/50)، لأنه من هنا نزل إلى الجحيم، ثم عاد إلينا وصعد إلى السماء من بيننا. فهلّل له أبوه قائلاً : "اجلس عن يميني حتى اجعل من أعدائك موطئاً لقدميك" (مز 109/1).

في الدينونة المقبلة

15 – ويأتي المسيح ليدين الأحياء والأموات

ويسوع المسيح هذا الذي صعد سياتي لا من الأرض بل من السماوات وانا أقول "لا من الأرض"، لأن من الأرض سيأتي مسحاء كذبة كثيرون (1يو 2/18)، وقد بدأوا فعلاً في المجيء قائلين : "أنت هو المسيح" (متى 24/5). وبعد ذلك يأتي "رجاسة الخراب"! (متى 24/15)، مدّعية لنفسها باطلاً اسم المسيح. أما أنت فانتظر المسيح الحقيقي، ابن الله الوحيد، الذي سيأتي لا من الأرض بل من السماء، ظاهراً للجميع أكثر لمعاناً من البرق وكوكب النور تحفّ به الملائكة ليدين الاحياء والأموات، ويملك مُلكاً أبدياً سماوياً لا ينتهي. فاطمئنّ لذلك أيضاً، لأن كثيرون يقولون إن مُلك المسيح ستكون له نهاية.

في الروح القدس

16 – ظهور الروح القدس المساوي للآب والابن

آمن أيضاً بالروح القدس، ولتكن عقيدتك فيه نفسَ العقيدة التي تلقيّتها بخصوص الآب والابن. ولا تصدّق الذين يعلّمون متناقضات بخصوصه. واعلم أن الروح القدس واحد غير منقسم وقدير، يعمل كثيراً بدون أن يتجزأ؛ يعرف الأسرار ويفحص كل شيء حتى أعماق الله (1 كو 2/10). نزل على الرب يسوع المسيح في شكل حمامة عمل في الناموس والأنبياء وهو الآن يختم نفسك لدى العماد. تحتاج إليه كُل طبيعة عاقلة لتتقدّس. وإذا تجرّأ وجدّف عليه أحد "فلا يُغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي" (متى 12/32). إنه مكرَّم مع الآب والابن بذات مجد اللاهوت. تحتاج إليه العروش والسيادات والرئاسات والقوات (كولوسي 1/16)، لأن واحداً هو الله أبو المسيح، وواحداً هو الرب يسوع المسيح، الابن الذي يقدّس ويؤلّه كل شيء، والذي تكلّم في الناموس والأنبياء في العهدَين القديم والجديد.

17 – احفظ هذا الختم الإلهي في انتظار أدلّة كتابية أكثر إسهاباً

ليكن هذا الختم جائماً في ذهنك. إننا نحدّثك عنه الآن باقتضاب، ولكن إن شاء الله، فسيفسّر لك بقوّة وبأدلة مستقاة من الكتاب. في ما يتعلق بالقديسين وبأسرار الإيمان الإلهية، يجب ألاَّ نتحدث عنها دون تقديم الأدلّة على ما نقول، مستقاةٍ من الكتاب،

وألاّ ننخدع بحجج قائمة على كلمات واهية. وحتى انا الذي أحـدّثك، لا تصـدّقني إن لم آتِـك بالـدليل على مـا ابشـرّك بـه مسـتخرجاً من الكتـاب. هـا هـوذا إذن الإيمـان الـذي نـدين لـه لخلاصنا. إنه لا يقوم على عبارات منّمقة بمهارة، بل يسـتند إلى أدّلة من الكتب المقدّسة.

في النفس

18 – النفس روح حرّ ومسؤول

بعدما تحدّثنا عن الإيمان المـوّقرن المجيـد، الكليّ القداسـة بقي أن تعرف مَن أنت، لأنك، ايها الإنسان، كائن مزدوج مكوّن من نفس وجسد. وكما سبق ان ذكرنا لك أعلاه، الله هـو الـذي خلـق النفس والجسـد. وعلاوة على ذلـك، إعلم أن لـك نفسـاً حـرّة هي أجمـل صـنائع الله، خلقهـا على صـورته؛ إنهـا خالـدة لأن الله يمنحهـا الخلود. إنها كائن عاقل غير فاسد، لأن الله منحها عدم الفساد، لها السلطة بأن تفعل مـا تريـد. أنت لا تخطئ بمولجـك ولا تعيش في الزنى بمحض الصدفة؛ وليست هي أبراج الفلـك الـتي تـدفعك إلى ارتكـاب الفجـور، كمـا يـدّعي البعض لمـاذا تخشـى أن تعـترف بأعمالك الشـريرة، ناسـباً سـببها إلى النجـوم البريئـة؟ أرجـوك ألاّ تـولي المنجّمين اهتمامـاً، اذ يقـول الكتـاب عنهم : "ليـأتِ رؤوس الشهور وليخلّصوك مما هو آتٍ عليك. إنهم قد صاروا كعُصـافة، قد أحرقتهم النار ولم ينقذوا أنفسهم من يد اللهيب". (اشـعيا 47/13 – 14).

19 – مسؤولية النفس بحسب الكتاب المقدس

إعلم ان النفس مجيئها إلى هذا العالم لم تكن قد ارتكبت خطيئة، بل جاءت بدون خطيئة؛ وننحن نخطأ الآن بمحض إرادتنا. لا تفسرّ تفسيراً خاطئاً هذه العبارة : "فإن كنت أنا أعمل ما لا أريده..." (رومة 7/16)، بل اذكر الذي قال : "إن شئتم وسمعتم فإنكم تأكلون طيّبات الأرض؛ وإن أبيتم وتمرّدتم فإن السيف يأكلكم" (أشعيا 1/19 – 20). واذكر كذلك هذا القول : "كما جعلتم من أعضائكم عبيداً للدعارة والفسق ... كذلك اجعلوا الآن منها عبيداً في خدمة البرّ الذي يقود إلى القداسة" (رومة 6/19).

واذكر الكتاب الذي يقول أيضاً: "بما أنهم لم يؤثروا أن يستمرّوا على معرفة الله ..." (رومة 1/28)؛ وأيضاً : "لأن ما يُعرف عن الله بيّن لهم" (رومه 1/19)؛ وأيضاً : "اغمضوا عيونهم ..." (متى 13/15). اذكر كذلك كيف اتهمهم الله مرّة أخرى قائلاً : "إني غرستك أفضل كرمة وزرع حق بجملته، فكيف تحوّلت إلى غرس كرم أجنبي؟" (ارميا 2/21).

20 – نوع النفس واحد

النفس خالدة، وكل النفوس متشابهة، نفوس الرجال ونفوس النساء؛ إنما الاختلاف هو في أعضاء الجسد. ليست هناك أنواع مختلفة في النفوس : نوع يخطئ بالطبيعة وآخر يمارس البرّ بالطبيعة.

ولكن الإنسان يصبح خاطئاً أو بارًّا بملء إرادته واختيارهن إذ أن عنصر النفوس واحد في الجميع. لديّ أشياء كثيرة أقولها، إنما الوقت يمرّ.

ولكن أيّ شيء أهمّ من الخلاص؟ هل تريد الحصول على إمدادات ضدّ الهراطقة؟ هلاّ تريد أن تعرف عقبات الطريق، حتى لا يصبح الجهل سبباً في سقوطك في هاوية؟ إذا كان معلّموك يطلبون منك أجراً باهظاً لتعليمك هذه الأمور، أما كنت تجد من المفيد أن تحصل على أكبر قسط منها؟

21 – الثواب الإلهي دليل على حرّية الإنسان

تتمتّع النفس بحرّية الإرادة، وباستطاعة الشيطان أن يوعز إليها، ولكنه لا يستطيع أن يحملها على التصرّف ضدّ إرادتها. إنه يوعز إليها فكرة الزنى، ويمكنك أن تقبلها أو ترفضها إذا شئت؛ لأنك لو ارتكبت الزنى بحكم الضرورة، لما أعدّ الله لك جهنّم! ولو كنت تصنع البرّ بطبيعتك لا باختيارك، لَمَا أعدّ الله أكاليل تفوق كل ثمن. إن النعجة وديعة، ولكنها لا تكلَّل لوداعتها، لأن هذه الوداعة طبيعية فيها، وليست ثمرة فعل اختياري.

في الجسد

22 – جمال الجسم البشري

لقد تعلّمت، أيها الحبيب، ما فيه الكفاية عما يخصّ النفس.

فتلقَّ الآن، بقدر ما تستطيع، التعليمَ الخاص بالجسد. لا تقبل تعليم الذين يقولون إن الجسد غريب عن الله؛ لأن الذين يعتقدون أن الجسد شيء غريب عن الله، وإن النفس تسكن الجسد كما في وعاء غريب،

إنمّا يدّنسونه بالدعارة. وما هو الذي يعيبونه على هذا الجسم العجيب؟ ماذا ينقصه لكي يكون لائقاً؟ ما هو الذي في تكوينه لم يصنع بفنّ؟ ألا يجدر بهم أن يعتبروا مكان العينين المدهش؟ وكيف أن الأذنين مصنوعتان على شكل مائل، لالتقاط الصوت بدون عائق؟ وكيف أن الشمَّ يميّز بين الروائح ويحتفظ برائحة البخور؟ وكيف أن اللسان يقوم بوظيفتين : التذوق والكلام؟ وكيف أن الرئة الكائنة في الباطن لا تكفّ عن استنشاق الهواء؟ مَن ذا الذي يجعل القلب ينبض بلا انقطاع؟ تُرى مَن الذي يوّزع الدم بين هذا العدد من الأوردة والشرايين؟ مَن الذي يشدّ العظام بالأعصاب؟ مَن الذي يخصّص جزءاً من الطعام لتغذيتنا، والباقي لكي يُطرَد من الجسم؛ مَن الذي أخفى أعضاء الإنسان الخسيسة في أماكن ملائمة ! (1 كور 12/22 – 25). مَن الذي ربط الطبيعة البشرية، التي ستزول يوماً، برباط وحدة مستمّر؟

23 – النفس هي التي تخطأ

لا تقل لي أن هذا الجسد هو سبب للخطيئة. فلو كان الجسد سبب الخطيئة، فلماذا لا يخطأ الميت؟ ضع سيفاً في يد انسان مات حالاً، فإنه لا يرتكب جريمة قتل. ليّمرّ جمالٌ من أي نوع كان بجوار شاب ميت حالاً، فإنه لا تثور فيه شهوة دنسه. لماذا؟ لأن الجسد لا يخطأ بذاته، بل هي النفس التي تخطأ من خلال الجسد. الجسد هو أداة؛ إنه بالنسبة إلى النفس بمثابة معطف أو ثوب لها. فإذا ارتكب الزنى بواسطتها، فهو يتدّنس. وإن كان

بالعكس متحداً بنفس مقدّسة، فهو يصبح هيكلاً للروح القدس.

ليس هذا الكلام من عندي بل من الرسول بولس الذي يقول :"أما تعلمون أن أجسادكم هي هيكل الروح القدس؟" (1 كور 6/19). فأشفق على جسدك واحفظه كهيكل للروح القدس. لا تلوّثه بالزنى ولا توّسخ ثوبك الجميل. وإن كنت لوّثت نفسك فاغتسل بينما الوقت لم يفت بعد.

24 – الدعوة إلى نظام الرهبان والعذارى

أما فيما يختص بالعفاف، فاعتبروا نظام الرهبان والعذارى الذين يقضون في هذا العالم حياة ملائكية (وكذلك بقية الشعب المسيحي). لقد أُعِدَّ لكم، يا إخوتي، إكليل عظيم، فلا تقايضوا كرامة عظيمة بلذّة زهيدة. إسمعوا ما يقوله الرسول: "فلا يكن فيكم زانٍ أو مدنسّ مثل عيسو الذي باع بكرّيته بأكلة واحدة" (عبر 12/16). لقد سُجلّت في الكتب الملائكية بسبب رغبتك في العفاف، فاحذر من أن يُمحى اسمك من هذه الكتب بارتكابك الزنى.

25 – كرامة الزواج

إن كنت تؤدي واجب العفاف على وجه كامل، فيجب لذلك ألاّ تحتقر الذين هم أقلّ درجة منك بسبب إرتباطهم برباط الزواج.

"ليكن الزواج مكرَّما في كل شيء والمضجع طاهراً"، يقول الرسول (عبر 13/4). أنت المحافظ على عفافك التام، ألم تولد

من أهل متزوجين؟ أفلأنك تملك ذهباً، هل يجب لذلك أن تحتقر الفضّة؟ ليمتلئ أملاً أولئك المتزوجين شرعياً، الذين يستخدمون الزواج حسب الشريعة وليس لإشباع رغبات متطرّفة، ويعرفون الامتناع إلى حين ليتفرّغوا للصلاة (1 كور 7/5)، ويحضرون الإجتماعات في الكنيسة بملابس نقية أوجساد طاهرة، ويقصدون من وراء الزواج إنجاب الأطفال لا متعة اللذة.

26 – شرعية الزواج

لا يحتقر المتزوجون مرّة واحدة أولئك الذين يعقدون زواجاً ثانياً.

إن ضبط النفس لأمر نبيل يدعو إلى الإعجاب؛ ولكن الزواج الثاني مسموح به للضعيف كي لا يسقط في الزنى. يقول الرسول : "إنه حسن لهم أن يبقوا على هذه الحال كما أنا، "فإن لم يتعفّفوا، فليتزوّجوا؛ فالزواج خيرٌ من التحرّق بالشهوة" (1 كور 7/7 – 8). ابتعدوا عن الدعارة والزنى وكل فاسد من هذا النوع. احفظوا جسدكم طاهراً لكي يحترم اللهُ جسدكم. غذّوا جسدكم بالطعام ليعيش، ولكن لا للانصراف إلى الملذات.

في الأطعمة

27 – القناعة في المأكل

أما من جهة الطعام، فلتكن هذه قوانينكم، إذ كثيرون يعثرون بسببه. فالبعض لا يُبالي مما يقدّم للأوثان، بينما يمتنع البعض

الآخـر عن أكلـه. ولكن في نفس الـوقت يـدينون مَن يـأكلون منـه (رومه 14/3). وهكـذا بسـبب الطعـام تتـدّنس نفـوس البعض (1 كور 8/7) لجهلهم أسـبابَ الـذين يـأكلون والـذين يمتنعـون. فنحن نمتنــع عن الخمـر واللحم، لا كُرهـاً منّـا بـل أملاً في المكافـأة، إذ باحتقارنا الأشياء المادية سنتمتّع بالوليمـة الروحيـة العقليـة. "وإذ نـزرع الآن بالـدموع سنحصـد بـالترنيم" في الحيـاة الآتيـة (مـز 125/5). فلا تحتقـر إذن الـذين يـأكلون بسـبب ضـعف أجسـادهم (رومــه 14/3) ولا تُلُم الـذين يتنــاولون قليلاً من الخمـر من أجـل معدتهم وأمراضهم المتواترة (1 تيمو 5/23)، ولا تعتبرهم خطـأة لأجل ذلك. لا تكره اللحم كأنه عدّو، فإن الرسول عرف أناساً من هذا القبيـل، عنـدما كتب : "إنهم ينهـون عن الـزواج وعن أطعمـة خلقها الله ليتناولها ويحمد عليهـا الـذين آمنـوا وعرفـوا الحـق" (1 تيمو 4/3). لا تمتنع عن هذه الأطعمة على أنها أمور دنسة، فإنك قد لا تنال أجراً لذلك؛ ولكن أنظر إليها كأشياء صـالحة تمتنع عنهـا للحصول على خيرات وهبات روحية أفضل.

28 – لا تأكل مما يقدّم للأصنام

إحذر أنت من أن تأكل مما يقدّم للأصنام، لأنه في مـا يتعلـق بهـذه الأطعمة، لستُ أنا الوحيد الذي أمنعك عنها، بل الرسول ويعقـوب أسقف هذه الكنيسة. "وكتب الرسـل والشـيوخ إلى الجميـع رسـالةً جامعـــة لكي يمتنعــوا عن ذبـــائح الأوثـــان، ثم عن الـــدم واللحم المخنوق" (أعمال 15/23، 29)، إذ كثيرون من الرجال

متوحشون، يعيشون كالكلاب، ذلك أنهم يلعقون الدم كالوحوش الضاربة، ويتغذّون من اللحوم المخنوقة. أما أنت، يا خادم المسيح، فالتزم الوقار عندما تأكل. وما قلته عن الأطعمة يكفي.

في الملبس

29 – البساطة في الملبس

ليكن لباسك بسيطاً، لأنه ليس للزينة أو للتنّعم، بل لتدفئتك في الشتاء وستر عورتك، ولا تتبرهج كثيراً في لباسك بحجّة ستر عورتك، خوفاً من أن يؤدي بك ذلك إلى السقوط في ما هو أوهى.

في القيامة

30 – القيامة كما تبدو في الطبيعية

أرجوك أن تستخدم هذا الجسد باعتدال؛ وأعلم أنك عندما تقوم من بين الأموات ستدان بهذا الجسد. وإذا ساورد الشكّ بذلك، باعتباره أمراً مستحيلاً، فتأمل في نفسك. أخبرني أين كنت منذ مائة عام ونّيف؟ ومن أية مادّة حقيرة ضعيفة أخذت هذه العظمة والكرامة؟ وبما أن الذي لم يكن أصبح كائناً، فلماذا ما هو كائن وسقط لا يستطيع أن يقوم؟ والذي يقيم القمح المائت لأجلنا كل سنة، ألا يقيمنا هو الذي قام (من بين الأموات)؟ أنت ترى كيف أن الأشجار تبقى أشهراً بلا ورق ولا ثمار؛ ولكن حالما يمرّ الشتاء، كل شيء يحيا من جديد، كما لو أنه قام من بين الأموات.

ألا نُدعى نحن مراراً إلى الحياة؟ إن عصا موسى تحوّلت إلى حيّة بإرادة الله، والإنسان الذي مات ألا يمكن أن يعود إلى ما كان عليه مرّة أخرى؟

31 – القيامة إما للحياة وإما للعذاب

لا تسمع الذين يقولون إن الجسد لا يقوم، لأنه سيقوم. وإليك شهادة أشعيا بذلك : "سيحيا الأموات، والذين في القبور سيستيقظون" (أشعيا 26/19). ويقول دانيال : "كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية، وبعضهم للعار والرذل الأبدي" (دانيال 12/2). جميع البشر سيقومون، ولكن القيامة لن تكون ذاتها للجميع. سيحتفظ الجميع بأجسادهم إلى الأبد، ولكن لا بالكيفية ذاتها؛ إذ أن الأبرار سيتسلّمون جسدهم ليتمتعوا مع الملائكة، والأشرار ليبكوا على خطاياهم في العذاب الأبدي.

في العماد

32 – توبة العماد

يمنح الرب. بحسب عظيم رحمته، توبة العماد، لكيما، إذا نحن اغتسلنا من كثرة خطايانا وألقينا عن عاتقنا كل حمل ثقيل (عبر 12/1)، وتقبّلنا ختم الروح القدس، نصبح ورثة الحياة الأبدية.

ولكن بما أننا تحدّثنا بما فيه الكفاية عن العماد في البداية، فلنتناول الآن التعاليم العقائدية الأخرى.

في الكتب الإلهية

33 – لازم قراءة الكتب الأصلية

اننا نستقي من كتب العهدين، القديم والجديد، الموحى بها من الله. لأنه وحيد هو إله العهدَين الذي أظهر المسيح في العهد الجديد وتحدّث في العهد القديم، وقادنا خلال الشريعة والأنبياء حتى المسيح : "قبل أن يأتي الإيمان، كان مغلقاً علينا بحراسة الشريعة ... فالشريعة إذن كانت مؤدباً لنا إلى مجئ المسيح لننال البّر بالإيمان" (غلا 3/23 – 24). فإذا سمعت أحد الهراطقة يجدّف على الناموس أو الأنبياء، واجهه بكلمات المخلص : "لا تظّنوا أني جئت لأبطل كلام الشريعة والأنبياء؛ ما جئت لأبطل بل لأكمّل" (متى 5/17). وبصفتك رجلاً مجتهداً، تعلّم من الكنيسة ما هي كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد. ولا تقرأ كتاباً واحداً من الكتب المنحولة. فإذا كنت لا تعرف الكتب المعترف بها من الجميع، لماذا تضيّع وقتك في البحث عن الكتب المشكوك فيها والمتنازع عليها؟ إقرأ الكتب المقدسة الإثنين والعشرين سفراً للعهد القديم التي نقلها إلينا الإثنان وسبعون مفسَّرا.

34 – تاريخ الترجمة السبعينية

عند موت الإسكندر الأكبر، ملك مقدونيا، قُسّمت امبراطوريته إلى أربع إمارات : بابل ومقدونيا وآسيا ومصر. وكان أحد ملوك مصر، بطليموس الفيلادلفي، وهو ملك واسع العلم، مغرماً بجمع الكتب من كل بقعة بواسطة أمين مكتبته ديمتريوس دي فالير.

فلما سمع عن الكتاب المقدس الذي يحوي الشريعة والأنبياء، رأى من الحكمة أن يحصل عليه ممن كان في حوزتهم، لا بالقوّة، إنما بالهدايا والوسائل الودّية؛ لأنه كان يعلم أن ما يؤخذ عنوة لا يكون سليماً، وأن ما يقدّم بطيبة خاطر هو الذي يكون صحيحاً.

فأرسل إلى أليعازر، رئيس الكهنة في ذلك العهد، هدايا كثيرة لهيكل أورشليم؛ وطلب إليه أن يوافيه بستة شيوخ من كل سبط من أسباط إسرائيل الإثنى عشر، لترجمة الكتاب. ثم، لكي يتأكد من أن الكتب كانت إلهية أم لا، وأن المترجمين لم يتفقوا معاً مُقدَّماً، وضعهم في جزيرة تُدعى فاروس بالقرب من الاسكندرية، وأعطى لكل منهم منزلاً وكلّفه بترجمة جميع الكتب. ولما أتمّ هؤلاء الترجمة بعد اثنين وسبعين يوماً، قارن الملك بين جميع التراجم التي تمّت في أماكن مختلفة، فوجدها مطابقة بعضها لبعض لا في المعنى فقط بل وفي العبارة، إذ لم تكن تحتوي على كلمات مبتدعة ولا على سُفِسطات بشرية، بل كانت ترجمة صادقة لأقوال الروح القدس الموحى الإلهي للكتب المقدسة.

35 – كتب العهد القديم الإثنان والعشرون

إقرأ الأثنين وعشرين سفراً من هذه الكتب، ولا تطلّع على الكتب المنحولة. تأمل بعناية في هذه الكتب وحدها التي نقرأها بثقة في اجتماعاتنا. فقد كان الرسل والأساقفة الأولون من رؤساء الكنيسة الذين نقلوا إليك هذه الكتب، أكثر منك حرصاً وتقوى. فأنت، يا ابن الكنيسة، لا تغيّر في الشرائع القائمة، وتأمل في الإثنين

وعشرين سفراً للعهد القديم. وإن كنت مجتهداً، حاول أن تحفظها على صفحات قلبك بينما أنا أعددها : الكتب الخمسة لشريعة موسى، وهي : التكوين والخروج والأحبار والعدد وتثنية الاشتراع؛ ثم يشوع بن نون وسفر القضاة الذي يؤلف مع راعوت الكتاب السابع؛ وتأتي بعد ذلك الكتب التاريخية : سفر الملوك الأول والثاني، وهما عند العبرانيين كتاب واحد، وسفر الملوك الثالث والرابع، وهما كتاب واحد أيضاً. وجُمع في كتاب واحد سفراً أخبار الأيام الأول والثاني. وجمع كذلك في كتاب واحد سفراً عُزرا الأول والثاني. والكتاب الثاني عشر هو كتاب استير. هذه هي الكتب التاريخية. أما الكتب الشعرية فهي خمسة : أيوب والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد. وبذلك يكون المجموع سبعة عشر كتاباً. وتأتي بعد ذلك كتب الأنبياء الخمسة : كتاب الإثنى عشر نبياً الأصاغر، وكتاب أشعيا، وكتاب إرميا الذي يحوي أيضاً باروخ والمراثي والرسالة. وكتاب حزقيال، وكتاب دانيال. هذه هي كتب العهد القديم الإثنان والعشرون.

36 – كتب العهد الجديد

يحتوي العهد الجديد على أربعة أناجيل فقط. أما الباقي فمزّور ومضرّ. فقد كتب المانيون إنجيلاً "حسب توما"، أطلقوا عليه إسم الرسول لإفساد نفوس البسطاء. فتقبّل أعمال الرسل الإثنى عشر ومعها الرسائل الجامعة السبع ليعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا، وأخيراً رسائل بولس الأربع عشرة، خاتمة الرسل و

آخرهم. وألقِ بعيداً عنك بقية الكتب باعتبارها غير قانونية. وما لا يُقرأ في الكنائس، فلا تقرأه أنت كما سمعت. هذا ما كان يجب أن يقال لك في هذا الموضوع.

37 – حياة المسيحي الأخلاقية

أُهرب من كل مناورة شيطانية، ولا تثق بالتنين الجاحد الذي غيّر طبيعته الصالحة بملء إرادته، والذي يستطيع أن يُغري إرادتك دون أن يُكرهها على شيء. لا تسمع إلى أقوال الفلكيين والمنجّمين وكل من يُدعون بهذه الأسماء، ولا تثق بتكهنّات الوثنيين الخرافية.

ولا تهتم بالمشروبات السحرية ولا بالسحر ولا باستحضار الأرواح.

إبتعد عن الشراهة ولا تسعَ وراء الملذّات. إقتلع من نفسك البخل والربا الفاحش، ولا تتردّد على مشاهد الوثنيين العامة، ولا تستخدم الأحجبة في مرضك. إياك وقذارة الملاهي، ولا تميّز بين الأطعمة بحجّة أنها ملوّثة وغير طاهرة، ولا تشترك في إجتماعات الهراطقة.

واحفظ نفسك في كل وقت بالصيام والحسنات ومطالعة أقوال الله، لكيما، إذا قضيت البقية الباقية من زمان حياتك (1 بطرس 4/2) في ممارسة العفة والعقائد المقدّسة، يمكنك أن تتمتع بالعماد

الخلاصي. وهكذا يسجّل الله الآب إسمَك في السماوات، وتصبح جديراً بالأكاليل السماوية في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى أبد الدهور. آمين.

العظة الخامسة

في الإيمان

"فالإيمان ضمان الخيرات التي تُرجى وبرهان الحقائق التي لا تُرى، وبه شُهد للقدماء ..."

(عبر 11/1 – 3)

1 – المؤمن يشارك الله في إحدى صفاته

يا لَعظمة الكرامة التي يمنحها الرب لكم برفعكم من مرتبة "طالبي العماد" إلى مرتبة "مؤمنين". يوضح بولس ذلك عندما يقول : "إن الله الذي به دعيتم إلى شركة إبنه، ربنا يسوع المسيح، هو أمين" (1 كور 1/9). يُدعى الله "أميناً"، وأنت كذلك تدعى "أميناً أو مؤمناً" فيا لَعظمة الكرامة ! وكما أن الله يُدعى صالحاً وعادلاً وقديراً وخالق المسكونة، كذلك هو يُدعى "أميناً" فاعتبر إذن إلى أيّة كرامة رفعت، إذ أصبحت شريكاً لله في نفس اللقب.

2 – المؤمن غنّي في فقره

ما يُطلب منكم الآن هو أن يوجد كل واحد منكم "أميناً" في ضميره (1 كور 4/2)، "لأن الرجل الأمين مَن يجده؟"

(أمثال 20/6). لا تظهر لي ضميرك، لأنك لا تدان بحسب حكم إنسان، (1 كور 4/3)، بل أظهر صدق إيمانك لله "فاحص الكلى والقلوب" (مز 7/9) والعارف بأفكار البشر (مز 93/11)، عظيم هو الإنسان المؤمن وأغنى من أي غنّي، لأن للمؤمن يُعطى العالم وغناه، إذ هو يحتقرهما ويطأهما بقدمه. فالواقع أن الأغنياء ظاهرياً، الذين يملكون ثروات طائلة، هم فقراء النفوس، لأنهم كلما جمّعوا كلما التهبوا رغبة في الجمع. ولكن العجيب أن الإنسان المؤمن غنّي في فقرة؛ لأنه يعلم أن الغذاء والكساء هما وحدهما ضروريان، (1 تيمو 6/8) وإذ هو يمتلكهما يحتقر الغِنى.

3 – الإيمان يدير المجتمع الطبيعي

هذا الإيمان العظيم لا يوجد عندنا وحدنا، نحن المسيحيين، بل في ما يتمّ في العالم على أيدي الغرباء عن الكنيسة. فبالإيمان تربط شرائع الزواج بين الغرباء، فيصبح كل طرف شريكاً في جسد الطرف الآخر وفي ممتلكاته. وبالإيمان تقوم الزراعة، لأن الذي لا يؤمن بجني الثمار لا يقبل العناء. وبالإيمان يضع البّحارة ثقتهم في قطعة خشب رقيقة، ويستبدلون الأرض الثابتة بالأمواج المضطربة، مستسلمين لآمال واهية بدافع إيمان أقوى من كل مرساة. وتقوم معظم العلاقات البشرية على الإيمان. وهذا ليس فقط ما نقوله نحن، بل جميع من هم خارج الكنيسة، لأنهم وإن

كانوا لا يقبلون الكتب المقدسة، إلاَّ أنهم يرجعون إليها في عقائدهم الخاصة ويقبلونها بإيمان.

4 – الإيمان بالله يغلب الشيطان

إن قراءة اليوم تدعوكم إلى الإيمان القويم، وترشدكم إلى السبيل لإرضاء الله، إذ هي تقول : "أنه بغير إيمان لا يستطيع أحد أن يُرضي الله" (عبر 11/6). عندما يعتزم الإنسان خدمة الله، ألا يجب عليه أن يؤمن بأن الله سيكافئه؟ عندما تعتزم الفتاة على البقاء عذراء، أو عندما يقرّر الشاب الاحتفاظ بعفّته ألا يؤمن بأنه "سيحصل على إكليل المجد الذي لا يذوي" (1 بطرس 5/4) مكافأة له على عفافه؟ الإيمان هو بمثابة عين تنير الضمير وتهب الفهم، إذ يقول النبي : "إن لم تؤمنوا فلن تفهموا" (أشعيا 7/9 سبعينية)، و "سدّ الإيمان أفواه الأسود" (عبر 11/33؛ دانيال 6/21 – 23)، كما حدث مع دانيال، إذ يقول الكتاب عنه : "فأُخرج دانيال من الجبّ فلم يوجد فيه أذى لأنه آمن بإلهه" (دانيال 6/24) هل يوجد ما هو مرعب أكثر من الشيطان؟ إننا في مقاومته لا نجد سلاحاً آخر غير الإيمان (1 بطرس 5/9)، فهو درع غير حسّي ضدّ عدّو غير منظور، يُرشق سهاماً كثيرة في الليل البهيم فتصيب غير المتيقظين (مز 10/3)؛ ولكن بما أن العدّو غير منظور، فلدينا رداء متين هو الإيمان، على حدّ قول الرسول : "وفي كل حال خذوا مجنّ الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير النارية" (أفسس 6/16)، إذ كثيراً ما

السهم الناري الذي يرشقه الشيطان هو شهوة الدنس الرديئة. ولكن الإيمان إذ يصوّر لنا الدينونة يبرّد الذهن فيطفئ السهم.

5 – إيمان إبراهيم

على أن يوماً بكامله لا يكفي لكي أبسط لكم كل شيء عن الإيمان؛ فلنكتفِ إذن بأن نأخذ من بين أمثلة العهد القديم مثال إبراهيم، بما أننا بالإيمان أصبحنا أبناءه (رومه 4/11؛ غلا 3/7) : لقد تبّرر ليس فقط بالأعمال، بل بالإيمان أيضاً (يعقوب 2/21)، لأنه كثيراً ما كان يعمل بإستقامة. ولكنه لم يُدعَ خليل الله (يعقوب 2/23) إلاّ عندما آمن (تك 15/6)، فأكتملت جميع أعماله بالإيمان : فالإيمان غادر أهله ووطنه وبيئته وأهله (عبر 11/8، 10)؛ وكما أنّه تبرّر (رومه 4/24) ستُبرّر أنت أيضاً.

لقد كان جسده مائتاً من جهة النسل، لأنه كان قد طَعن في السنّ، وكانت إمرأته سارة قد تجاوزت سنّ الحمل. ولكنّ الرب وعد الشيخ نسلاً، ولم يضعف إبراهيم في إيمانه (رومه 4/19) إذ هو لم يتطلّع إلى جسده المائت ولا إلى ضعف جسمه، بل إلى قوّة الذي وعده، باعتبار أن الذي وعده كان أميناً (عبر 11/11)، بحيث أنه منح ابناً لجسدين مائتين ضد كل أمل. وبعد أن نال هذا الابن، تلقّى الأمر بتقديمه ذبيحة (تك 22/2، 10)، مع العلم بأنه كان قد سمع : "إنه بإسحق يُدعى لك نسل" (تك 21/12)، فقدّم لله إبنه الوحيد، مؤمناً بأن الله يستطيع أن يقيمه من الأموات (عبر

11/19)، إذ هو، بربط إبنه ووضعه على الحطب، قد قدّمه فعلاً بالنيّة، ولكن الله بصلاحه إحتفظ له بابنه، إذ استبدله بحمل (تك 22/9- 13). في كل ذلك كان أميناً فخُتِم للبّر. "وأخذ الختان سمة للإيمان الذي كان حاصلاً عليه وهو بعد في القلف" (رومة 4/11)، وتلقّى كذلك الوعد بأن يكون أباً لأمم كثيرة (تك 17/5).

6 – إبراهيم أبو المؤمنين

فلنرَ كيف صار إبراهيم أباً لأمم كثيرة، أنه ولا شكّ أب لليهود بحسب الجسد؛ ولكن إذا نحجن قلنا أننا متحدون به بالجسد، لجعلنا الوحي الإلهي باطلاً. لأنه ليس أبانا جميعاً بحسب الجسد، ولكن مثال إيمانه هو الذي يجعلنا جميعاً أبناء إبراهيم (رومه 4/12).

وكيف ذلك؟ ليس من المعقول بين البشر أن يقيم إنسانٌ إنساناً آخر من بين الأموات، كما أنه لا يصدّق أن يأتي نسل من الشيوخ. وكما أننا آمنا عندما قيل عن المسيح أنه سيصلب ويموت وينهض، كذلك نحن أصبحنا أبناء لإبراهيم باقتناء آثار إيمانه. وعندئذٍ، بعد الإيمان، نتقبّل مثله الختمَ الروحي؛ وذلك باختتاننا بالروح القدس في غسل الميلاد الثاني، لا بإزالة الجسد، ولكن بإزالة قلف القلب، كما يقول إرميا : "اختتنوا للرب وأزيلوا قلف قلوبكم" (أرميا 4/4)، وبولس الرسول : "بختان المسيح دفنتم معه في المعمودية ..." (كولسي 2/11 – 12).

7 – قوّة الإيمان تمكّن بطرس من السير على الماء

اذا حفظنـا هـذا الإيمـان، فسـنكون بلا لـوم ونتحلّى بكـل أنـواع الفضائل. هذه هي قوة الإيمـان الـتي تُمكّن النـاسَ من السـير على الماء. كان بطرس إنساناً مثلنا، له جسد ودم، ويقتات من ذات

أطعمتنا؛ ولكنه عندما آمن بكلمة يسوع حين قال له : "تعالَ" سار على الميـاه (مـتى 14/29)، جـاعلاً من إيمانـه الأسـاس الثـابت لسيره على المياه. كانت خفّة إيمانـه ترفـع ثقل جسـمه. ومـا دام يؤمن كانت قدمه ثابتـة على سـطح المـاء، ولكنـه عنـدما شـكّ بـدأ يغرق (متى 14/30). فبمـا أن إيمانـه ضـعف جزئيـاً أخـذ جسـده يغرق. فلما رأى يسـوعُ – مقـوّم ميـول النفس – اضـطرابه، قـال له : "يـا قليـل الإيمـان، لمـاذا شـكتت؟" (مـتى 14/31). وحـالمـا أمسك بيد الـرب، تشـجّع وآمن، واسـتطاع بقيـادة الـرب أن يسـير على الماء من جديد. هذا ما ينوه به الإنجيلُ بطريقة غير مباشـرة عندما يقول : "ولما ركبا السـفينة" (مـتى 14/32)، لأنـه لا يقـول أن بطرس صعد إلى السفينة بعد أن عام، بل يحمـل على الاعتقـاد بأنه لما اجتاز المسافة التي كانت تفصله عن يسـوع، أخـذه يسـوع وصعد معه إلى السفينة.

8 – الإيمان يمكن أن يُفيد الغير

الإيمان هو من القوّة بحيث أنه ليس فقط الذي يؤمن هو الذي يخلص، بل يمكن لغير المؤمن أن يُخلص بإيمان الغير. لم يكن مخلّع كفرناحوم مؤمناً، ولكنّ الذين كانوا يحملونه، والذين نقبوا السقف وأنزلوه من خلاله كانوا يؤمنون. كانت نفس المخلّع مريضة مثل جسده. لا تظن أني أتهمه باطلاً، فالإنجيل نفسه يعترف بذلك : "لمّا رأى يسوع – لا إيمانه – بل إيمانهم، قال للمخلّع : قم" (متى 9/2 – 7؛ مر 2/9 – 11). كان الذين يحملونه يؤمنون، والمخلّع هو الذي استردّ صحته.

9 – مثل أختّي لعازر

هل تريد أن تعرف بشكل أكثر يقيناً أن الإنسان يمكنه أن يخلص بإيمان غيره؟ مات لعازر (يو 11/1 – 44) وانقضى يوم ثم يومان ثم ثلاثة أيام، وانحلّت أعصابه وبدأ الفساد يدبّ في جسمه. كيف يمكن لميت له أربعة أيام أن يؤمن ويستنجد بالمخلص؟ ولكن ما كان يفتقر إليه الميت كان موجوداً عند الأختين. وعندما أتى يسوع سجدت له الأخت. ولما سألها : "أين وضعتموه؟ - إجابته : يا رب، قد أنتن لأن له أربعة أيام؛ فقال لها يسوع : إن آمنت فسترين مجد الله" (يو 11/14)، أي ما معناه : "أنتِ أتمّي ما ينقص الميت من إيمان". وكان إيمان الأختين من القوّة بحيث أعاد الميتّ من أبواب الجحيم. وهكذا يستطيع البعض، بإيمانهم لحساب الآخرين، أن يقيموهم من الموت. فاذا كنت أنت تؤمن بإخلاص لنفسك، فهلاّ تستطيع أن تحصل على نتيجة أكثر فائدة؟ وحتى إذا كنت غير مؤمن أو قليل الإيمان، فإن الرب صالح قد يُسّر بالصفح عنك. وعليه، قل أنت كذلك بكل بساطة : "إني

أؤمن يا رب، فأعِن قِلّة إيماني" (مر 9/23). أما اذا اعتقدت أنك مؤمن بحق، ولكنكَ لست في كمال الإيمان، فمن مصلحتك أن تقول مع الرسل : "يا رب، زدنا إيماناً" (لو 17/5). وبما أنك قمت بخطوة، فإن الله يقوم بخطوتين نحوك.

10 – الإيمان العقائدي

كلمة "الإيمان" من حيث اللفظ واحدة، ولكنها تحمل معنيين متمايزين : هناك نوع من الإيمان يتضّمن موافقة النفس على أمر معيّن؛ وهو مفيد للنفس، كما يقول الرب ذلك : "إن من يسمع كلامي ويؤمن يمن أرسلني فله الحياة الأبدية ولا يصير إلى الهلاك" (يو 5/34). وأيضاً : "من يؤمن بالإبن لا يُحكم عليه، بل انتقل من الموت إلى الحياة" (يو 3/18؛ 5/24). يا لمَحبّة الله التي لا نهاية لها ! لقد أرضى الأبرارُ الله مدّة سنوات عديدة، وما نالوه بسلوكهم الحسن مدّة سنوات طويلة، يمنحه له يسوع في ساعة واحدة (من العناء). لأنك إذا كنت تؤمن أن يسوع المسيح ربّ، وأن الله أقامه من الأموات، فأنت تخلص (رومه 10/9)، وتنتقل إلى الفردوس بواسطة ذاك الذي أدخل فيه اللص. ولا تشكّ في أن ذلك ممكن، لأن الذي أنقذ اللص الذي آمن، بعد ساعة واحدة من الإيمان على هذه الجلجلة المقدسة، (لو 23/43)، هو نفسه يخلّصك أنت الذي آمنت.

11 – الإيمان يصنع المعجزات

وهناك نوع آخر من الإيمان يمنحه المسيح علاوةً على النعمة : "يتلقّى واحد من الروح كلام الحكمة، وآخر يتلقّى، وفقاً للروح نفسه، كلام المعرفة وسواه الإيمانَ في الروح نفسه، وآخر هبة الشفاء" (1 كور 12/8 ـ 9). ها هو الإيمان بحسب النعمة التي يمنحها الروح. إنه ليس عقائدياً فحسب، بل يعمل أعمالاً تفوق

قوى البشر. فمن له مثل هذا الإيمان ويقول لهذا الجبل : "انتقل من هنا إلى هناك، ينتقل" (متى 17/19)، مَن يقول ذلك وهو يؤمن أن الشيء سيحدث (مر 11/23)، ولا يشكّ في قلبه، ينال هذه النعمة. وقد قيل في هذا الإيمان : "لو كان لكم إيمان مثل حبّة خردل ..." (متى 17/19)؛ وحبّة الخردل صغيرة الحجم، ولكنها تتمتّع بفاعلية قوية، ولو هي زُرعت بموضع ضيق لأتت بأغصان هائلة يمكنها أن تأوي طيور السماء (متى 13/32).

وهكذا الإيمان في النفس، مدّة لحظات يأتي بالعجائب؛ أنه يتمثّل الله ويحاول أن ينظر إليه في ضوء الإيمان على قدر الإمكان. ويصل إلى أطراف العالم، وقبل أن ينتهي هذا الدهر، يُري دينونته وتحقيق المكآفات الموعود بها. فليكن لك في الله الإيمان الذي يتوقف عليك، لكي تنال هذه القوّة التي تفوق القوى البشرية.

12 – حفظ قانون الإيمان واجب

إكتسب الإيمان الذي تتلقّاه بالتعليم والكرازة، وحافظ عليه؛ هذا الإيمان الذي تستودعه إياك الكنيسة الآن، الإيمان الذي يدعمه كل الكتاب المقدس. وبما أن الجميع لا يستطيعون أن يطالعوا الكتب المقدّسة، إذ البعض غير متعلّم، والبعض منشغل بحيث ليس لديه الوقت لمعرفتها، فقد لخّصنا كل عقائد الإيمان في آيات قصيرة، لكي لا تهلك النفس بسبب جهلها. وأودّ بعد هذا الدرس أن تحفظوا الملّخص، لا بكتابته على الورق، بل بنقشه في قلوبكم بواسطة الذاكرة واحذروا، وأنتم تحفظونه، من أن يسمع أحد

طالبي العماد ما سُلّم إليكم. ليكن لكم هذا الإيمان كزاد لمدّة حياتكم كلها؛ ولا تتلقّوا غيره حتى لو كنّا قد تغيّرنا نحن، وقلنا لكم أشياء مناقضة لتلك التي نعلّمكم إياها الآن. وحتى لو تحوّل ملاك ساقط الى ملاك نور (2 كور 11/14) بغية أن يضللكم.

"فلو بشّرناكم نحن أو بشّركم ملاك من السماء بخلاف ما بشّرناكم به، فليكن ملعوناً" (غلا 1/8 ـ 9). ولدى سماعكم هذه القراءة تذكّروا الإيمان، وتلّقوا طيلة الوقت اللازم البرهان على كل فصل، مستخرجاً من الكتب الإلهية. إن عذائد الإيمان لم تجمع كآراء بشرية، بل جمعت حقائق الإيمان الأكثر أهميّة لتأليف تعليم واحد للإيمان. وكما تحمل بذور الخردل أغصاناً كثيرة في حبّة صغيرة، كذلك يتضّمن الإيمانُ ذاته، في كلمات قليلة، كلّ معرفة التقوى التي ينطوي عليها العهد القديم والعهد الجديد. فانظروا إذن، يا أخوة، وتمسّكوا بالتقاليد التي تتلقونها الآن (2 تسا 2/14)، وسجلوها في أعماق قلوبكم (أمثال 7/3).

13 – الإيمان وديعة سوف نُسأل عنها

احفظوها بتدّين خوفاً من أن ينتزع العدو بعضـها، أو يُضـعف من قوّتها، أو أن يشوّه الهرطـوقي شيئاً ممـا سُـلّم إليكم. الإيمـان هـو إيداع الفضة في مصرف (لو 19/23) وهذا ما فعلناه الآن.

سيحاسـبكم الله عن الوديعـة الـتي عُهـد بهـا إليكم على حـدّ قـول الرسول : "أوصيك في حضرة الله الذي يحيي كل شـيء (1 تيمـو 5/21)، "وفي حضرة المسيح يسوع الذي شهد أحسن شهادة

بمحضـر من بيلاطس البنطي أن تحفـظ هـذه الوصـية بريئـة من العيب واللوم، إلى أن يظهر ربنا يسوع المسيح" (1 تيمو 6/13 – 14).

لقد سُلّم إليك كنز الحياة، وعند ظهوره سيبحث الـرب عن وديعتـه "التي ستظهرها في وقتها ذلك السعيدُ القدير وحـده، ملـكُ الملـوك ورب الأرباب؛ له وحده الخلود، ومسكنه نور لا يُقترب منه، وهو الذي لم يَرَه إنسان ولا يستطيع أن يراه، له الإكرام والعزّة الأبدية. آمين" (1 تيمو 6/15 – 16).

قانون إيمان كنيسة أورشليم

حسب النصوص الواردة في عظات القديس كيرلس

هذا هو الإيمان المقدس والرسولي المسّلم إلى المستنيرين ليقوموا بوعدهم :

1 – نؤمن بإله واحد، آب، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى.

2 – وبربّ واحد يسوع المسيح، المولود، إله حق، من الآب قبل كل الدهور، وبه كان كل شيء.

3 – لقد ظهر في الجسد وتجسّد من العذراء ومن الروح القدس.

4 – وصُلب ودفن.

5 – وقام من اليوم الثالث.

6 – وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب.

7 – وسيأتي بالمجد ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لمُلكه.

8 – وبالروح القدس الوحيد، المعزّي، الناطق بالأنبياء.

9 – وبمعمودية التوبة الواحدة لمغفرة الخطايا.

10 – وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة.

11 – وبقيامة الجسد.

12 – وبالحياة الأبدية.

العظة السادسة

في وحدانية الله "أؤمن بإله واحد"

"...إنّما الله فيك وليس آخر، ليس إله غيره. إنك لإله متحجّب، يا إله إسرائيل المخلّص... إنكم لا تخزون ولا تخجلون إلى دهور الأبد، لأنه هكذا قال الرب خالق السماوات، الله جابل الأرض وصانعها ... إني أنا الرب وليس آخر".

(اشعيا 45/14 – 18).

1 – للآب والابن مجد واحد

"تبارك إله ربنا يسوع المسيح وأبوه" (2 كور 1/3؛ راجع يو 20/17)؛ تبارك ابنه الوحيد (رومه 9/5)؛ لأننا عندما نفكّر في "الله" نفكّر بنفس الوقت في "الآب"، لكي نحتفي بشكل لا يتجزأ بتمجيد الآب والابن (مع الروح القدس). إذ ليس للآب مجد وللبن مجد آخر، بل هو المجد الوحيد نفسه (مع الروح القدس).

وبما أن الابن هو الابن الوحيد للآب، فعندما يُمجَّد الآب يشترك الابنُ في هذا المجد ذاته. وبما أن مجد الابن مستمّد من كرامة الآب (أمثال 17/6)، فعندما يمجّد الابن إذن، يكرَّم الآب الكلّي الصلاح تكريماً عظيماً.

2 – الله فوق كل إدراك

إن الذهن يدرك ذلك بسرعة؛ لكن اللسان في حاجة إلى كلمات ووسائل أخرى عديدة. تحيط العين بعدد كبير من الكواكب دفعة واحدة؛ ولكننا إذا أردنا أن نصف كل كوكب منها، وأن نعرّف ما هو كوكب الصباح وما هو كوكب السماء، وما هو كل كوكب، فإننا في حاجة عندئذٍ إلى كلمات كثيرة. ويدرك الذهنُ كذلك، في لحظة واحدة، الأرض والبحر وجميع آفاق الكون.

وما يدركه في لحظة يستلزم الكثير من الكلام للتعبير عنه. هذا المثل الذي قدّمته عظيم، ولكنه ضعيف لا يفي بالمطلوب؛ لأن ما نقوله عن الله، ليس ما هو خاص به، (لأن ذلك معروف منه وحده)، بل ما يمكن أن تحويه طبيعتُنا البشرية، وما يستطيع أن يتحمّله ضعفنا. في الواقع أننا لا نعبّر عمّا هو الله، بل عمّا لا نعرفه عنه على وجه الضبط. إننا نعترف بذلك بكل بساطة، لأن

الاعتراف بالجهل في الأمور الإلهية لَعلم عظيم. "عظّموا الرب معي ولنرفع اسمه جميعاً" (مز 33/4). أجل، فلنفعل ذلك جميعاً، لأن فرداً واحداً لا يكفي؛ وحتى عندما نتحد جميعاً لا يمكنّا أن نفعله كما ينبغي. وأنا لا أتكلّم عنّا نحن الحاضرين هنا، بل عن الكنيسة الجامعة، عن الكنيسة القائمة الآن والكنيسة المقبلة. فليتجمع القطيع بأسره، ومع ذلك سيكون عاجزاً عن أن يفي الراعيَ حقّه من المديح.

3 – إبراهيم يعترف أمام الله بأنه تراب ورماد

كان إبراهيم رجلاً عظيماً ومحترماً؛ كان عظيماً بين البشر.

ولكنه عندما اقترب من الله اعترف بتواضع : "أنا تراب ورماد" (تك 18/27). لم يقل "أنا تراب" ثم سكت. كمن كان يريد أن يلمّح بأنه كان عنصراً عظيماً، ولكنه أضاف "ورماد" ليعلن بذلك عن ضعفه ونتانته. هل يوجد أحطّ من الرماد وأنعم منه؟ قارن الرماد بمنزل، والمنزل بمدينة، والمدينة بمقاطعة، والمقاطعة بالإمبراطورية الرومانية، والإمبراطورية الرومانية بكل الأرض في حدودها، والأرض كلها بالسماء التي تحيط بها ! والمقارنة بالسماء أشبه ما تكون بمقارنة النقطة المركزية بمحيط الدار. واعلم أن السماء الأولى التي نراها أصغر من الثانية، والثانية أصغر من الثالثة. (ذكر الكتابُ هذه السماوات (2 كور 12/2) لا لأنها هي وحدها التي توجد، بل لأننا لم نُمنح الاّ معرفة هذه

السماوات)، وحتى هذه السماوات التي لا نعرفها، لا تستطيع أن تفي الله حقّه من المديح.

وإذا كانت هذه القوّات السماوية لا تستطيع أن تتغّنى بتسابيح الله كما ينبغي، فهل في استطاعة التراب والرماد، وهما من أحطّ ما في الوجود، أن يُسبّحا الله كما ينبغي وأن يتحدّثا بلياقة عن الله الذي يمسك بيده كرّة الأرض ويعتبر سكّانها كالجراد؟ (اشعيا 40/22).

4 – الطبيعة تفوق إدراك الإنسان فكم بالأحرى الله !

اذا حاول أحد أن يتحدّث عما يخصّ الله، فليتحدّث أولاً عن حدود الأرض. أنت تسكن الأرض ولا تعرف حدودها، فمن أنّى لك أن

تعرف بجدارة صانعها؟ أنت ترى الكواكب، ولكنك لا ترى خالقها. إحصِ عدد ما تراه، وعندئذٍ يمكنك أن تفسّر ما لا تراه؛ "ذلك الذي يحصي عدد الكواكب ويدعو كلها بأسمائها" (مز 146/4). لقد هطلت أخيراً أمطار غزيرة وتلاشت قطراتها بأقلّ من لمح البصر؛ فاحصِ اذا استطعت القطرات التي سقطت على المدينة، وأنا لا أقول على المدينة، بل على سطح منزلك لمدّة ساعة. إحصها ان استطعت. وإن لم تستطع اعترف بضعفك، واعترف كذلك بقدرة الله، لأنه "يحصي قطرات المطر" (أيوب 36/27) التي سقطت على الارض، ليس الآن فقط بل في الأزمنة كلها. الشمس من صُنع الله وهي كبيرة، ولكنها إذا قورنت بالكون تبدو صغيرة للغاية. فحاول أن تدرك الشمس أولاً، ثم ابحث في أمور الرب. "لا تطلب ما يُعييك نيله ولا تبحث عما يتجاوز قدرتك، لكن ما أمرَك الله به، فيه تأمل" "سيراخ 3/22 – 23).

5 – تبرير علم اللاهوت

وربّ معترضٍ يقول : إذا كانت الطبيعة الإلهية لا يمكن إدراكهـا، فلماذا تتحدّث عنها؟ فهل لأني لا أستطيع أن أشرب النهر كله، ألا يمكنّي أن آخذ منه حاجتي؟ وهل لأنـه ليس في سـعة العيـون كلهـا استيعاب الشمس كلها، ألا أسـتطيع أن أنظـر إليهـا مـا فيـه الكفايـة لفائدتي الخاصة؟ وإذا دخلت حديقة عظيمة ولم أقـدر أن آكـل من كل ثمارها، فهل تريد أن أخرج منها جائعاً؟ إذن لأسّبح خالقنا

وأمجدّه، لأن هذه الكلمة الإلهية أمر : "كـل نسـمة فلتسـبّح الـرب" (مز 150/6)؛ وأنا أسـعى الآن إلى تسـبيح الـرب لا إلى تفسـيره. وبما أني أعلم أني لا أستطيع أن أفيه حقـه من التسـبيح، فأنـا أبـذل ما في وسعي للقيام بعمل التقـوى هـذا، لأن الـرب يسـوع يُعزّيـني عن ضـعفي عندما يقول : "الله لم يَرَهُ أحد قط" (يو 1/18).

6 – الله يسمو على الملائكة، فكيف لا يسمو على الانسان؟

وربّ معترض يقول : ماذا إذن؟ ألم يُكتب : "إن ملائكـة الصـغار في السماوات يشاهدون أبداً وجه أبي الذي في السماوات"ـ؟ ؟

(متى 18/10). أجل، إن الملائكة ترى الله، ولكن ليس كمـا هـو، بل بحسب ما في وسعها؛ إذ يسوع ذاتـه يقـول : "لا أن أحـداً رأى الآب، بـل من أتي من لـدن الآب، هـو الـذي رأى الآب" (يـو

6/46). إن الملائكة ترى إذن بحسب ما في وسعها، ورؤساء الملائكة يرون بحسب ما في قدرتهم، والعروش والسلاطين يرون أحسن من السابقين، ولكن لا كما ينبغي. والوحيد الذي يمكن أن يراه كما ينبغي – فيما عدا الابن – هو الروح القدس، "لأنه يفحص كل شيء ويعرف حتى أعماق الله" (1 كور 11/10). وكما أن الابن الوحيد يعرف الآب كما ينبغي، كذلك يعرفه الروح القدس؛ إذ يقول يسوع : "ما من أحد يعرف الآب إلاّ الابن، ومَن شاء الابن أن يكشف له" (متى 11/27). إنه يرى الله كما ينبغي ويكشف عنه مع الروح القدس، وبالروح القدس، بحسب قدرة كل واحد. وبما أن الابن الوحيد يشترك في لاهوت

الآب مع الروح القدس، فهو الذي وُلِد منذ الأزل بعيداً عن كل هوى (2 تيمو 1/9)، يعرف والده ويعرف الآبُ مولوده. الملائكة لا يعرفونه (لأن الابن الوحيد يكشف عنه مع الروح القدس وبواسطته، بحسب قدرة كل واحد كما قلنا ذلك). فلا يخجل الإنسان إذن بالاعتراف بجهله. أنا أتكلّم الآن، والجميع يتكلّمون ملّ في حينه، أما كيفية الكلام فلا أعرفها. فمن أنى لي أن أفسرّ ذاك الذي وهبني الكلام نفسه؟ أنا الذي أملك روحاً لا أستطيع أن أصف كل مميزاتها، فمن أنّى لي أن أفسّر ذلك الذي أعطاني النفس؟

7 – الله مساوٍ لذاته

يكفي تقوانا أن نعرف فقط أنّ لنا إلهاً؛ وهذا الإله واحد كائن منذ الأزل، يشبه ذاته على الدوام، وليس هناك أب غيره، ولا أحد أقوى منه، بحيث أنه لن تنازعه خليقةٌ مُلكَهُ. إله له أسماء متعددة، قدير لا يتغيّر جوهره. وليس لأنه يُدعى صالحاً وعادلاُ وقديراً وصباؤوت يعني أنه يتغيّر ويتنوّع؛ ولكنه واحد هو هو ويُظهر طاقات لاهوته بألف كيفيه. لا زيادة فيه ولا نقص، بل هو مشابه لنفسه في كل شيء. فهو ليس عظيماً في الصلاح فقط مع بقائه قليل الحكمة، ولكن قدرته متساوية في الحكمة والصلاح. إنه لا يرى من جهة دون أخرى، بل كلّه عين وكلّه أذن وكلّه ذِهن. إنه ليس مثلنا يعرف شيئاً ويجهل آخر، فمثل هذا القول تجديف لا يليق بجوهر الله. إنه يعرف الكائنات قبل كيانها، قدوس هو وقدير، يفوق الكائنات كلها في السمو والعظمة والحكمة؛ ونحن لا

نستطيع أن نتكلم عن مبدئه وشكله ونوعه، إذ يقول الكتاب : "وأنتم لن تسمعوا صوته قط ولا رأيتم وجهه" (يو 5/37). وهكذا قال موسى لآل اسرائيل : "احتفظوا لأنفسكم جداً أنكم لم تروا صورة" (تثنية 4/15). فإذا كنا لا نستطيع أن نتصوّر له شكلاً، فكيف يستطيع ذهننا أن يدرك طبيعته؟

8 – التصورات الخاطئة عن الله

تصوَّر الناسُ اللهَ بصور مختلفة، ولكنهم أخطأوا جميعاً : فحسبه البعض ناراً (حكمة 13/2) والبعض رجلاً مجنحاً. بحسب ما هو مكتوب – إذ أساؤوا فهم العبارة القائلة : - "وبظلّ جناحيك

استرني" (مز 16/8)، ناسين قول ربنا يسوع المسيح في حديثه إلى أورشليم : "كم من مرّة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا" (متى 23/37)؛ ذلك أنهم أخذوا معنى كلامه حرفياً فاعتبروا الذي لا يقع تحت حِسٍّ إنساناً. وتجزّأ آخرون على القول إنّ لله سبعَ أعين بحسب ما هو مكتوب : "هذه هي سبع أعين سبع لكان نظره جزئياً لا يقع على كل شيء. ومثل هذا القول عن الله تجديف، إذ من الواجب أن نعتقد أن الله كامل في كل شيء، كما يعلّمنا يسوع المسيح بذلك : "إن أباكم الذي في السماوات هو كامل" (متى 5/48) : كامل في الرؤية، كامل في القوّة، كامل في العظمة، كامل في علم المستقبل، كامل في الصلاح، كامل في العدل، كامل في الرحمة.

لا يحدّه مكان بل هو يخلق كل مكان ويوجد في كل مكان. عرشه السماء؛ ولكنه يعلو عليها، "والأرض موطئ قدميه" (اشعيا 66/1؛ أعمال 7/49)، وتمتّد قوته إلى ما تحت الأرض.

9 – الله يفوق إدراك البشر

الواحد الأوحد يوجد في كل مكان ويرى كل شيء، ويخلق كل شيء بالمسيح إذ "كلّ به كوّن، وبغيره ما كان شيء" (يو 1/3). انه ينبوع كل صلاح ونهر خيرات لا ينضب، نور أزلي يسطع على الدوام، وقوّة لا تعرف الكلل في تحمّل اسقامنا وزلاّتنا بينما نحن عاجزون على حمل اسمه. "ألعلّك تدرك غور الله، يقول

أيوب : أم تبلغ إلى قياس القدير؟" (أيوب 11/7). فمن أنّى لك أن تدرك صانع الأشياء كلها؟ "ما لم تره عين ولا سمعت به أُذن ولا خطر على قلب بشر ما أعدّه الله للذين يحبّونه" (1 كور 2/9؛ اشعيا 64/4). إن كان ما أعدّه الله يفوق أذهاننا، فكيف يمكننا أن ندرك مَن أعدّ هذه الأشياء لأذهاننا؟ "ما أبعد غور غِنى الله وحكمته وعلمه، يقول بولس الرسول، ما أعسر إدراك أحكامه وتبيّن طرقه !" (رومه 11/33).

10 – في تعدّد الآلهة

إن الله من العظمة بحيث لو أني تحوّلت كلّي إلى لسان لما استطعت التحدّث عنه كما يليق. وحتى لو اجتمعت الملائكة بأسرها، لَما استطاعت أن تمجدّه كما يستحق. ومع أن هذا الإله

في منتهى الصلاح والعظمة، فقد تجاسر الإنسان أن يقول للحجر الذي نحته : "أنت إلهي" (اشعيا 44/17). فيا لّلعمى المريع الذي يهوي بالإنسان من عظمة هذا قدرها إلى انحطاط هذا عمقه ! الخشب الذي خلقه الله وسقاه بالمطر، وسوف تحرقه النار وتحوّله إلى رماد، هذا الخشب يُدعى الله، والله الحقيقي يُزدرى به. لقد تجاوزت خباثة الوثنية الحدود : فقد عبدت القط والكلب والذئب بلاً من الله؛ والأسد الذي يفترس الإنسان، عُبد بدلاً من الله محبّ البشر. وعُبد الثعبان والتنين اللذان كانا سبب خسراننا الفردوس، مما أدّى بنا إلى الابتعاد عن خالق الفردوس ! إنني أخجل أن أقول – ومع ذلك سأقول – إن البعض عبدوا النبات، وأُعطي الخمرُ ليفرح قلب الإنسان (مز 103/15)، فعُبد "باخوس" بدلاً

من الله. وخلق الله القمح عندما قال : "لتُنبت الأرض نباتاً عشباً يبرز برزاً بحسب صنفه" (تك 1/11)، حتى "يسند الخُبزُ قلبَ الإنسان" (مز 103/15)، فكيف تُعبد "سيريس"؟ وكيف أن النار التي تتولد من احتكاك الأحجار، لا تزال تكرّم حتى اليوم؟ وكيف يُعتَبر "فولكان" صانعَ النار؟

11 – تعدّد الآلهة يدعو إلى مجئ الابن

فمن أين أتى تعدّد الآلهة عند اليونانيين؟ اللهُ لا جسد له، فكيف ينسبون الزنى الى الذين يسمّونهم آلهة؟ إني أضرب صفحاً عن تحوّل "جوبتير" إلى بجعة، وأخجل من الإشارة الى تحوّله إلى ثور، لأن عجيج الثور لا يليق بإله ! لقد وُجد إله الإغريق زانياً،

فلم يخجلوا منه؛ ولكن إن كان زانياً فهو ليس إذن بإله. إنهم يتحدّثون عن موت آلهتهم، وعن أهوائهم وغيرتهم بعضهم من بعض؛ فانظر من أية كرامة سامية سقطوا ! هل نزل ابن الله من السماء بدون سبب؟ ألم يأتِ ليشفي جرحاً كان هكذا عظيماً؟ جاء الابن ليُخبر عن الآب، فهل كان مجيئه باطلاً لذلك؟ لقد عرفت ما هو الدافع الذي حدا بالابن الى النزول من عن يمين الآب. كان الآب غير معروف، فكان لا بدّ للابن من أن يصلح الأمر. كان لا بدّ للذي "به كان كل شيء" (يو 1/3)، أن يقدّم لرب الكون الخليقّة بأسرها. كان لا بدّ من شفاء هذا الجرح. هل كان هناك ما هو أخطر من هذا المرض : أن يُعيد الحجر بدلاً من الله؟

12 – خطأ الثنائية

لم ينشر الشيطان هذه الأباطيل عند الوثنيين وحدهم، ولكن بين كثير ممن يدّعون زوراً بأنهم مسيحيون، مستغلّين اسم يسوع العذب، ليحاولوا، بكل كفر، أن يفرّقوا بين الله وخلائقه. إني اتحدّث عن أبناء الهراطقة، أصحاب الإسم الكريه والبعيدين عن الله، الذي يتظاهرون بأنهم أصدقاء المسيح، ولكنهم في الواقع اعداؤه. لأن الذي يجدّف على ابي المسيح هو عدّو الابن أيضاً.

لقد تجرّأوا ونادوا بإلهين : إله للخير وإله للشرّ. يا لَلعمى المريع ! إن كان هناك إله، فهو لا يمكن أن يكون إلهاً صالحاً، إذ هو، إن لم يكن صالحاً، فلا يمكن تسميته إلهاً، لأن الصلاح هو من خصائص الله. وبما أن الله وحده يخصّه الصلاح والخير والقدرة،

فلا بدّ لهم من الاختيار بين أمرَين : فإما أن يتوجهّوا إلى الله لقدرته، أو أن يجردّوه من كل قدرة، وبالتالي فلا داعي لهم للتوّسل إليه.

13 – سخافة الثنائية

وقد تجرّأ الهراطقة على المناداة بوجود سماوين، ومصدرين للخير والشّر، وأنهما غير مولودين. فإن كانا غير مولودين فهما متساويان في كل شيء. فكيف إذن يبدّد النورُ الظلام، وبأية كيفية

هما متحدان أو منفصلان؟ لا يمكنهما أن يكونا متحدين، إذ يقول الرسول : "أية علاقة للنور بالظلمة؟" (2 كور 6/14)؛ وإن كان أحدهما منفصلاً عن الآخر، فلا شكّ في أن كلاهما يحتلّ مكاناً مستقلاً عن الآخر، وإن كانا يقيمان في مكان واحد، فلنا إذن إله واحد، ونحن نعبد إلهاً واحداً. وعليه يجب أن نستخلص من ذلك أننا إذا سايرناهم في جنونهم، فإننا ننتهي إلى عبادة إله واحد. لنسألهم عما يقولون في صدد الإله الصالح : هل هو قدير أم غير قدير؟ إن كان قديراً فكيف لا يستطيع أن يستحق الشّر؟ وكيف يتأتّى الشّر على الرغم من إرادته؟ إن كان هو يراه ولا يستطيع أن يمنعه، فلا بدّ أنهم ينسبون إليه العجز؛ وإن كان يستطيع أن يمنعه ولا يفعل، فهو إذن خائن. فانظر إذن إلى جنونهم : إنهم يدّعون أحياناً أن إله الشرّ لا علاقة له بالإله الصالح فيما يختصّ بالخليقة. ويقولون أحياناً إن له رُبع العالم. ويقولون كذلك إن الإله الصالح هو أبو المسيح، ويسمّون المسيح هذه الشمس. ولكن إذا كان العالم – حسب عقيدتهم – ناشئاً من إله الشّر، وإذا كانت

الشمس في العالم، فكيف يمكن لإبن الله الصالح أن يخدم مُكرها إله الشّر؟ إننا نتلوّث بالحديث عن هذه الأشياء. ولكننا نتحدّث عنها حتى لا يسقط أحد من الحاضرين هنا في حمأة الهراطقة عن جهل. إني أعلم أن فمي قد تلوّث، وكذلك آذان الذين يستمعون. ولكن الموضوع لا يخلو من فائدة، إذ من الأفضل أن نحدّثكم عن عقائد الآخرين الخرقاء، على أن ندعكم تسقطون فيها عن جهل. إن عقيدة الهراطقة الكافرة عديدة الشُعب؛ وعندما يضلّ أحد طريق التقوى، ينساق إلى إحدى شُعَبها.

14 – سيمون الساحر مصدر كل هرطقة

إن سيمون الساحر مصدر كل هرطقة؛ هذا الذي جاء عنه في أعمال الرسل (8/18 – 21) أنه أراد أن يشتري بالمال نعمة الروح القدس المجانية؛ فسمع هذا القول : "لاحظّ لك في هذا الأمر ولا نصيب" (أعمال 8/21). وعنه جاء كذلك : "خرجوا من عندنا ولم يكونوا منّا، لو كانوا منا لظّلوا معنا" (1 يو 2/19). فهذا الرجل، بعدما طرده الرسل، جاء إلى رومه حيث استمال إليه زانية إسمها "هيلين"، وتجاسر على الإدّعاء، مجدًّفا، فإنه هو الذي ظهر على جبل سيناء كآب، ثم ظهر لليهود كيسوع المسيح، لا في جسد حقيقي بل في ظاهر جسد، وأخيراً كالروح القدس الذي وعد المسيح بإرساله كمُعزٍّ. لقد خدع مدينة رومه بكاملها، بحيث أن الإمبراطور كلوديوس أقام له تمثالاً نقشت عليه باللغة اللاتينية هذه العبارة التي يمكن ترجمتها : "إلى سيمون الله القدوس".

15 – بطرس وبولس يدحضان ضلال سيمون الساحر

ولمّا كان هذا الضلال ينتشر في نطاق واسع، فقد جاء بطرس وبولس، رئيسا الكنيسة، إلى روما ووضعا حدًّا له. ذلك أنهما أسقطا جثّة هامدة ذاك الذي كان يدّعي أمام الجماهير بأنه الإله سيمون؛ إذ هو كان قد صرّح بأنه سيرتفع إلى السماء، وينطلق في الهواء على مركبة شيطانية. فركع خادماً الرب مُعرِبينِ بهذه الكيفية عن ذلك الاتفاق الذي سبق ليسوع أن تحدّث عنه بقوله :

"إذا جمع اثنان منكم في الأرض صوتيهما وطلبا حاجة، حصلا عليها من أبي الذي في السماوات" (متى 18/19). فقد كان إتفاقهما في الصلاة كسهم سُدّد إلى الساحر، فأراده جثّة هامدة على الأرض. لا تستغرب من ذلك حتى لو كان في ذلك ما يدعو إلى الاستغراب. لأن بطرس يقبض مفاتيح السماوات (متى 16/19)، ليس في ذلك ما يدعو الى الاستغراب أيضاً. لأن بولس كان قد اختُطف الى السماء الثالثة والى الفردوس، وسمع كلمات سرّية لا يحلّ لإنسان أن ينطق بها (2 كور 12/2 – 4).

لقد أسقطا من علّو السماء إلى الأرض ذاك الذي كان يدّعي أنه إله، وزجّا به في طبقات الأرض السُفلى. لقد كان هذا الرجل تنّين الخبث الأول، فلمّا قُطع رأسه نبتت من جذر الشرّ هذا رؤوسٌ كثيرة.

16 – ضلال الأبيونيين ومرقيون

وعمل كيرنتوس أيضاً على خراب الكنيسة، وكذلك ميناندر وكربوقراط والأبيونيون ومرقيون فمُ الكفر. ذلك أنه بشرّ بإلهين مختلفين أحدهما صالح والآخر عادل، مناقضاً ما قاله الإبن : "يا أبتِ العادل" (يو 17/25). وكان يقول كذلك إن الآب هو غير الذي خلق الكون، مخالفاً بذلك قول الإبن : "إذا كان العشب الذي يُوجد اليوم في البّر، ويطرح غداً في التنّور، يلبسه الله هذا

الشكل" (لو 12/28)، و"إنه يطلع شمسه على الاشرار والأخيار، وينزل غبثه على الأبرار والفجار" (متى 5/45). ويعتبر مرقيون هذا المصدر الثاني للشرّ، إذ أنه اختار شهادات من العهد القديم ودحضها بشهادات من العهد الجديد. وكان بذلك أول من تجرأ على فصل العهدّين، تاركاً الكرازة بكلمة الإيمان بلا دليل، لأنه كان قد تخلّى عن الله. وبما أنه لم يعد هناك مبشرّ للإيمان، فقد أراد تقويض إيمان الكنيسة.

17 – ضلال باسيليدس وفالنتينوس

ثم أعقبه باسيليدس السيء الذكر، وهو شخص فاسق دعا إلى الفسق. وجاء أيضاً فالنتينوس معيناً للشر، فنادى بوجود ثلاثين إلهاً. لقد كان الوثنيون يعترفون بعدد قليل من الآلهة. أما هذا الذي كان يدّعي أنه مسيحي، فقد بلغ به الضلال إلى حدّ المناداة بثلاثين إلهاً. فقد كان يقول أن فيتوس (أي العمق) وهذا لائق بمن هو في أعماق الشرّ أن يبدأ تعليمه من العمق) قد ولد سيغا (أي

الصمت). ومن سيغا ولد الكلمة. لقد كان فيتوس هذا شرًّا من نرفس الذي للإغريق، إذ هو تزّوج من إخته. لأن فالنتينوس كان يعلّم بأن سيغا كانت بنت فيتوس. هل ترى كيف كانوا يخلعون على بدّعهم طابع المسيحية ! تريّث قليلاً وسوف تكره كفرهم. فقد كان فالنتينوس، يقول فيتوس، ولد ثمانية "أيونات"، ومنهم وُلد عشرة، ومن العشرة وُلد إثنا عشر ذكراً وأنثى. ولكن ما هو دليلهم؟ هلاّ ترى سخافة هذه التأكيدات؟ وما الدليل على الثلاثين

"إيونـاً"؟ أنـه يجيب على ذلـك بقولـه أنـه مكتـوب : عنـدما إعتمـد يسوع كـان عمـره ثلاثين عامـاً (لـو 3/23)؛ فهـل في هـذا دليـل؟ حتى لو افترضنا أن يسوع عندما إعتمد كان له من العمـر ثلاثـون عاماً، هل يوجد خمسة آلهة لأنه كثّر خمسـة أرغفـة لخمسـة آلاف رجل؟ (متى 14/13 ــ 21) أو هل لا بـدّ من وجـود إثـنى عشـر إلهاً لأن عدد تلاميذه كان إثنى عشر؟

18 – المسيح بحسب تعليم فالنتينوس

وهذه الترّهـات ليسـت شـيئاً بالنسـبة لأقـوال كفـره الأخـرى. فقـد تجاسر وقـال : إن كمـال الآلهـة هـو كـائن "أنـثى – ذكـر" يُـدعى الحكمة. يا لـه من كفـر ! لأن المسـيح هـو "حكمـة الله" (1 كـور 1/24) وإبنـه الوحيـد. وهـذا الكـافر يحقّـر في تعليمـه حكمـة الله ويحطّها إلى منزلة إمرأة، إلى العنصر الثلاثين، إلى آخر مخلوق. ويضيف أن الحكمة سعت لترى الإله الأول؛ وإذا لم تحتمل بهاءه، سقطت من السماء وألقىَ بها الى المرتبة الثلاثين فتنهدّت، ومن

دموعها وُلد الشيطان، ومن بكائهـا على سـقوطها كـوّنت دموُعهـا البحر. أترى هذا الكفر ! كيف يتولّد الشيطان من الحكمة والفطنة من الشّر، والنور من الظلمة؟ ويقول كذلك إن إبليس وَلَدَ آخــرين، بعض منهم خلق العالم. وقد جاء المسـيح ليُبعـد النـاس عن خـالق العالم.

19 – أُهرب من الهراطقة

إسمع ماذا يقولون عن شخص المسيح يسوع، لكيما تزداد كراهيـة لهم. إنهم يعلّمون أن الحكمـة، بعـدما سـقطت، اجتمعت الإيونـات التسعة والعشـرون – لكيمـا لا يبقى العـدد الثلاثـون غـير كامـل – وكوّنت المسيح. وهم يقولون أن المسيح هو ذكـر وأنـثى في نفس الوقت. هل يوجد كفر أكبر من ذلك؟ إني أصف لك ضلالهم حتى تمقتهم بالأكثر. أهرب من كفرهم، ولا تسـلّم على أيّ هرطـوقي، لئلا تشـترك معهم في أعمـال الظلمـة (أفسـس 5/11). ولا تكن فضولياً ولا تحاول أن تستمع إلى أقوالهم.

20 – ضلال "ماني"

أُمقت كل الهراطقة، وخاصة ذاك الذي يُدعى بحق "مـاني" الـذي أقام من زمن ليس ببعيد في عهد "يروبُس". لقد بـدأ ضـلاله منـذ سبعين عاماً، ولا يزال الى يومنا هذا؛ أحياء رأوه بأعينهم.

فامقت إذن الكفر الذي كان يسود منذ وقت قريب. وامقت، بسـبب هذه العقائد الكافرة، صـانعَ الخـبيث ومسـتودع كـل كفـر، وبحـيرة الأوحال، الذي جمع فيه كل هرطقة. وإذ أنه أراد أن يتفوّق في

الشرّ، قّبل كل هرطقـة ملأى بالتجـديف، وربـط بينهـا في هرطقـة واحدة بحيث أنه خرّب الكنيسة، أو بالحري أهلك مَن كانوا خارجاً عن الكنيسة؛ إذ كان زائراً كالأسد يفترس كل من يجده (1 بطرس 5/8). لا تُبـالِ بكلامهم العـذب ولا بإتضـاعهم المزعـوم، فـإنهم حيّات "أولاد الأفاعي" (متى 3/7). يهوذا أيضاً قال : "السلام يـا

معلّم"، وهذا لم يمنعه أن يكون خائناً (متى 26/49)؛ فلا تقبّلهم واحفظ نفسك من سمومهم.

21 – تعاليمه الكاذبة

ولئلا أبدو أني أتهمه باطلاً، سنرى مَن هو ماني وما هي تعاليمه.

ولو أردنا أن نسرد كل ما عمل وكتب، لقضينا العمر كله في عرضه بجدارة. فتذّكر بهذا لكي يكون لك عوناً في حينه – ما نقوله الآن وما قلناه سابقاً – حتى يعرفهُ مَن لم يسبق لهم معرفته، ويتذكّره من سبق لهم معرفته. ماني ليس من أصل مسيحي، حاشا ! ولا هو كسيمون (الساحر) محروم من الكنيسة، لا هو ولا معلّموه؛ لأنه سرق شرور الآخرين ونسبها إلى نفسه، وإليك بأية كيفية :

22 – سيتيانُس وتلميذه تيريبنثوس أصل "المانّية"

كان في مصر رجل يدعى "سيتيانُس" من أصل شرقي، لا علاقة له بالمسيحية ولا باليهودية. سكن في الإسكندرية وامتثل بحياة أرسطو، وصنّف أربعة كتب : دعا أحدهما إنجيلاً، ولم يكن يحمل من الإنجيل غير الإسم، إذ لم يكن ينطوي على أعمال المسيح.

ودعا الثاني "الفصول"، والثالث "الاسرار"، والرابع، وهو المتداول اليوم، سمّاه "الكنز". وقد كان له تلميذ "تيريبنثوس"، ضربه الرب بمرض خطير فمات.

23 – موت تيريبنثوس

ورث تريبنثوس، تلميذ الفساد، المال والكتب والهرطقة، وأتى إلى فلسطين. ولما عُرف في اليهودية، حُكم عليه؛ فقرر الذهاب إلى بلاد الفُرس. ولكي لا يعرفه أحد هناك، استبدل إسمه باسم "بوذا". ولكن هناك أيضاً أصبح له أعداء كثيرون بين تلامذة ميترا، إذ دخلوا معه في نقاش وجدال وأثبتوا ضلاله. فالتجأ إلى أرملة لتحميه. وفي ذات يوم صعد إلى السطح، وأخذ يستدعي شياطين الهواء الذين لا يزال المانيّون يستدعونهم إلى اليوم من تحت شجرة التين الملعونة، فضربه الله، فسقط من السطح ومات.

وهكذا زال الوحش الثاني.

24 – كوبريكوس يخلفه باسم "ماني"

فخلّف وراءه تفسيرَه للكتب الكافرة، فورثته الأرملة مع ما تركه من المال. وإذ لم يكن لها قريب أو صديق، قرّرت أن تشتري شاباً يُدعى "كوبريكوس"، تبنّته وهذّبته كإبنها في التعاليم الفارسية.

وهكذا سنّت سهماً شرَّيرا ضد البشرية. اشتهر كوبريكوس، العبد الشرير، بين الفلاسفة. وعند موت الأرملة ورث الكتب والمال.

ولكي لا يحتفظ بإسم العبودية، إستبدل إسم كوبريكوس باسم

"ماني" الذي هو مرادف كوبريكوس بالفارسية. وإذ حسب نفسه مجادلاً، لقّب نفسه ماني، كما لو كان سيَّدا ممتازاً في الجدال، على غرار سلفه. لكنه سعى إلى تمجيد ذاته، كما يقال في لغة الفارسيين. إلاّ أن العناية الإلهية جعلته يدين نفسه رغماً عنه.

فبينما كان يظن أن اسمه مكرّم في لغة الفُرس، كان هذا الإسم عند اليونـان "مانيا" يعني الجنون.

25 – يدّعي ماني بأنه الروح القدس وصانع عجائب

لقد تجاسر فادّعى أنه "البارقليط" أي المؤيّد، على الـرغم من أنــه مكتوب : "أمّا مَن كفر بـالروح القـدس فلا غفـران لـه أبـداً" (مـر 3/29). لقـد إرتكب تجـديفاً بادِّعائه أنـه الـروح القـدس. ليت من يشترك مع هؤلاء الناس يرى مَعَ مَن يتحد ! لقد أثار العبدُ العـالم، إذا هـو مكتـوب : "تحت ثلاث تـرتجّ الأرض، وتحت الرابــع لا تستطيع الاحتمـال، تحت عبـد اذا ملـك" (أمثـال 30/21 ـ 22). وهذا ما حصل : فأخذ يَعد بمـا يفـوق طاقـة البشـر. فقـد حـدث أن مرض ابن ملك الفـرس، وكـان بقربـه عـدد من الأطبـاء. فـادّعى مــاني أن في اســتطاعته أن يشــفيه بصــلواته، لكونــه رجلاً تقيــاً. فانسحب الأطباء، وتخلّت الحياة عن الطفل.

وهنا إنفضح كفـره، وكُبِّـل الفيلسـوف العظيم بالسلاسـل وأُلقي في السجن، لا لأنه أراد أن يرشـد الملـك الى طريـق الحـق، ولا لأنــه حطّم الأصنام، بل لأنه قال إنه يمنح الحيـاة، فكـذب؛ أو بـالأحرى لأنه إرتكب جريمة قتل . فالطفل الذي كان بإمكانه أنه يُشفى عن

يد الأطباء، قتله ماني عن إهمال بطرده الأطباء.

26 – ماني بعد فشله

لقد تحدّثت عن شرور هذا الرجل العديدة : فاذكر أولاً تجديفه ثم عبوديته : ليس هناك ما يدعو إلى الخجل من العبودية، لكنّ الشرّ هو أنه كان عبداً فتظاهر بأنه حرّ. ثالثاً وعدّه الكاذب. رابعاً قتله الطفل. خامساً عار السجن. ولم يقف الأمر عند عار السجن، بل هرب منه. هرب ذاك الذي كان يدّعي أنه البارقليط والمدافع عن الحق. لم يكن خلفاً ليسوع الذي ذهب إلى الصليب طوعاً، بل هرب بالعكس. ونتيجة لذلك، أمر ملك الفرس أ، يقاد الحُرّاس إلى الموت. وهكذا كان ماني سبباً في موت الطفل من جرّاء عجرفته، وسبباً في موت الحرّاس من جرّاء هربه. فهل يستحق العبادة من ساهم في جريمة قتل؟ أما كان يليق به أن يقتدي بيسوع القائل : "فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون" (يو 18/8).

أما كان يقتضي عليه أن يقول مع يونان : "خذوني وألقوني في البحر ...، لأن هذه الزوبعة العظيمة إنما حلّت بكم بسببي" (يونان 1/12).

27 – جدال بين ماني والأسقف أرخِلاوس حول إله العهد القديم والعهد الجديد

هرب من الفرس ولجأ إلى بلاد ما بين النهرين. ولكن الأسقف أرخلاوس، سلاح العدل، اعتقله ودعاه إلى محفل من الفلاسفة

يضمّ وثنيين كذلك، حتى لا يُتهّم القضاة المسيحيون بالتحيّز. قال أرخلاوس لماني : "أخبرنا بماذا تبشّر؟" عندئذ تكلّم ذاك الذي فمه قبر مفتوح (مز 5/10) بتجاديف ضد خالق كل الأشياء، إذ قال : "إن إله العهد القديم هو مصدر الشّر، إذ يقول عن نفسه : "أنا نار

آكلة" (تثنية 4/24). فبدّد أرخلاوس الحكيم تجديفه بقوله : "إن كان إله العهد القديم، كما تقول، يدعو نفسه ناراً" (لو 12/49). وإن كنت تتهم الذي يقول : "الرب يحيي ويميت" (1 ملوك 2/6)، فلماذا لا تلوم الذي قال : "اذهبوا عني إلى النار الأبدية" (متى 25/41). إن كنت تلوم من قال : "أنا الرب ... مجري السلام وخالق الشرّ" (أشعيا 45/7)، فكيف تفسّر قول يسوع : "ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً" (متى 10/34). بما أنّ الإثنين يقولان نفس الشيء، فإننا أمام أحد أمرين : إما أن الاثنين صالحان بالتشابه، أو إذا كان يسوع عندما يقول ذلك، لا يستحق اللوم، فلماذا تلوم الذي يقول نفس الشيء في العهد القديم؟

28 – (تابع)

عندئذ أجابه ماني : لماذا يسبّب الله العمى للإنسان؟ إذ يقول بولس : "... عن الكفّار الذين أعمى بصائرهم إله هذه الدنيا لئلا تضيء

لهم بشارة مجد المسيح بنورها" (2 كور 4/4). فأجابه أرخلاوس بحق : "إقرأ جيداً ما جاء قبل ذلك : فإذا كانت بشارتنا لا تزال محجوبة، فإنما هي محجوبة عن السائرين في طريق الهلاك" (2 كور 4/3). إنها، كما ترى، محجوبة عن الهالكين،

إذ لا يجب أن يُعطى ما هو مقدَّس للكلاب (متى 7/6). ثمّ هل إله العهد القديم وحده هو الذي أعمى أذهان غير المؤمنين؟ ألم يقل يسوع نفسه : "إنما أخاطبهم بالأمثال لأنهم بصراء ولا يبصرون" (متى 13/15) فالواقع أنه حيث يوجد الفساد تغيب النعمة؛ "لأن من كان له شيء يزاد حتى يفيض، ومن ليس له شيء ينتزع منه حتى الذي له" (متى 25/29).

29 – أمثال عن عمى الوثنيين

هذا، ويفسّره البعض تفسيراً محقاً يليق بنا أن نأخذ به : إن حقاً هو أعمى أذهانهم لكيلا يؤمنوا، فقد أعماهم لأجل غاية صالحة، لكي ينظروا نحو الخير، لأنه لم يقل : "أعمى نفوسهم" بل "أذهان غير المؤمنين". ومعنى هذه العبارة هو كالآتي : "إعمِ الأفكار الدنسة عند الرجل الدنس فيخلص، إعم دهاء اللص فيخلص الرجل". وإن كنت لا تقبل هذا التفسير، فهناك تفسير آخر : الشمس تعمي من كانت عيونهم مريضة، فمن كانت أعينهم مريضة يعميهم النور، لا لأن من خصائص الشمس أن تعمي، بل

لأن جوهر العيون عاجز عن البصر؛ وهكذا الحال مع غير المؤمنين : بما أن قلوبهم مريضة، فهم لا يستطيعون التطلّع إلى بهاء اللاهوت.

فهو لم يقل : "اعمى أذهانهم لكيلا يفهموا الإنجيل"، بل "لئلا يروا ضياء بشارة ربنا يسوع المسيح" (2 كور 4/4). يحق لكل إنسان أن يسمع الإنجيل، أما ضياء البشارة فمحفوظ للذين يعرفهم المسيح. لأجل هذا تكلّم الرب بأمثال مع الذين كانوا لا يقدرون أن يسمعوه (متى 13/13). وكان يخلو بتلاميذه ليفسّر لهم الأمثال (مر 4/34). لأن ضياء المجد كان للذين تلقّوا النور، والعمى كان لغير المؤمنين. هذه الأسرار التي تشرحلها لك الكنيسة الآن، أنت يا من تجاوز مرحلة طالب العماد، لم تَعتَد أن تفشي بها للوثنين. إننا لا نبوح للوثني بالأسرار الخاصة بالآب والابن والروح القدس؛ إننا لا نتكلم بأسرارنا إلى طالبي العماد إلاّ بطريقة مقتضبة. ولكننا غالباً ما نتحدّث بطريقة مستترة، حتى يفهم المؤمنون الذين يعرفون، ولا يتكدّر الذين لا يعرفون.

30- إعدام ماني

بمثل هذه البراهين وغيرها يُغلَب التنين، وبمثل هذه المناقشات صَرَع ارخلاوُس ماني. فهرب من هذا المكان ذاك الذي كان قد فرّ من السجن، ولجأ إلى قرية حقيرة، مثلما فعلت الحية في الفردوس : تركت آدم واقتربت من حواء؛ لكن ارخلاوس، الراعي الصالح الذي يسهر على قطيعه، ما أن سمع بهربه حتى أسرع إلى البحث عن الذئب. وعندما رأى ماني خصمه فرّ

هارباً، وكان هذا آخر هرب له. إذ بحث عنه خيّالة ملك الفُرس في كل مكان وقبضوا على الهارب. وأبلغوه قرار الحكم الذي كان يجب أن ينفّذ فيه بحضور أرخلاوس. لقد اعتقِل ماني – هذا

الذي كان يعبده تلاميذه – وأحضر أمام الملك؛ فوبخّه الملك على كذبه وهربه وازدرى عبوديته، وانتقم لموت ابنه، وحكم عليه بالموت بسبب قتل حرّاس السجن. فأمر بسلخ جلد ماني حسب قوانين الفُرس، وقُدّم جسده طعاماً للوحوش الضاربة، أما جلده الذي كان يغطي أبشع نفس، فعلّق على أبواب المدينة. والذي كان يدّعي أنه البارقليط، ويَعلم الغيب ويتكهّن به، لم يعرف ان يتكهّن بهربه الخاص !

31 – تلاميذ ماني وسخافة التقمّص

كان له ثلاثة تلاميذ : توما، وبدّاس وهرماسّ. لا يقرأنّ أحد "انجيل توما"، لأنه ليس من أحد الرسل الإثنى عشر، بل أحد الثلاثة من تلاميذ ماني. لا يذهبنّ أحد إلى المانيين مفسدي النفوس الذين يتظاهرون بالصيام بشربهم عصير القشّ، ويتكلمون بالشّر على خالق الأطعمة، بينما هم يتلذّذون بأشهى الأطعمة. إنهم يعلّمون ان من اقتلع العشب يتحوّل إليه. فإن كان أحد يجمع عشباً أو بقولاً يتحوّل إليها، فإلى كم نوع يتحوّل المزارعون والجنائنيون؟ الجنايني الذ أخذ منجله وجعل يقلع الأعشاب الرديئة، كما نراه يفعل، إلى أيّ نوع من العشب يجب أن يتحوّل؟ أليس حقاً من السخافة أن يؤكد أحد مثل تلك العقائد السخيفة المشينة ! الراعي الذي يرعى القطيع ذبح نعجة وذئباً،

فإلى أيّ منهما يتحوّل؟ كثير من الناس يصطادون سمكاً وطيوراً، فإلى أيّ منهما يتحوّلون؟

32 – الماني يلعن بدلاً من أن يبارك

فليردّ المانّيون، أبناء الكسل، هؤلاء المتطفّلون الذين يأكلون من تعب العاملين؛ إنهم يرحبّون ببشاشة بالذين يُحضرون لهم الطعام، ثم يلعنونهم بدل أن يصلّوا لأجلهم، وإذا أتاهم أحد من اتباعهم بتقدمة ما، يقولون له : "ابتعد قليلاً فأباركك". ثم يأخذ الخبز في يديه ويقول المانيّ للخبز : - كما اقرّ بذلك الذين ارتدّوا منهم – "أنا لم أصنعك"، ثم يصبّ اللعنات على العليّ ويلعن الخالق؛ وهكذا يأكل الخبز، إن كنت تبغض الطعام هكذا، فلماذا تبتسم لمن يقدّمه لك؟ وإن كنت شكوراً لمن قدّمه لك، فلماذا تصبّ اللعنات على الخالق المحسن، على الله؟ ويتابع المانيّ : "أنا لم أزرعك، ليُزرَع من زرعك؛ أنا لم أحصدك، ليحصد من حصدك، أنا لم أخبزك في النار، لِيُشوَ من خبزك". ها هو امتنان أولئك الناس.

33 – تصرّفات المانيين البذيئة

هذه التصرفات تدلّ على فساد الأخلاق، ولكنها ليست بشيء إذا ما قورنت بغيرها. إني لا أجرؤ على وصف استحمامهم أمام الرجال والنساء، لا أجسر فأقول ماذا يلمسون عندما يغطسون، وأية قباحات يتعاطون ! ليُفهم بالتلميح إلى ما نقول : ليفكرّ

الرجال في ما يحدث لهم في أحلامهم والنساء في حيضهنّ. إننا ندّنس فمنا بالتحدّث عن هذه الأمور المخزية. هل يستحق

الوثنيون كراهيـة أكثر منهم؟ هل السامريون أكثر كفراً منهم، واليهود أكثر ذنباً، والزناة أكثر فسقاً منهم؟ لأن الذي يستسلم للفسق إنما يفعل ذلك للذّة مدّة ساعة، ولكنه بعد ذلك يدين عمله ويقرّ بأنه تنجّس، ويشعر بحاجة إلى التطهير، ويعترف بقباحة فعله. أما المانيّ فإنه يقيم مذبحه وسط الأدناس ويلوّث فمه ولسانه. وأنت أيها الإنسان، هل تقبل تعليماً من فم كهذا؟ وتذهب للقائه فتقبّله؟ فبغضّ النظر عن كفرهم، ألا تهرب من دنس هؤلاء الأشرار الذين هم شرّ من كل أوكار الدعارة !

34 – كيف يفسرّ المانيون المطر

تندّد الكنيسة بهذه الأمور وتعلّمك، إنها تكشف عن الأوحال كي لا تقع فيها. تريك الجراحات لكي لا تجرّح. يكفيك أن تعرف هذه الأشياء دون أن تجرّبها. الله يُرعد وكلنا نرتعد، أما هؤلاء فيجدّفون. يرسل الله الصاعقة، فننحني جميعنا حتى الأرض، أما هم فيرسلون اللعنات ضدّ السماء. يقول يسوع إن أباه يطلع شمسه على الاشرار والأخيار وينزل غيثه على الأبرار والفجار (متى 5/45)؛ وهؤلاء يقولون أن المطر يتأتى عن حبّ فاسق ويجرؤون على التأكيد بأن السماء عذراء جميلة وشاباً جميلاً، وأنهما يشعران كالجمال والذئاب في أيام القيظ بالشهوة الجنسية تدفعهما الواحد نحو الآخر في فصل الشتاء. فيسعى الشاب إلى

العذراء بوحشية، فتهرب، ولكنه يطاردها؛ وهو إذ يركض وراءها يعرق، وهذا العَرق هو المطر. هذا مكتوب في أسفار المانيين، وقد قرأناه، إذ لم نكن نصدّق أقوال مَن سردوه؛ وقد قمنا بهذه الأبحاث في عقيدة الكفر لفائدتكم.

35 – ما أجمل الحياة المسيحية بالنسبة لحياة المانيين

ولكن ليحفظكم الله من مثل هذا الضلال، وليجعلكم تكرهون هذه العقيدة النكراء كرهكم للحيّة؛ بحيث يتسنّى لكم أن تسحقوا رأسهم بينما هم يرصدون عقبكم (تك 3/15) اذكروا ما قيل لكم : أيّ اتفاق يمكن أن يكون بين عقيدتنا وعقيدتهم؟ أية صلة ممكنة بين النور والظلمات؟ (2 كور 6/14). أية علاقة بين قداسة الكنيسة وأعمال المانيين المشينة؟ هنا ترتيب ونظام وقداسة وطهارة، وهناك النظر إلى إمرأة لاشتهائها (متى 5/29) واللعنة.

هنا الزواج المقدس، والعفة في الترّمل والبتولية الملائكية، والشكر بعد الطعام والامتنان للخالق موّزع كل شيء؛ هنا يُعبد أبو المسيح، هنا الخشوع والورع نحو مرسل المطر؛ هنا نرفع التمجيد لذاك الذي يبرق ويُرعد.

36 – اختاروا عقائد الكنيسة السليمة

إتحد بالنعاج وأهرب من الذئاب، ولا تبتعد عن الكنيسة، وامقت الذين تلوّثوا يوماً بهذه العقائد. وإن هم لم يتوبوا فعلاً بارتدادهم إلى العقائد السليمة، فلا تخاطر بهم. لقد سلُّمت إليك الحقيقة عن

وحدانية الله، فميّز بين التعاليم كما تميّز بين الأعشاب : "تحققوا كل شيء وتمسكّوا بالحسن. اجتنبوا كل شرّ" (1 تسا 5/21). وإن كنت فيما مضى مثلهم، فاعترف بخطئك.

لأن هناك طريقاً للخلاص، إذا أنت تقيأت السمّ ومقتّ الضلال من كل قلبك، وابتعدت عنه لا بفمك بل بنفسك، وعبدتَ أبا المسيح، إله الشريعة والأنبياء، واعترفت بأن الإله نفسه صالح وعادل؛ عندئذ يحفظكم جميعاً من كل خطر وعثرة ويثبتكم في الإيمان بيسوع المسيح ربنا، الذي له المجد إلى أبد الدهور. آمين.

العظة السابعة

في الآب

"لهذا اجثوا على ركبتي للآب، فمنه كل أبوّة في السماء

والأرض، وأسأله أن يؤيدكم بروحه على مقدار سعة

مجده"

(أفسس 3/14 – 16)

1 – من الوحدانية إلى الأبوة

لقد حدّثتكم نهار أمس ما فيه الكفاية عن وحدانية الله. إني أقول "ما فيه الكفاية" لا من حيث استحقاق الموضوع (لأنه من المستحيل على طبيعة بشرية مائثة أن تفيه حقه)، ولكن من حيث قدرة ضعفنا على التحدّث عنه. لقد تتبعنا الهرطقات العديدة التي تهاجم الجوهر الإلهي في مختلف تعاريجها، وكشفنا النقاب عنها، لا لمسّكم بأذى، بل لمضاعفة مقتكم لها. ولكن لنعد إلى موضوعنا، ولنتقبّل التعاليم الخلاصية لإيماننا الحق. لنضف "الأبوّة" إلى الوحدانية الإلهية، ولنؤمن "بإله واحد يب". لا يجب أن نؤمن "بإله واحد" فحسب، بل أن نؤمن بأن هذا الإله هو أبو الإبن الوحيد، سيدنا يسوع المسيح.

2 – اليهود يرفضون أبوّة الله

لأن عقيدتنا – فيما يتعلّق بهذا الموضوع – تسمو على عقيدة اليهود الذين يؤمنون بالإله الواحد (ولكنهم كثيراً ما ينكرونه بانصرافهم إلى عبادة الأصنام !)، ولكنهم لا يسلّمون بأنه أبو ربنا يسوع المسيح. وهم بهذا ينقضون أنبياءهم الذين قالوا في الكتب المقدّسة : "قال لي الرب : أنت ابني وأنا اليوم ولدتك" (مز 2/7). إنهم الى يومنا هذا يتآمرون معاً على الرب وعلى مسيحه (مز 2/2)، حاسبين أن في استطاعتهم أن يروقوا في نظر الآب دون عبادة الإبن، جاهلين أنه لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الآب إلاّ بالإبن (يو 14/6) القائل : "أنا هو الباب" (يو 10/9)، "أنا هو الطريق" (يو 14/6)، فمن يرفض الطريق الذي يقود إلى الآب، وينكر الباب، كيف يمكنه أن يكون أهلاً للوصول إلى الآب؟ أنهم يناقضون ما جاء في المزمور الثامن والثمانين : "يدعوني أنك أبي وإلهي وصخرة خلاصي، وأنا أجعله بكري العلي فوق ملوك الأرض" (مز 88/27 – 28). وإن هم حاولوا أن ينسبوا هذه الآيات الى داود أو سليمان أو أحد من نسلهم، فليُظهروا كيف يكون عرشه حسبما وُصف في النبوءة : "مثل أيام السماء وكالشمس أمام الله، ومثل القمر يكون راسخاً إلى الأبد" (مز 88/30، 38). كيف لا يقلقون مما كُتب : "من الجوف قبل الفجر ولدتك" (مز 109/3)؛ وكذلك : "يدوم ما دامت الشمس والقمر إلى جيل الأجيال" (مز 71/5). إن محاولة نسب هذه الأشياء إلى إنسان لأكبر دليل على جهل تام.

3 – الإيمان بالآب يمهّد السبيل إلى الإيمان بالابن

ولكن اليهود سيظلّون مرضى ما داموا مصممين البقاء في عدم إيمانهم المعتاد أمام هذه النصوص وما شابهها. أما نحن الذين تلقينا عقيدة الإيمان، فإننا نعبد إلهاً واحداً، أبا يسوع المسيح (وهو الذي يمنح الجميع قدرة الولادة) ومن ينكر عليه هذا الحق يكون كافراً (أشعيا 66/9). فلنؤمن بإله واحد آب، حتى إننا قبل أن نشرع بدرس العقيدة الخاصة بالإبن الوحيد، يرسخ الإيمان بالابن الوحيد في قلوب المستمعين، بدون أن تطرأ على أذهاننا فكرة الإنفصال بينه وبين الآب.

4 – لا فاصل في الكيان بين الآب والابن

لأن مجرّد النطق باسم الآب، ذات التسمية تثير في ذهننا فكرة الابن، كما أن اسم الابن يجعلنا نفكر بالآب؛ وإن كان هو أب فهو أبو الابن في كل مكان، وإن كان هو ابن فهو ابن الآب في كل مكان. وعندما نحن نقول : "نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض"، نضيف "وبربّ واحد يسوع المسيح"، حتى لا يظنّ أحد أن الابن أدنى منه قداسة، إذ أن اسمه يأتي بعد "السماء والأرض". لذلك دعونا الله أبا لأن مجرّد التفكير في الآب يجعلنا نفكرّ في الابن. لأنه بين الآب والابن لا يوجد فاصل في الكيان.

5 – الله آب منذ الأزل

وعندما ندعو الله "أبا"، لأشياء كثيرة، فهذا إفراط. لأن الله ليس أبا، في الطبيعة والحق، إلاّ للإبن الواحد الوحيد ربنا يسوع المسيح، إنه لم يصبح أباً في الزمن، ولكنه منذ الأزل أب للإبن الوحيد، هذا ليس معناه أنه كان بدون ابن أولاً، ثم أصبح أباً فيما بعد بتغيير في أفكاره؛ ولكن كانت له الأبوّة قبل كل جوهر وكل كائن حسّي، وقبل جميع الأزمنة والدهور. وهذا اللقب هو له أكثر الألقاب مجداً. وأصبح أبا بدون أدنى تغيير وبدون اتحاد مع أي كائن آخر، وبدون جهل وبدون زيادة فيه أو نقصان أو تغيير.

(لأن : "كل عطية صالحة وهبة كاملة تنزل من عُلُ، من عند أبي الأنوار. وهو لا تبدّل فيه وال شبه تغيّر" (يعقوب 1/17). أب كامل ولد ابناً كاملاً وأعطاه كل شيء. كما يشهد هو نفسه : "قد أولاني أبي كل شيء" (متى 11/27). ويتمجدّ الآب بواسطة الابن، الابن الوحيد، إذ يقول الابن : "أني أكرم أبي" (يو 8/49). وفي موضع آخر : "كما حفظت وصايا أبي وأستقّر في محبته" (يو 15/10). فنحن أيضاً نقول مع الرسول : "تبارك إله ربنا يسوع المسيح وأبوه، أبو الحنان وإله كل تعزية" (2 كور 1/3)؛ "ونجثو على ركبنا للآب، فمنه كل أبوّة في السماء والأرض" (أفسس 3/14 – 15)، ممجدّين إياه مع الإبن (لأن "من نكر الإبن لم يحظّ بالآب، ومن عرف الابن حظي بالآب" (1 يو 2/23).

مع العلم بأن "الرب يسوع المسيح هو لمجد الله الآب" (فيلبي 2/11).

6 – إله العهد القديم هو أبو المسيح يسوع

نحن نعبد إذن أبا المسيح، خالقَ السماء والأرض، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب (خر 3/6؛ متى 22/32) الذي إكراماً له بُني هذا الهيكل الذي هو أمامنا؛ ولن نقبل أن يَفصل الهراطقة بين العهد القديم والجديد. ولكننا نضع ثقتنا بالمسيح الذي قال متحدِّثا عن الهيكل : "ألم تعلما أنه يجب عليّ أن أكون عند أبي؟" (لو 2/49)؛ وفي موضع آخر : "ارفعوا هذا من ههنا، ولا تجعلوا من بيت أبي بيت تجارة" (يو 2/16). وبهذه الكلمات اعترف بشكل واضح بأن الهيكل في القدس هو بيت أبيه. وإن كان هناك أحد يطالب، بدافع من عدم الإيمان، ببراهين أخرى على أن أبا المسيح هو نفسه خالق العالم، فليسمع ما قاله أيضاً : "أما يُباع عصفوران بفلس؟ ومع ذلك لا يسقط واحد منهما إلى الأرض بغير علم أبيكم الذي في السماوات" (متى 10/29). وقوله كذلك : "أُنظروا إلى طير السماء كيف لا تزرع ولا تحصد ولا تحزن في الأهراء، وأبوكم السماوي يُرزقها" (متى 6/26). وقوله أيضاً : "أن أبي ما زال يعمل، وأنا أعمل أيضاً" (يو 5/17).

7 – الله هو أبو المسيح بالطبيعة، وأبو البشر بالرحمة

ولئلا يظن أحد، عن بساطة أو عن سوء نيّة، أن الأبرار متساوون بالكرامة مع المسيح، بسبب هذه الكلمة : "إني صاعد إلى أبي وأبيك" (يو 20/17)، فالجدير بنا أن نلفت نظرهم إلى أن اسم "الآب" هو واحد، ولكن معناه واسع. ولمّا كان المسيح يعلم ذلك،

فقد قال بحكمة : "إني صاعد إلى أبي وأبيكم"، ولم يقل "إلى أبينا"، بل أشار مميزاً إلى ما يخصّه بحسب الطبيعة "إلى أبي"، ثم أضاف "وإلى أبيكم" بالتبني. وإن كان يُسمح لنا في صلواتنا بأن نقول : "أبانا الذي في السماوات"، فذلك من قبيل المحبة الخالصة، إننا لا ندعو الله "أبانا" لأننا وُلدنا بالطبيعة من أبينا السماوي، بل لأننا انتقلنا من العبودية إلى النبوّة بهبة أبوية، بواسطة الإبن والروح القدس. إن صلاح الله الفائق الوصف هو الذي يسمح لنا أن نقول ذلك.

8 – الأنبياء يعلّمون أن الله هو أبونا بالتبني

إن كان أحد يريد أن يعرف كيف ندعو الله "أبا" فليصغِ إلى موسى؛ ذلك المعلّم الممتاز يقول : "أليس أنه هو أبوك مالِكَك الذي فطرك وأبدعك" ؟ (تثنية 32/6). وكذلك الى النبي أشعيا : "والآن يا رب، أنت أبونا؛ نحن الطين وأنت جابلنا، ونحن جميعاً عمل يديك" (أشعيا 64/8). لقد أظهرّت النعمة النبوّية بكل وضوح أننا ندعو الله أبا لا بحسب الطبيعة، بل بحسب نعمة الله وتبنيّه.

9 – العهد الجديد يُعلن نفس التعليم

ولكي تعرف بدقة أكثر من الكتب المقدسة أن الآب بحسب الطبيعة ليس هو الوحيد الذي يُدعى "أبا"، إسمع ماذا يقول القديس بولس : "قد يكون لكم ألوف المؤدّبين في المسيح، ولكن

ليس لكم عدّة آباء، لأني أنا الذي ولدكم بالبشارة، في المسيح يسوع" (1 كور 4/15). كان بولس أبا للكورنثيين، لا لأنه ولدهم بحسب الجسد، بل لأنه علّمهم وولدهم ثانية في الروح.

واسمع أيضاً أيوب : "كنتُ أبا للمساكين" (أيوب 29/16). كان يُدعى أبا، لا لأنه ولدهم جميعاً، بل لاهتمامه بهم. وابن الله الوحيد نفسه، - عندما كان معلقاً بحسب الجسد على خشبة الصليب – لمّا رأى مريم أمّه بحسب الجسد، ويوحنا أحبَّ التلاميذ إليه، قال له : "هذه أمّك"، وقال لأمّه : "هوذا ابنك" (يو 19/26 – 27)، لكي يُظهر العطف المتبادل الذي كان يقتضي على كل منهما أن يكنّه للآخر فيما بعد. وهكذا طبّق بطريقة غير مباشرة هذه الآية الواردة في لوقا : "وكان أبوه وأمه يعجبان مما يقال فيه" (لو 2/33). وهي آية استغلّها الهراطقة ليقولوا إنه وُلد من رجل وإمرأة؛ ولكن كما أن مريم دُعيت أمًّا ليوحنا في المحبة، وليس لأنها أنجبته، كذلك دُعي يوسف أبا للمسيح، لا لأنه أنجبه (إذ "هو لم يعرفها حتى ولدت إبنها البكر" كما يشهد الإنجيل) (متى 1/25)، بل لاهتمامه بإعالته وتربيته.

10 – أبوّة بالطبيعة وأبوّة بالتبني

إني أقول لكم ذلك لأن عَرَضا على سبيل التذكرة. ولنضف هذه الشهادة الأخرى الدامغة، لكي نبرهن على أن الله يُدعى، أبا للبشر" بشكل تجاوزي، مثلا عندما يخاطب أشعيا الله يقول هكذا : "إنك أنت أبونا. فإن ابراهيم لم يعرفنا وسارة لم تتحخّض بنا"

(اشعيا 63/16). هل يمكن البحث عن نصّ أوضح من ذلك؟ وإن كان مؤلف المزامير يقول : "ليمتلئ اعداؤنا رُعباً أمام الذي هو أبو اليتامى وقاضي الأرامل" (مز 67/6)، أليس من الواضح للجميع أن الله يُدعى أبا لليتامى – الذين فقدوا آباءهم أخيراً – لا لأنه ولدهم، بل لأنه يعتني بهم ويحميهم؟ فالله إذن يُدعى أبا للبشر بالمعنى الواسع، كما سبق وقلنا، في حين أنه أب للمسيح بحسب الطبيعة لا بالتبني. إنه أبو البشر في الزمن، ولكنه أبو المسيح منذ الأزل، كما يؤكد هو نفسه ذلك : "فمجدّني الآن يا أبتِ بما كان لي من المجد عندك قبل أن يكون العالم" (يو 17/5).

11 – الإنسان يؤمن بالله، والملاك يراه، والإبن والروح هما وحدهما يتأملان فيه

إننا نؤمن إذن "بإله واحد آب"، لا يوصف ولا يُنطق به، ولم يره أحد قط؛ لكن الابن الوحيد وحده هو الذي أخبر عنه (يو 1/18)، "لأن مَن أتى من لدن الله هو الذي رأى الله" (يو 6/46) الذي "يشاهد أبداً وجهَه الملائكة في السماوات"! (متى 18/10)؛ إنهم يشاهدونه كلّ بحسب مقامه. أما رؤية الآب في بهائه، فهي تخصّ الابن والروح القدس.

12 – نكران جميل البشر نحو الله أبيهم

وإني إذ أذكر، عند هذه النقطة من حديثي، ما قلته اللحظة عن دعوة الله أبا للبشر، تأخذني الدهشة لِمَا ألمسه في البشر من نكران

جميل؛ لأن هذا الإله الذي في السماوات، والذي لا يوصف صلاحه، قد سمح بأن يُدعى أبا للبشر الذين على الأرض.

هو خالق الدهور والذين هم في الزمن. هو الذي يقبض الأرض براحة يده (أشعيا 40/12). وهو أبو الذين يسكنون الأرض وهم كالجراد (أشعيا 40/22). ومع هذا فقد تخلّى الإنسان عن أبيه السماوي، وقال للخشب : "أنتَ أبي" وللحجر "أنت ولدتني" (أرميا 2/27). ولهذا السبب، على ما يبدو لي، قال مؤلف المزامير، موجهاً كلامه للبشرية : "إنسَ شعبك وبيت أبيك" (مز 44/11) ذاك الذي اختبرته لك أبا، ذاك الذي لجأت إليه لهلاكك !

13 – الحرّية البشرية في التبني الإلهي

ولم يقف الأمر عند الخشب والحجر، بل اختار البعضُ أبا لهم الشيطانَ، مهلك النفوس. فلهؤلاء يقول الرب منتهراً : "أنتم تعلمون أعمال أبيكم" (يو 8/41- 44) الشيطان أبى البشر، لا بحسب الطبيعة بل بالخداع. لأنه كما أن بولس صارَ أباً للكورنثيين بتعليمه الصالح (1 كور 4/15)، كذلك أصبح الشيطان أبا للذين يتبعونه بإراداتهم الحرّة. وإننا لا نقبل أن تفسّر خطأ هذه الآية : "بهذا يظهر أولاد الله وأولاد إبليس" (1 يو 3/10) كما لو أن، طبيعياً، يخلص البعض ويهلك البعض الآخر. فإننا لا نصل بضرورة حتمية إلى النبّوة المقدّسة، بل بإرادتنا الحرّة. إن يهوذا الخائن لم يكن ابنا للشيكان والهلاك (يو 17/12) بحسب الطبيعة، لأنه لو كان كذلك منذ البداية، لَمَا أمكنه

إخـراج الشـياطين باسـم المسـيح؛ لأن الشـيطان لا يُخـرج شـيطاناً (مر 3/23)؛ ولَمَا تحوّل بولس من مضـطهد في البـدء إلى مُبشـر بالإنجيل. لكنّ التبني اختياري على حدّ قـول يوحنـا : "أمـا الـذين قبلوه فقد أولاهم أن يصيروا أبناء الله، هم الذين آمنوا باسمه" (يـو 1/12). إنهم لم يؤهّلوا لأن يصيروا أبناء الله قبـل إيمـانهم، ولكن بسبب إيمانهم واختيارهم.

14 – لنرجع الى الله كي نحصل على التبني

ونحن، بعدما عرفنا هذا الآن، فلنهتدِ روحيـاً حـتى نسـتحق التبـني الإلهي. "لأن الذين ينقادون إلى روح الله، يكونون حقاً أبنـاء الله" (رومه 8/14). لا نفعَ لنا أن نُـدعى مسـيحيين إن لم تكن أعمالنـا مسيحية، خوفاً من أن توّجه إلينا يوماً هذه العبارة : "لو كنتم أبنـاء إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم" (يو 8/39). إن كنا نـدعو أبـا ذاك الـذي يـدين عمـل كـل واحـد دون محابـاة، فلنقضِ بخـوفٍ زمنَ غربتنا غير محبين العالم ولا مـا في العـالم، "لأن من أحبّ العـالم ليست محبّة الله فيه" (1 يو 2/15). لـذلك، أيهـا الأبنـاء الأحبـاء، لنمجّد أبانا الذي في السماوات بأعمالنا الصـالحة، "لـيروا أعمالنـا الصالحة فيمجدّوا أبانا الذي في السماوات" (مـتى 5/16). "النلـقِ عليـه جميـع همّنـا" (1 بطـرس 5/7)، "لأن أبانـا يعلم مـا نحتـاج إليه" (متى 6/8).

15 – لنكرم آباءنا بحسب الجسد ...

فلنكرّم أبانا السماوي، ولنكرّم كذلك آباءنا بحسب الجسد (عبر 12/9)، إذ أمر الرب بذلك بحق في الناموس والأنبياء حيث قال : "أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض" (خر 20/12 ؛ تثنية 5/16). فالذين لهم آباؤهم وأمهاتهم من بين الحضور، ليسمعوا جيداً هذه الوصية : "أيها الأبناء أطيعوا والديكم في كل شيء" (أفسس 6/1) "لأن هذا يرضي الرب" (كولوسي 3/20). إن الرّب لم يقل : "من أحبّ أباً أو أماً لا يستحقني" (متى 10/37) – ما هو مكتوب بصواب لا تفسّره خطأ بسبب جهلك – بل قال : "من أحبّ ... أكثر مني". عندما تكون لآبائنا الأرضيين مشاعر تتنافى مع الآب السماوي، عندئذ يجب العمل بقول الرب. ولكنهم ما داموا لا يعارضون تقوانا، نكون ناكري الجميل إن احتقرنا حسناتهم نحونا. وعندئذ نستحق هذا الحكم : "مَن لعن أباه وأمه فليقتل قتلاً" (خر 21/ 17؛ أحبار 20/9 ؛ متى 15/4).

16 - ... فنحصل على بركتهم

أولى فضائل المسيحيين هي إكرام الوالدين ومكافأتهم على أتعابهم، وتزويدهم بقدر استطاعتنا بكل ما يمكنه أن يريحهم. لأنه مهما قدّمنا لهم من أجود الخدمات، لا نستطيع أن نكافئهم عدلاً على الحياة التي منحونا إياها. فإذا نعمنا بالتعزية التي هيأناها لهم (سيراخ 3/6 – 11)، يحصلون لنا على البركات التي

حصـل عليهـا يعقـوب المحتـال عنـدما عقب أخـاه عيسـو (تـك 27/37). وإذ يتقبّـل الآب السـماوي إرادتنـا الصـالحة، يجعلنـا مسـتحقين لأن نضـيء كالشـمس مـع الأبـرار في ملكوتـه (مـتى 13/43). فله المجد مع الابن الوحيد مخلصنا يسوع المسيح ومـع الروح القدس، الآن وإلى أبد الدهور. آمين.

العظة الثامنة

في الآب "ضابط الكل"

"أيها السيد الرب، ها انك صنعت السماوات والأرض بقوّتك
العظيمة وذراعك المبسوطة، وليس عليك أمر عسير ... أنت
الإله العظيم الجبار الذي ربّ الجنود اسمه"

(إرميا 32/17 – 18)

1 – أعداء قدرة الله

إننا بإيماننا بإله واحد، نهدم كل ضلال في تعدد الآلهة.

ونكافح بهذا السلاح ضدّ اليونانيين، وضدّ كل قوّة معادية من الهراطقة. وعنما نضيف "بإله وآحد آب"، نقاوم أهل الختان الذين يُنكرون أن الابن الوحيد هو ابن الله. ولكننا اذ نقول إنه "آب" – كما شرحنا بالأمس، وقبل أن نفسرّ ما يخصّ ربنا يسوع المسيح – نوضح أنه أبٌ للابن، حتى عندما نفكرّ أنه إله نفكرّ كذلك أن له ابن، ثم نضيف : إنه "ضابط الكل"، ومؤكدين هذا بسبب اليهود واليونانيين وجميع الهراطقة.

2 – قدرة الله في السماء كما على الأرض

فمن جهة اليونانيين، يقول البعض إن الله نفس العالم، والبعض

الآخر إن قدرته تمتدّ إلى السماء فقط دون الأرض. وقد جاراهم آخرون في ضلالهم، مفسرّين خطأ هذه العبارة : "... وإلى الغيوم أمانتك" (مز 35/6)، فتجاسروا على القول بأن عناية الله تحدّها السماء والغيوم، وأن الله غريب عن كل ما يحدث على الارض، ناسين المزمور القائل : "إن صعدت إلى السماء فأنت هناك، وإن هبطت إلى الجحيم فأنت هناك أيضاً". (مز 138/8). لأنه إن لم يكن ما هو أعلى من السماء ولا أدنى من الأرض غير الجحيم، فالذي يوجد في عمق الجحيم يمتدّ سلطانه أيضاً على الأرض.

3 – الله سيدّ الروح والجسد

إن الهراطقة – كما سبق وقلنا – لا يعترفون بوجود إله قدير.

والقدير هو الذي يستطيع كل شيء ويتلسّط على كل شيء، بينما هم يقولون بوجود خالق للنفس وآخر للجسد، وكلاهما غير كاملين، إذ ينقص الواحد ما يملك الثاني. إذ كيف يكون قديراً من كان له سلطان على النفس دون الجسد؟ ومن كان له سلطان على الأجساد دون الأرواح كيف يكون قديراً؟ لكن الرب يدحض هؤلاء بقوله : "بل خافوا الذي يقدر أن يُهلك النفس والجسد في جهنّم" (متى 10/28). لأنه لو لم يكن لأبي ربنا يسوع المسيح سلطان عليهما، لَمَا استطاع أن يحكم عليهما بالعذاب. إذ كيف يمكنه أن يعاقب ويرسل إلى النار الأبدية جسداً ليس له سلطان عليه؟ "إن لم يربط القويَّ أولاً ويدمرّ اسلحته؟" (متى 12/29).

4 – لماذا يسمح الله بالشّر؟

لكن الكتاب الإلهي والعقائد الحقّة تعترف بإلـه واحد يسيطر على كـل الأشـياء بقدرتـه ويـدّبرها بإرادتـه. إنـه يسـيطر حـتى على الوثنـيين، ولكنـه يتسـامح معهم في صـبره؛ كمـا أنـه يسـيطر على الهراطقة ويتحمّلهم بكثرة رأفتـه؛ ويسـيطر على الشـيطان، ولكنـه يصـطبر عليـه لطـول أناتـه. إنـه يتسـامح معـه لا عن عجـز كالمقهور، إذ هو خليقة الرب الأولى (أيوب 40/14)، وقد صـنعه ليكون ألعوبة لا لله (فهذا لا يليـق بـه)، بـل للملائكـة الـذين خلقهم. وقد حفظه في الكيان لسببين : لكي يكون أكثر خزياً عند انهزامه، ولكي يكتسب البشرُ أكاليـل النصـر. يـا لعنايـة الله الحكيمـة ! إنـه يستخدم الإرادة الشريرة ليهيءّ للمؤمنين سبلَ الخلاص. فكما أنـه اسـتخدم حقـد إخـوة يوسـف لتحقيـق غرضـه، وسـمح بـأن يـبيعوا أخـاهم بـدافع الحقـد ليقيمـه ملكـاً عليهم، كـذلك سـمح للشـيطان أن يهاجم (البشر) لكي يتوّج المنتصرون، ولكيما يـزداد البشـر رفعـة لانتصـارهم على من كان يوماً رئيس الملائكة.

5 – لا يفلت أحد من قدرة الله

إذن لا يفلت شيء من قدرة الله. لذلك يقول الكتاب : "فكـان الكـل بأحكامك طائعاً قائماً" (مز 118/91). فكلّ الكائنات تخضـع لـه، ولا يستثني من هذه السيطرة الشـاملة سـوى ابنـه الوحيـد وروحـه القدوس. فالله إذن يسيطر على كل شيء، وهو يحتمل بطول أناته المجرمين واللصوص والزناة. وقد حدّد وقتاً حين يقتضي على

كـل إنسـان أن يـؤدي حسـاباً عن أعمالـه، لكيمـا يلقى عقابـاً أشـدّ صرامة أولئـك الـذي يكونـون قـد انتظـروا وقتـاً طـويلاً بـدون أن يتوبـوا. هنـاك ملـوك بين البشـر يحكمـون في الأرض، ولكنهم ليسـوا بمعـزل عن قـدرة السـماء. وقـد اختـبر ذلـك فيمـا مضـى نبوكدنصرّ عندما قال : "إن سلطانه سلطان أبدي، وملكه يمتدّ إلى جميع الأجيال" (دانيال 4/32).

6 – الغِنى مُلك الله

ألغِـنى والـذهب والفضّـة لا تخص الشـيطان، كمـا يظنّ البعض؛ "لأن غِـنى الأرض كلّـه هـو للمـؤمن، أمـا الكـافر فليس لـه فلس" (أمثـال 17/6)؛ وهـل من كـافر مثـل الشـيطان؟ ويقـول الـرب بوضوح على لسان النبي : "لي الفضة ولي الـذهب أُعطيهمـا لمن أشاء" (حجاوي 2/9). أحسِن اسـتعمال المـال فلا تلام. ولكن إذا أسأت استعمال ما هو صالح، ولم تُرد أن تعترف بسوء استخدامك لـه، فمن الكفـر أن تلقي بـاللوم على الخـالق. يمكن للإنسـان أن يتبّرر بواسـطة الخـيرات : "جعت فـأطعمتموني" (مـتى 25/35) هذا مفعول الخيرات. "كنت عريانا فكسـوتموني" (مـتى 25/36) هـذا مـا يحققـه المـال. وإذا كنت تريـد أن تعـرف أن الخـيرات بإمكانها أن تفتح أبواب ملكوت السماوات، فاسمع مـا يقـول الـرب (للشاب الغني)، "بِع ما تملكه وتصدّق بثمنـه على الفـراء، فيكـون لك كنز في السماء" (متى 19/21).

7 – الشيطان لا يملك شيئاً

إني أقول ذلك بسبب الهراطقة الذين يلعنون الخيرات والأموال والأجساد. إني لا أريدك عبداً للخيرات، ولكن لا أريد أيضاً أن تحتقر ما أعطاك الله لمساعدتك. فلا تقل أبداً إن الخيرات هي مُلك الشيطان، حتى إذا قال : "أُعطيك كل هذه الممالك، فإنها قد دُفعت إليَّ" (لو 4/6). ومن السهل دحض هذا الكلام، لأنه صادر عن كاذب. ولكن لعلّه قال الصدق مهابةً بالذي كان يتحدّث إليه، ذلك أنه لم يقل : "أُعطيك كل هذا لأنه مُلك لي"، ولكن "لأنه دُفع إليَّ". فهو إذن لم ينسب الملكية إلى نفسه بل اعترف أنه المالك العابر والمدّبر المؤّقت. ولنترك للمفسّرين البحث فيما إذا كان كذب أو صدق.

8 – الهراطقة يجدّفون

يوجد إذن "إله واحد آب ضابط الكل" تجاسر الهراطقة على إهانته. تجاسروا على إهانة ربّ الصباؤوت الجالس على الشروبيم (اشعيا 6/3؛ مز 79/2). لقد تجرّأوا على التجديف على الرب أدوناي (يهوديت 16/16). لم يخشوا أن يجدّفوا على الإله القدير الذي أشاد بذكره الأنبياء. أما أنت فاعبد الإله الواحد ضابط الكل، أبا ربنا يسوع المسيح (رومه 15/6). أُهرب من خلال تعدّد الآلهة، وأهرب من كل هرطقة. وقل مع أيوب : "أتَوسّل إلى الله القدير الذي صنع عظائم لا تُفحص وعجائب مجيدة لا تُحصى" (أيوب 5/8 – 9). وكذلك : "الله متعالٍ بقدرته" (أيوب 36/22). له المجد إلى أبد الدهور. آمين.

العظة التاسعة

" ... خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى"

"من هذا الذي يلبّس المشورة بأقوال ليست من العلم
بشيء ... إني سائلك فأخبرني : أين كنت حين أسست
الأرض؟ بَيِّن إن كنت تعلم الحكمة..."

(أيوب 38/2 – 4)

1 – الله لا يراه أحد

يستحيل علينا أن نرى الله بأعين الجسد، لأن ما هو لا جسدي لا يمكن أن يقع تحت أعين بشرية. وهذا ما يشهد به ابن الله الوحيد بقوله : "ما من أحد رأى الله" (يو 1/18)، حتى لو جاء في حزقيال أنه رأى (الرب). لأنه في الواقع ماذا يقول الكتاب؟ يقول إنه رأى "شبه مجد الرب" لا الرب (حز 2/1)، ولا المجد في حقيقته، ولكن شبه مجده. وهو بمجرّد رؤيته شبه المجد، لا المجد ذاته، سقط على الأرض مرتعداً؛ فلو كانت رؤية شبه المجد تُلقي الذعر والهلع في قلوب الأنبياء، فالذي يسعى إلى رؤية الله ألا يسقط مائتا؟ لأنه "لا يستطيع أحد أن يرى وجهي ويعيش، يقول الرب" (خر 33/20). لذلك التحف الله برحمته غير المتناهية بالسماء كحجاب ليستر عنا ألوهيته لكيلا نموت. وهذا القول ليس

من عنـدي، بـل هـو قـول النـبي : "ليتـك تشـقّ السـماوات فترتعـد الجبال وتسيل الأطـواد كالشـمع" (أشـعيا 64/1). فلمـاذا تنـدهش إذن إذا كان حزقيال سقط لدى رؤيته شبه مجد الرب؟ (حز 2/1). ودانيال لدى رؤيته جبرائيـل (دانيـال 8/16 ـ 17) الـذي لم يكن سوى خادم الله، قد ارتعد في الحال وسقط على وجهه.

وظلّ النبي على هـذه الحـال لا يسـتطيع الكلام حـتى اتخـذ الملاكُ شكلَ إنسان وطمأنه (دانيال 10/15 ـ 16). إذا كان جبرائيل قد أرعب الأنبياء لدى ظهوره لهم، فماذا كـان حـلّ بنـا لـو أظهـر الله ذاته، أما كنّا متنا جميعاً؟

2 ـ النفس تبصر فاطرها على طريق المقايسة

فمن المستحيل إذن أن نرى الطبيعة الإلهيـة بـأعين بشـرية، ولكن في استطاعتنا أن نكـوّن فكـرة عن قدرتـه بفضـل أعمالـه الإلهيـة، على حـد قـول سـليمان : "إنــه بِعِظَم جمــال المــبروءات يُبصــر فاطِرُهـا على طريـق المقايسـة (حكمـة 13/5). أنـه لا يقـول إن الخالق يُعرّف نفسه بأعماله، ولكن على طريق المقايسـة. لأن الله يظهر عظيماً بمقدار ما تزداد معرفة الإنسان بأعماله الإلهية.

3 ـ الله يفوق كل وصف، والخليقة تدعو إلى تسبيحه

أنت يا من يُريد أن يعـرف لمـاذا لا يمكن إدراك الطبيعـة الإلهيـة، إسـمع بـالحري اعـتراف إيمـان الفتيـان الثلاثـة في أتـون النـار : "مبارك أنت أيها الناظر الأعماق، الجالس على الشروبيم"

(دانيـال 3/55). قـل لي مـا هي طبيعـة الشـروبين، ثم تأمـل في الجـالسِ عليهـا ! لقـد حـاول النـبي حزقيـال أن يصـفها على قـدر الإمكـان بقولـه : إن لكـل واحـد منهـا أربعـة أوجـه : وجـه إنسـان ووجـه أسـد، ووجـه نسـر ووجـه ثـور (حـز 1/6)، وسـتة أجنحـة ملأى عيوناً (رؤيا 7/8)، وتحت كل واحد عجلـة بأربعـة جـوانب (حز 10/12).

وعلى الرغم من هذا الوصف لم نفهم شيئاً ولا حتى ما كتبه. وإن كنـا لا نسـتطيع أن نـدرك العـرش الـذي وصـفه، فمن أنّى لنـا أن ندرك الجالسَ عليه، الإله الذي لا يوسـف ولا يُـرى؟ وبمـا أننـا لا نسـتطيع أن نـدرك طبيعـة الله، نسـتطيع على الأقـل، لـدى رؤيـة أعماله، أن نرنم بتسابيحه ونشيد بذكر مجده.

4 – قانون الإيمان يؤكد بأن الله خالق

إني أبسط لكم ذلك لتتبعوا قانون الإيمان حسب ترتيبه. فإننا نقـول : "نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل، خـالق السـماء والأرض، كـل ما يُرى وما لا يُرى" حتى نتذكّر أن أبـا ربنـا يسـوع المسـيح هـو نفسه الذي صنع السماء والأرض. وحـتى نـدافع عن أنفسـنا ضـدّ وقاحة الهراطقة الكفـرة الـذين تجـرّأوا على التجـديف على حكمـة مهندس هذا العالم بأسـره، الـذين ينظـرون بـأعين أجسـادهم، وقـد حُرموا من أعين الروح.

5 – جَلَدَ السماء من صنع حكمة الله

ماذا يعيبون على هذا العمل العظيم الذي قام به الله؟ كان الأجدر

بهم أن يندهشوا لرؤية الأجرام السماوية، ويعبدوا ذاك الذي نصب السماء كالقبة (أشعيا 40/22). ومن طبيعة المياه السائلة صنع جَلَد السماء. لأن الله قال : "ليكن جلد في وسط المياه" (تك 1/6)، قال الله ذلك مرّة واحدة، وظلّ الجلد قائماً دون أن يسقط. السماء هي من الماء، ومع ذلك فهي تحوي على أجرام مشتعلة كالشمس والقمر والنجوم. وهذه المواد المشتعلة تتحرّك في الماء. وإذا خامر أحداً الشك في أن طبيعتين متضادتين، كالماء والنار، يمكنهما البقاء معاً، فليذكر النار التي سقطت على مصر أيام موسى بشكل بَرَد (خر 9/23)، وليتأمل في عمل الله البالغ الحكمة. ولما كانت المياه ضرورية لعمل الأرض، فقد زوّد السماء بالماء، حتى إذا ما إحتاجت إحدى مناطق الأرض إلى مطر، مدّتها السماء به.

6 – حكمة الله في النظام الشمسي

وإذا نحن نظرنا إلى تكوين الشمس، ألا نجد فيها ما يدعو إلى العجب ! إنها تبدو كقرص صغير، ولكنها مزوّدة بقوّة هائلة (سيراخ 43/2 ـ 5) إنها تظهر في الشرق وترسل ضوءَها حتى إلى الغرب. وقد قال صاحب المزامير في وصف شروقها عند الصباح : "لإنها كالعروس تخرج من خدرها" (مز 18/6). وأتى على وصف بهائها ودورانها في الصبيحة، وعندما تظهر للناس في الظهيرة، وكيف أننا نتوارى عن حرّها أثناء دورانها؛ ولكنها تُفرح الطبيعة كلها عند شروقها لأنها تبدو كالعروس. وتأمل أيضاً في وظائفها (أو تأمل) بالحري في تدابير الذي حدّد

لها دورانها) وأنظر كيف أنها تشرق مرتفعة في الصيف وفي الباكر، فيطول النهار، مما يتيح للبشر وقتاً أكثر للعمل. أما في الشتاء فهي تبطئ دورانها بالعكس، لا لإطالة زمن البرد، بل لإطالة الليل حي يستريح البشر، فيعلمون في إثمار الأرض من بذور ونبات. وأنظر كيف أن الأيام تتعاقب بانتظام : فهي طويلة في الصيف وقصيرة في الشتاء؛ ويتساوى الليل مع النهار في الربيع والخريف. وهذا ما يحمل مؤلف المزامير على القول : "اليوم يفيض لليوم قولاً، والليل يبثّ الليل علما" (مز 18/3). هذه جميعها تصرخ في آذان الهراطقة الصمّ من خلال نظامها، وتقول إنه لا إله آخر سوى الذي خلق الكون ونظمّ ودبّر كل شيء.

7 – الله مُبدع النور وخالق الظلمة

فلا يُصغِ أحد إلى هؤلاء الذين يقولون : إن للضوء خالقاً وللظلمات خالقاً آخر. بل ليذكرنّ أن أشعيا القائل : "أنا مبدع النور وخالق الظلمة" (أشعيا 45/7). فما اعتراضك يا إنسان؟ لماذا تستاء من الوقت المعطى لك للراحة؟ هل يستطيع العامل أن يُطالب أسياده بالراحة : إن لم تحتّمها عليه الظلمات؟ فبعد إرهاق النهار نستعيد قوانا براحة الليل؛ فنقوم في الصباح وقد تجدّدت قوانا بعد تعب النهار، وذلك بفضل راحة الليل. وأي وقت أفضل من الليل للحصول على الحكمة ! ففي الليل غالباً ما نفكّر بالله؛ في الليل نقرأ ونتأمل في الكتب المقدسة. أي وقت أكثر ملاءمة من

الليـل لترتيـل المزاميـر وحصـر أفكارنـا في الصـلاة ! وأي وقت نختار لنتذكر خطايانا، أليس في الليل؟ فلا نسلّم إذن بأن هناك إلهاً آخـر خلـق الظلمـات، فقـد علّمتنـا التجـارب أن الظلمـات صـالحة ومفيدة للغاية.

8 – سير النجوم المنتظم

لا يكفي أن نعجب بنظام الشمس والقمر، بل يجب أن نلاحظ أيضاً سير النجوم المنتظم : سيرها الحُرّ والجوّال، شروقُ وغروبُ كـلٍّ منهـا، وكيـف أن بعضـها يعلن قـدوم الصـيف، والبعض الآخـر الشتاء، وكيف ترشدنا إلى وقت البذر، وتدّلنا على بداية المِلاحة.

وكيـف أن الملاّح الجـالس في سـفينته الـتي تمخـر عبـاب البحـر يتطلّع إلى النجوم ويسترشـد بهـا لقيـادة سـفينته. فلأجـل كـل ذلـك يقول الكتاب بحق : "لتكن النيرات لآيات وأوقـات وأيـام وسـنين" (تك 1/14)، وليس للتنجيم وابتداع الأسـاطير. تأمـل كيـف يهبنـا الله ضوء النهار تدريجياً : إننا لا نرى الشمس تبزغ فجأة، بل أنها ترسل ضوءها رويداً رويداً، حتى تعتاد حدقـة العين عليـه فتتمكن من التطلّع إلى الشعاع القوي. وانظر أيضـاً كيـف أنـه يلطّـف من ظلمات الليل بضوء القمر.

9 – حكمة الله كما تظهرها العناصر المائية ...

من هو صـانع المطـر، ومن يقطـرّ النـدى؟ (أيـوب 38/28). مَن يكثّـف الهـواء ويحوّلــه إلى سـحب، ويحبس مـاء المطـر فـوق رؤوسنا؟ مَن يقـود سـحب الشـمال اللامعـة كالـذهب ويحوّلهـا إلى كتلة كثيفة، ثم يطلقها إلى مختلف مناطق الارض بأشكال متباينة؟

مَن هو الحكيم الذي يمكنه أن يحصي السحب؟ لذلك جاء في سفر أيوب : "إنه يعرف مختلف السحب"؛ (38/37)، و "أحنى السماء نحو الأرض" (38/33). ويحصي السحاب بحكمته، وقبّة السماء لا تنشقّ بدونه. هناك مقادير كثيرة من المياه في السحب، ولكنها لا تنشقّ بل تصبّها بانتظام تام على الأرض. مَن أخرج الرياح من خزائنها، ومن قَطرّ قطرات الندى؟ (مز 134/8 ؛ أيوب 38/28). مِن بطن مَن خرج الثلج؟ فإن جوهره من الماء وله خصائص الحجر. وأحياناً يصير الماء ثلجاً كالصوف، وأحياناً ينذرّ على شكل صقيع كالرماد (مز 147/5)، وأحياناً يتحوّل إلى مادة صلبة كالحجر. إنه يحكمّ الماء كما يريد. طبيعة الماء بسيطة، لكن طاقته متعدّدة الأشكال : فهو في الكرمة خمر يُفرح قلب الإنسان، وفي الزيتون زيت يلمعّ وجه الإنسان، ويتحوّل إلى خبز يسند قلب الإنسان (مز 103/15) ويدخل في تكوين الثمار على مختلف أنواعها.

10 - ... ومنتجات الأرض ...

أمام هذه العجائب، أيّ موقف كان يجب إتخاذه؟ التجديف على الخالق أم عبادته؟ هذا، ولم أقل شيئاً عما أتته حكمته من عجائب غير منظورة. أنظر إلى الربيع وإلى الزهور التي تختلف أنواعها على الرغم من تشابهها : فمن وردة قرمزية اللون إلى زنبقة ناصعة البياض. كلتاهما إرتوتا من ندى واحد ونبتتا في أرض واحدة، فمن نوّعهما هكذا، ومن الذي خلقهما؟ أُنظر إلى هذه الدقّة : فمن مادة الشجرة ذاتها جزء ينبت أوراقاً وجزء ينتج

ثماراً، مع كون المادة هي ذاتها. وعلى نفس الكرمة نجد منها ما هو للحرق وما هو للنموّ. وما هو للأوراق وما هو للعرائيس وما هو للعناقيد. تأمل في العِقَد المتعدّدة في جزع قصبة صنعها الخالق ! ومن أرض واحدة تخرج الزحافات والوحوش الضاربة، والقطعات والأشجار والأطعمة، والذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر. طبيعة المياه واحدة، ومنها تأتي الأسماك والطيور : الأولى تسبح فيها، والثانية تهيم في الجوّ.

11 - ... وحيوانات البحر

"هذا البحر الكبير المترامي الأطراف قد زخر بالحيوانات الصغار والكبار، فهي لا تُحصى" (مز 103/26). مَن يقدر أن يصف روعة الأسماك التي تعيش فيه؟ مَن يستطيع أن يصف عظمة الحيتان وطبيعة الحيوانات البرمائية التي يمكنها أن تعيش على أرض صحراوية كما تعيش في الماء. مَن يستطيع أن يصف عمق البحار وعرضها، وقوّة أمواجها الهائلة؟ ومع ذلك فقد وضع الله لها حدًّا لا تتعدّاه، إذ قال : "إلى هنا تبلغ ولا تعدو، وهنا يسكن طغيان أمواجك " (أيوب 38/11). ويذعن البحر لهذا الأمر، إذ هو، عندما يجري، تترك أمواجهُ خطًّا واضحاً على الشاطئ، كأنما هي تعلن أن لها حدوداً لا يجب أن تتعدّاها.

12 – عظمة الله في الطيور ...

مَن في استطاعته أن يدرك طبيعة طيور السماء، ويعرف كيف أن بعضها يُطلق ألحاناً موسيقية عذبة، والبعض له أجنحة مرّقطة بشكل فنّي عجيب، والبعض يطير في الجوّ ويتوقف عن الحركة كالصقر، لأن الله أمر بذلك : "يستقلّ البازي في الجوّ ويبسط جناحيه نحو الجنوب" (أيوب 39/26). أي إنسان يستطيع أن يمعن النظر في النسر وهو يحلّق في العلاء؟ إذا كنت لا تستطيع أن تصل إلى إرتفاع الطيور غير العاقلة، فكيف تريد أن تدرك خالق الكون؟

13 - ... وفي الحيوانات

مَن من الناس يعرف أسماء كل الحيوانات؟ أو يستطيع أن يفحص تركيب كل منها؟ إن كنا لا نعرف أسماء الحيوانات، فمن أنّى لنا أن ندرك الخالق؟ لقد أصدر الله أمره قائلاً : "لتخرج الأرض بهائم ودبابات وزحافات بحسب أصنافها" (تك 1/24).

ومن أرض واحدة وأمر واحد خرجت أصناف متنوعة : الحمل الوديع والأسد المفترس. ولكل منها غرائز مختلفة باختلاف طبائع البشر : إذ يدّل الثعلب على خداع الإنسان، وترمز الحية إلى خيانة الأصدقاء، ويذكّر الحصان بصهيله جموحَ شهوات الشبان، وتوقظ النملة النشيطة خمول الكسلان. وعندما يقضي الإنسان شبابه في البطالة، يقول له الكتاب الإلهي بالامتثال بالحيوانات غير العاقلة : "إذهب إلى النملة، أيها الكسلان؛ أُنظر

طرقها وكُن حكيماً" (أمثال 6/6)؛ فكما تراها تجمع مؤونتها في الوقت المناسب، إقتدِ بها واجمع لنفسك ثمار الأعمال الصالحة للحياة الأبدية. "واذهب كذلك إلى النحلة وتعلم منها النشاط" (أمثال 8/8)، وأنظر كيف تنتقل بين كل الزهور لتصنع العسل لمنفعتك.

تنهل منها، قل : "ما اعذب أقوالك في حلقي هي أحلى في فمي من العسل" (مز 118/103).

14 – مجدّوا الله الذي منح الحيوانات قوّتها

هلاّ يستحق الخالق التمجيد؟ إن كنت أنت لا تعرف جوهر الأشياء، فهل معنى ذلك أن هذه الأشياء التي خلقت لا فائدة منها؟ هل يمكنك أن تعرف خصائص كل النباتات، أو فائدة كل ما هو ناتج عن الحيوان؟ فمن سمّ الأفاعي استخرجت أدوية لمعاجلة البشر. قد تقول إن الحية خطرة؛ خَفِ الربَّ فلا تؤذيك. يحبّ العقربُ الأذى؛ خَفِ الربّ وهو لا يلدغك. الأسد متعطش إلى الدماء. خَفِ الرب فيجلس بجوارك، كما حدث قديماً مع دانيال (6/18). عجيبة حقاً هي الحيوانات في قوّتها : فالبعض كالعقرب قوّته في سمّ شوكته، والبعض في أسنانه، والبعض يدافع عن نفسه بواسطة مخالبه؛ بينما تكمن قوّة الأفعى في عينيها. من كثرة تنوّع العمل يمكنك أن تعرف مقدرة العامل.

15 – عظمة الله في الطبيعة البشرية

ولكن لعلك لا تعرف هذه الأشياء لأنك لست على علاقة بالحيوانات الخارجية. فكرّ إذن في ذاتك، ومن خلال طبيعتك الخاصة، إعترف بخالقها. ما هو العضو الذي تجده مشيناً من أعضاء جسمك؟ كن سيّد نفسك فلن تجد عضواً واحداً مشيناً. في البدء كان آدم في الفردوس عارياً مع حواء، ولكنه لم يُطرد بسبب أعضائه، لأن الأعضاء ليست هي سبب الخطيئة، بل الذين يُسيئون استخدام أعضائهم هم الذي يخطئون لأن خالق الأعضاء حكيم.

مَن الذي أعدّ الرحم ليحمل الجنين؟ ومَن الذي يمنح الحياة للجنين الذي في الرحم؟ ويُفيض اللبن من الثديين عندما يولد الطفل؟ كيف يصبح المولود الجديد طفلاً ثم صبياً فرجُلاً؟ ثم يتحوّل إلى شيخ هرم بدون أن يستطيع أحد أن يوقف هذا التحوّل يوماً واحداً.

كيف يتحوّل بعض الطعام إلى دم والبعض إلى لحم؟ ويخرج البعض كإفرازات. من يجعل قلبنا ينبض بلا إنقطاع؟ إنّ كتب الطب الشهيرة تجد صعوبة في تفسير تكوين عيوننا العجيب ! فانظر أيها الإنسان، إلى المهندس، أنظر إلى الخالق الحكيم !

16 – ما أعظم أعمالك، يا رب ...

وإن كانت لا تزال هناك أشياء عديدة لا يمكن تفسيرها، ولا سيما ما هو غير جسدي وغير منظور منها، إلاّ أنك تجد الآن في خطابنا ما يكفي لدحض المجدّفين على المبدع الصالح الحكيم.

ويمكنك مما سمعت وقرأت، ومما اكتشفته أنت بنفسك عن عظمة المبروءات وجمالها أن تبصر فاطِرها على طريق المقايسة (حكمة 13/5). إركع بخشوع أمام خالق الأشياء كلها، الحسيّة وغير الحسيّة، المنظورة وغير المنظورة، وبلسان ملؤه التقوى والعرفان، وشفتين لا تعرفان الكلل، رّنم من كل قلبك قائلاً : "ما أعظم أعمالك يا رب، كلها بحكمة صنعت" (مز 103/25). بل يليق الإكرام والمجد والجلال، الآن وإلى أبد الدهور. آمين.

العظة العاشرة

"... وبرب واحد يسوع المسيح"

"وهناك كثير من الآلهة وكثير من الأرباب؛ وأما عندنا
نحن، فليس إلاّ إله واحد وهو الآب، منه كل شيء وإليه
نحن راجعون، وربّ واحد وهو يسوع المسيح، به كان كل
شيء وبه نحن قائمون"

(1 كور 8/5 – 6)

1 – لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بالإبن

يجب على الذين تعلّموا وآمنوا بإله واحد آب ضابط الكل، أن يؤمنوا كذلك بالإبن الوحيد؛ "لأن من يُنكر الابن ليس له الآب" (1 يو 2/23). ويقول يسوع : "أنا الباب". (يو 10/9) "لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي" (يو 14/6). وعليه، إن أنكرت الباب تُقفل عليك المعرفة للوصول إلى الآب. "ما من أحد يعرف الآب إلاّ

الابن، ومن شاء الابن أن يكشف له" (متى 11/27). فإن أنكرت الذي يكشف لك، فأنت تبقى في الجهل. هذا حكم الإنجيل الذي يقول : "من لم يؤمن بالابن لا يَرَ الحياة الأبدية، بل يلزمه غضب الله" (يو 3/36). فالواقع أن الآب يغضب عندما يُستهان بابنه الوحيد. إنه لمن الخطورة بمكان في نظر مَلك أن يُهان أحد

جنوده؛ ولكن إذا كانت الإهانة تلحق بأحد فرسانه المجيدين أو بأحد أصدقائه، فإنه يستشيط غضباً. وإذا أُهين الابن الوحيد للملك، فمن يقدر عندئذ أن يطفئ سورة غضب الأب من أجل إبنه الوحيد؟

2 – الآب نفسه يُوصينا بالابن

فإن أراد أحد أن يُظهر ورعه لله، فليعبد الابن، وإلاّ فإن الآب لن يقبل عبادته. لقد أعلنه الآب في السماء قائلاً : "هذا هو إبني الحبيب الذي عنه رضيت" (متى 3/17). سُرَّ الله بابنه؛ وان أنتَ لا تسرّ به فلن تكون لك الحياة. لا تنساق إلى اليهود الذين يقولون كافرين بأنه لا يوجد إلاّ واحد.

بل عليك، بعد أن رأيت أن الله واحد، أن تعترف أيضاً بابن الله الوحيد. إني لست أول القائلين بذلك؛ إن صاحب المزامير يقول عن أقنوم الإبن : "الرب قال لي : أنت ابني" (مز 2/7). لا تتمسّك بما يقوله اليهود، بل بما يقوله الأنبياء. لماذا تتعجّب من ازدرائهم لأقوال الأنبياء، إن كانوا قد رجموا الأنبياء، وقتلوهم؟

3 – واحد هو الابن

آمن أنت بربّ واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد. إننا نقول "واحداً" حتى لا نفكرّ في آخر غيره. ونقول إنه واحد، حتى أن العدد الكثير من الأسماء – التي تطلق على وجوه نشاطه المختلفة – لا يحملك على الاعتقاد كفراً بتعدّد الأبناء إنه يُدعى "الباب"،

ولكن هذه التسمية لا تعني باباً خشبياً (يو 10/7)، بل باباً روحياً، حيًّا، يميّز بين الداخلين منه. ويُدعى "الطريق"، ولكن ليس هو الطريق الذي يُداس بالأقدام (يو 14/6)، بل الطريق الذي يؤدي إلى الآب السماوي. ويُدعى "النعجة"، لا الحيوان غير العاقل، (اشعيا 53/7 – 8)، بل تلك التي بدمها الكريم تطهّر العالم من خطاياه، وتساق إلى الجزّاز وتعرف كيف تلتزم الصمت (اشعيا 53/7 ؛ أعمال 8/32)؛ وهذه النعجة تدعى بدورها "الراعي"، عندما يقول : "أنا الراعي الصالح" (يو 10/11).

إنه نعجة بسبب ناسوته وراعٍ بسبب صلاح ألوهيته. هل تريد أن تعرف أن الأمر يتعلّق بنعاج عاقلة؟ إسمع ما يقوله المخلص للرسل : "هاءنذا أُرسلكم كالنعاج بين الذئاب" (متى 10/16). وهو يدعى أيضاً "أسداً"، لا الحيوان الذي يفترس البشر، بل نريد أن نظهر بهذه التسمية كرامةَ شخصه الملكية، الثابتة، الهادئة. إنه يُدعى أسداً لمقابلته بالأسد المُعادي الذي يزأر ويفترس جميع الضالين (1 بطرس 5/8) أمّا المخلص فإنه جاء – بدون أن يغيّر وداعة طبيعته – كأسد قويّ من سبط يهوذا (رؤيا 5/5 ؛ تك 49/9)، ليمنح الخلاص للمؤمنين ويصرع العدّو. ويُدعى "حجراً"، لا ذلك الحجر الأصمّ الذي نحتته أيدي البشر، (1

بطرس 5/8)، بـل حجـر الزاويـة الـذي يرتكـز عليـه المـؤمن ولا يُخزى.

4 – أسماء المسيح

يُدعى "المسيح" (متى 1/16)، أي الممسوح ليس بأيد بشرية،

بل مسحه الآب (أعمال 4/27) إلى الأبد لرئاسـة الكهنوت لأجل البشر (عبر 5/5). ويُدعى "ميتاً" (رؤيا 1/18)، وهذا لا يعني أنه بقي بين الأموات في الجحيم كسائر البشر، بل هو الوحيد الذي ظلّ حرًّا بين الأموات (مز 87/5).

ويُدعى "ابن الإنسان" (متى 16/13)، لا لأنـه من أصـل أرضـي مثل كل واحد منّا نحن البشر، بل لأنه آتٍ على السحاب ليدين الأحياء والأموات (متى 24/30). ويُدعى "ربًّا" (لـو 2/11)، لا على سبيل المغالاة كما هي الحال بين البشر، إنما هو ربّ بطبيعته ومنذ الأزل. ويُدعى "يسوع"، وهو اسم يليق به (متى 1/21 ؛ لو 1/31)، لأنه يأخذ هذه التسمية من الشفاء الخلاصي الذي يمنحنا. ويُدعى "ابناً" (متى 3/17 ؛ مز 2/7)، ليس لأنه نال النبوّة بالتبني، ولكن لأنه وُلد بحسب الطبيعة. كثيرة إذن هي الأسماء التي تُطلق على ربنا. ولكن لئلا تكون أضاليل الهلاطقة – الذين يقولون إن المسيح هو غير يسوع، وآخر هو "الباب" ... – حجرّ عثرة لك، فقانون الإيمان يحذرّك حقاً بقوله : "وبربٍ واحد يسوع المسيح". فالأسماء كثيرة، ولكنها لشخص واحد.

5 – المسيح ربّ حقاً

وعليه، تختلف نظرة كل واحد إلى المخلّص باختلاف حاجته إليه : فهو "الكرمة" لمن هم في حاجة إلى فرح، (يو 15/1)،

و "الباب" لمن هم في حاجة إلى الدخول، (يو 10/7)، و"عظيم الأحبار الوسيط" (عبر 7/26، 1 تيمو 2/5) لمن هم في حاجة إلى تقديم صلوات. وللخطأة فهو "النعجة" التي تُذبح لأجلهم. يصير كلاً للكل (1 كور 9/22) مع كونه لا يزال باقياً كما هو بحسب طبيعته. وهو، إذ يبقى كما هو محتفظاً بكرامة نبوّته بلا تغيير، يسعى كطبيب ماهر ومعلّم رؤوف إلى نجدتنا في أسقامنا. وبما أنه ربّ حقاً، لم يتلقَّ الربوبية تدريجياً، بل كانت له بطبيعته. وهو لا يُدعى "ربًّا" على سبيل المغالاة كما نفعل نحن، ولكنه ربّ حقاً، إذ أنه بإرادة أبيه يدبّر أعماله الخاصّة. نحن نبسط سلطاننا على أناس مساوين لنا في الكرامة والطبيعة، وأحياناً على أناس أنبل منا، ويحدث أحياناً أن يتسلط سيّد شاب على خدم مسنين. أما الربوبية لدى سيدنا يسوع المسيح فليست هكذا؛ إنه أولاً خالق ثم ربّ : لقد خلق أولاً كل شيء بإرادة الآب، ثم أخذ يدبّر أولئك الذين خلقهم.

6 – المسيح في العهد القديم : في سفر التكوين ...

فالمسيح الرب هو الذي وُلد في مدينة داود (لو 2/11). هل تريد أن تعرف كيف كان المسيح الرب مع الآب قبل أن يتأنس، حتى

لا تسلّم بالذي يُقال لك بدافع الإيمان فقط، بل على أساس البراهين المستقاة من العهد القديم؟ خذ السفر الأول، سفر التكوين. قال الله : "لنصنع الإنسان" لا على صورتي، بل "على صورتنا" (تك 1/26). وبعدما خُلق آدم، يقول : "فخلق الله الإنسان على

صورته، على صورة الله خلقه" (تك 1/27). إنه لم يُقصر على الآب وحده كرامة الألوهية، بل شمل الابن أيضاً، ليُظهر أن الإنسان ليس من صنع الآب وحده، بل كذلك من صنع ربّنا يسوع المسيح الذي هو إله حق. وهذا الرب نفسه الذي يتعاون مع الآب تعاون معه في دمار سدوم، كما يؤكّد ذلك الكتاب المقدس : "وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند ربّ السماء" (تك 19/24). وهذا الرب نفسه هو الذي رآه موسى فيما مضى بالقدر الذي كان يمكنه أن يراه (خر 3/2 ؛ 34/5 – 6)، لأن الرب صالح، وهو يأتي إلى نجدتنا في أسقامنا.

7 - ... في سفر الخروج ...

ولكي تعلم أنه هو الذي ظهر بموسى، فإليك شهادة بولس : "كان آباؤنا يشربون من صخرة روحية تتبعهم، وهذه الصخرة كانت المسيح" (1 كور 10/4). وأيضاً : "بالإيمان ترك موسى مصر" (عبر 11/26). وكان قد قال قبل ذلك : "وعدّ عار المسيح أغنى من كنوز مصر" (عبر 11/25). وكان موسى هذا قد قال للرب : "أرني وجهك" (خر 33/13). ترى أن الأنبياء

كانوا عندئذ يرون وجه المسيح، ولكن كلّ بحسب طاقته : "أرني ذاتك حتى أعرفك" (خر 33/13). فأجابه الرب : "لا يراني إنسان ويعيش" (خر 33/20). وبما أنه لا يستطيع أيُّ كائن حيّ أن يرى وجه الألوهية، أخذ الرب وجه إنسان، حتى إذا رأيناه

نعيش. وعندما أراد أن يُظهر هذا الوجه نفسه بشيء من الكرامة، "أشعَّ وجهه كالشمس" (متى 17/2)، "وأكبّ التلاميذ لوجودهم وقد استولى عليهم خوف شديد" (متى 17/6). فإن كان هو، عندما أضاء وجه جسده لا بقدر ما يستطاع، بل بقدر طاقة تلاميذه، قد أرعبهم إلى حدّ أنهم لا يتمكنّوا من تحملّه، فكيف يقدر أحد أن يتطلع إلى كرامة ألوهيته؟ قال الرب لموسى : "إنك ترغب شيئاً عظيماً، وهذا الذي سألته أفعله" (خر 33/17)، ولكن بقدر ما يمكنك أن تتحمل "ها أني أجعلك في نقرة الصخرة" (خر 33/22)؛ وبما أنك صغير، فستمكث في مكان صغير.

8 – سفر الخروج (تابع)

إحفظ هكذا ما قيل بسبب اليهود، لقد كان غرضنا أن نبرهن على أن الرب يسوع المسيح كان لدى الآب. قال الرب إذن لموسى : "أنا أجيز جميع جودتي أمامك وأنادي باسم الرب قدّامك" (خر 33/19). بما أنه الربّ، فأيّ رب ينادي؟ ترى، انه يعلّم بطريقة خفية العقيدة الخاصة بالآب والابن. وبهد هذه الكلمات نقرأ : "فهبط الرب في الغمام، ووقف عنده هناك، ونادى باسم الرب.

ومـرّ الـرب قدّامـه ونـادى : الـرب ربّ رحيم ورؤوف، ويغفـر الذنب والمعصية والخطيئة" (خر 34/5 –ـ 8). فأسـرع موسـى وخرّ إلى الأرض ساجداً أمام الرب الذي نادى الآب، وقال :

"يا ربّ، سِر معنا" (خر 34/8 – 9).

9 - ... في المزامير ...

هذا برهان أول، وإليك برهـان ثـانٍ أكـثر وضـوحاً : "قـال الـرب لـربي : إجلس عن يميـني" (مـز 109/1 ؛ مـتى 22/44). إنـه الرب الذي يقول للرب لا للخادم، بل لربّ كل شـيء، لابنـه الـذي أخضع له كل شيء (عبر 2/8). وعندما يقـول : "قـد أخضـع لـه كل شيء، "فمن الواضح أنه يستثني الذي أخضع له كل شـيء" (1 كـور 15/27)، ومـا يلي هـذا : "فيكـون اللهُ كـلَ شـيء في كـل شـيء" (1 كـور 15/28). لم يغتصـب الابنُ الوحيـد وربُّ كـل شـيء، الابنُ المطيـع للآب، (لم يغتصـب) الربوبيـة، بـل تلقّاهـا بحسـب الطبيعـة باختيـار حـرّ. لأن لا الابن اغتصـبها ولا الآب رفض أن يعطيهـا لـه. وهـو نفسـه يقـول : "قـد أولاني أبي كـل شيء" (متى 11/27)؛ ليس أن هـذه الأشـياء لم تكن لي من قبـل، بل إني أحفظها حسناً دون أن أحرم منها ذاك الذي أعطاها لي.

10 – ربوبية المسيح في الإنجيل

ربّ إذن هـو ابن الله، ربّ هـو الـذي وُلـد في بيت لحم اليهوديـة، حسب قول الملاك للرعاة : "إني أبشـرّكم بفـرح عظيم، "وُلـد لكم اليوم في مدينة داود، المسيحُ الرب"ـ (لو 2/10). وقد تحدّث عنـه أحد الرسل في موضع آخـر، قـال : "أرسـل (الله) كلمتـه الى بـني اسرائيل وبشرّ بالسلام بيسوع المسيح الذي هو رب الكل"

(أعمـال 10/36). وعنـدما يقـول "الكـل" لا يسـتثني أحـداً من سـلطانه، سـواءاً الملائكـة أو رؤسـاء الملائكـة، أو السـيادات أو السلاطين، أو أيّ مخلوق آخر يمكن أن يسميه الرسـل، كـل شـيء يخضع لسلطان الابن. إنه ربّ الملائكة، كما تشهد الأناجيل بذلك : "حينئذ تركه إبليس، وإذا ملائكة جاءت فصارت تخدمـه" (متـى 4/11)؛ لا يقول "أخـذت تسـعفه"، بـل "صـارت تخدمـه"، وهـذا منـوط بالخـادم، وبمـا أنـه كـان سيولد من عـذراء، فجبرائيـل قـام بمهمّة الخادم؛ إنه وضـع كرامتـه في خدمتـه. ولمـا كـان يقتضـي عليـه أ، يـذهب إلى مصـر لتحطيم أصـنام مصـر، (أشـعيا 19/1) تراءى أيضاً ملاك ليوسـف في الحلم (متـى 2/13). وبعـد صـلبه وقيامته، بشّر ملاك النسوّة – كخادم أمين – قائلاً لهنّ : "أسـرعن في الـذهاب إلى تلاميـذه وقلن لهم : إنـه قـد قـام من بين الأمـوات، وها هوذا يتقـدّمكم إلى الجليـل فترونـه هنـاك. هـذا مـا قلتـه لكنّ" (متى 28/7). كما لو كان يقول : لقد بلّغتكنّ الأمر وبشرّتكن بمـا يجب أن أقـول، حـتى إذا لم تعلمن بكلامي لا يقـع الخطـأ عليّ بـل على الذين أهملوه. إذن هـو الـرب الوحيـد يسـوع المسـيح، الـذي جاء عنه في القراءة التي تليت في البداية : "وقد يكون في السـماء

أو في الأرض ما يُزعم أنهم آلهة ... أما عندنا فليس إلاّ إلـه واحـد وهو الآب، منه كل شيء ونحن إليـه راجعـون، ورب واحـد وهـو يسوع المسيح، به كان كل شيء، وبه نحن قائمون" (1 كو 8/5 – 6).

11 – مقارنة بين يسوع ويشوع

يحمل يسوع المسيح إسـمين : "يسـوع" لأنـه يخلّص، و"مسـيح" لأنه حَبر. وهذا ما كـان يعرفـه موسـى، أعظم الأنبيـاء الملهمين. لذلك اختـار من بين جميـع الشـعب رجلين، أطلـق عليهمـا اسـمين جديدين، وهما : خلفه في القيادة "هوشع" الذي استبدل اسمه باسم "يشوع" (عدد 13/17)، وأخـوه "هـرون" الـذي لقّبـه "المسـيح" (خر 40/13)، لكيمـا يصـبح الكهنـوت الأعظم والكرامـةُ الملكيـة ممَثَّلين، _ من خلال هَذين الرجلين الممتازين – في يسوع المسيح الوحيد الآتي. وفي الواقع إن يسوع المسيح هو حَبر مثل هـرون، فإنه "لم ينتحل المجد فيجعل نفسه حبراً ... بل إنما جعله الذي قال له: أنت كاهن للأبد على رتبة ملكيصادق" (عبر 5/5 ـ 6) أمـا يشوع بن نون، فقد كان مثالاً في ظـروف عديـدة؛ ذلـك أنـه تـولّى قيادة الشعب، وحكمُه ابتداء من الأردن؛ هكذا المسيح، بعد عماده، قام بالبشارة. وكما أ، ابن نون اختار إثني عشر رجلاً ليقسم بينهم الميراث، كذلك أرسل يسوع الأثني عشر رسـولاً ليبشّـروا بـالحق في العـالم كلّـه. وقـد أنقـذ يسـوع راحـاب الغانيـة، لأنهـا آمنت.

ويسوع الحق يقول : "إن العشارين والبغايا يسبقونكم إلى ملكوت الله" (متى 21/31). وعلى صوت البوق فقط سقطت أسوار أريحا على المثال (يشوع 6/20)، ولأن يسوع قال : "لن يترك هنا حجر على حجر" (متى 24/2)، سقط هيكل اليهود الذي هو أمامنا؛ ولم يكن هذا الحكم هو الذي أدّى إلى سقوطه لكنّ كفر الكفرة كان سبب سقوطه.

12 – أشعيا يدعوه مخلصاً

يسوع المسيح هو الرب الوحيد، وقد بشّر الأنبياء باسمه بطريقة مبهمة. فقد قال أشعيا النبي : "هوذا مخلصك آتٍ وجزاؤه معه" (أشعيا 62/11). وكلمة "يسوع" في اللغة العبرية تعني "المخلص". وإذ سبق ورأت النعمةُ النبوية أن اليهود سيقتلون الإله المتجسّد، لم تكشف لهم عن هذه التسمية لكي يتمكنوا – وهم لا يعلمون مسبقاً هذا الاسم بصفة أكيدة – من نصب شراكهم بسهولة أكثر. لقد دُعي يسوع لا من الناس بل من الملاك – الذي لم يأتِ من نفسه، ولكن بناء على أمر الله – ليقول ليوسف : "لا تخف أن تجيء بامرأتك مريم إلى بيتك، إن الذي تحمله هو من الروح القدس، وستلد ابناً فسمّه يسوع. – وأضاف في الحال سبب هذه التسمية بقوله – " لأنه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم" (متى 1/20 – 21). قل لي : كيف يمكن أن يكون شعبٌ للذي لم يولد بعد، إن لم يكن كائناً قبل أن يولد؟ وهذا ما يقوله النبي عن شخصه : "إن الرب ذكر إسمي من أحشاء أمي" (أشعيا 49/1). لذلك أعلن الملاك من قبل أنه سيُدعى يسوع.

وفيما يخصّ نوايا هيرودس السيئة، يقول : "وفي ظلّ يده خبأني" (أشعيا 49/2).

13 – واليونانيون يسمّونه طبيباً

"يسوع" إذن عند العبرانيين يعني "المخلّص"، وعند اليونانيين "الطبيب". وبما أنه طبيب النفوس والأجساد وشافي الأرواح،

فهو يشفي عميان الحواس بضياء أذهانهم. وبما أنه طبيب العرج المنظورين، فهو يسدّد خطى الخطأة إلى التوبة. فيقول للمخلع : "لا تعد إلى الخطيئة" و"قم فاحمل فراشك وامشِ" (يو 5/14، 8). ولما كان الجسد قد شُلَّ بسبب خطيئة النفس، فهو يبدأ بشفاء النفس لكي يستردّ الجسد صحته. فإذا كان هنا أحد يتألم في نفسه من خطاياه، فلدينا طبيب، وإذا كان هنا أحد قليل الإيمان، فليقل له : "شدّد يا ربّ إيماني الضعيف" (مر 9/23).

وإن كان أحد يرزح تحت عبء أهوائه الجسدية، فلا ييأس، ولكن فليأتِ – لأنه يشفي حتى هذه الأمراض – وليعترف بأن يسوع هو المسيح.

14 – يسوع هو المسيح

لقد قبله اليهود على أنه "يسوع"، ولكن رفضوا أن يعترفوا بأنه "المسيح". ولذلك يقول الرسول : "من هو الكذّاب إن لم يكن ذاك الذي يُنكر أن يسوع هو المسيح؟" (1 يو 2/22). المسيح حَبرٌ

"له كهنوت لا يزول" (عبر 7/24). لم يبدأ كهنوته في الزمن، ولن يكون له خَلَفٌ في الكهنوت. كما سمعتَنا نقول في اجتماع يوم الأحد، بأن كهنوته على رتبة ملكيصادق. لم يتلقَّ كهنوته عن سلف بشري، ولم يُمسح بزيت أعدّه إنسان، بل مسحه الآب قبل الدهور. وبهذا يختلف عن الآخرين، إنه كاهن بقَسَم : "أولئك أقيموا بلا يمين، وأنا هذا فبيمين مِنَ الذي قال له : أقسمَ الرب ولن يندم، أنك كاهن للأبد" (عبر 7/20 – 21). في الواقع أن عزم

الله وحده كان كافياً للتثبيت. ولكن الله استخدم هنا وسيلة مضاعفة للتأكيد : القسمَ مضافاً إلى العزم. "وشاء بهذين الأمرين الثابتين – ويستحيل أن يكذب الله فيهما – أن نتشدّد نحن الذين التجأوا إلى ما جعل لهم من رجاء ليتمسّكوا به" (عبر 6/18)، نحن الذين نعترف بأن المسيح هو ابن الله.

15 – اليهود وحدهم يرفضونه

عندما جاء المسيح، نكره اليهود، ولكن الشياطين اعترفوا به (لو 4/41)، وداود جدّه لم يجهله، إذ قال : "أعددتُ سراجاً لمسيحي" (مز 131/17). يرى بعض المفسّرين في السراج وضوحَ النبوّة، والبعض الآخر تجسدّ المسيح من العذراء مريم، وفقاً لكلمة الرسول هذه : "هذا الكنز نحمله في آنية من خزف" (2 كور 4/7). ولم يجهله النبيّ أيضاً، عندما قال : "وأعلن للبشر بمسيحه" (عاموس 4/13). عرفه موسى وأشعيا وإرميا، ولم يجهله أحد من الأنبياء. والشياطين أيضاً عرفوا أنه المسيح" (لو

4/41). لم يعرفه رؤساء الكهنة، ولكن الشياطين اعترفوا بـه؛ لم يعرفه رؤساء المهنـة، ولكن امـرأة سـامرّية بشـرّت بـه، بقولهـا : "هلّموا انظروا رجلاً ذكرني كل شيء فعلت. فلعلّه المسيح" (يـو 4/29).

16 – إسم جديد مبارك في كل الأرض

" يسوع المسيح، هذا هو الذي جاء حبراً للخيرات المستقبلة"

(عـبر 9/11). وهـو الـذي – من أجـل كمـال لاهوتـه – أعطانـا جميعاً اسمه الخـاص. فـالملوك بين البشـر لهم تسـمية لملكينهم لا يشاركهم فيها البشر. أمـا يسـوع المسـيح، الـذي هـو ابن الله، فقد أعطانا أن ندعى "مسـيحيين". وَلَـرُبَّ قائـل أن اسـم "مسـيحيين" هو اسم جديد لم يكن مسـتعملاً من قبـل؛ على أن الأشـياء الجديـدة غالباً ما تناقض بسبب طابعها الجديد. ولكن النبي نوّه بذلك عندما قال : "ويُدعى عبيدي باسم آخر، ويكـون هـذا الاسـم مباركـاً على الأرض" (أشـعيا 65/15 –ـ 16). لنسـأل اليهـود : "هـل أنتم تخدمون الرب أم لا؟ أين اسـمكم الجديـد؟ لقـد كنتم تـدعون يهـوداً وإسرائليين في أيام موسى وسائر الأنبياء؛ وحتى بعد الرجوع من سبي بابل، ولا تزالون تدعون كذلك حتى اليوم. فـأين إذن اسـمكم الجديد؟ ولكن نحن، بما أننا نخـدم الـرب، نلنـا اسـماً جديـداً، أجـل جديداً. إسم جديد مبـارك في الأرض؛ وقـد انتشـر هـذا الاسـم في العالم كله. يقيم اليهود في منطقة، ولكن المسيحيين منشرون حتى أقاصـي الأرض لأن المبشَّر به هم اسم ابن الله الوحيد.

17 – شهادة بولس وقيمتها العظيمة

هل تريد أن تعرف أن الرسل عرفوا اسم المسيح وبشرّوا به، وأنهم علاوة على ذلك كانوا يحملون المسيح في قلبوهم؟ كان بولس يقول لمستمعيه : "تريدون برهاناً على أن المسيح ينطق بلساني" (2 كور 13/3). وكان بولس يبشّر بالمسيح قائلاً : "لسنا ندعو إلى أنفسنا، بل إلى يسوع المسيح، إلى الرب. وما

نحن إلاّ خدّام لكم من أجل المسيح" (2 كور 4/5). ومن هو بولس هذا؟ إنه ذلك الذي كان مضطهداً في الماضي. ويا لَلعجب ! ذلك الذي كان يضطهد المسيح من قبل، هو الذي يبشّر به اليوم. ولماذا؟ هل بدافع المال؟ ولكن لم يكن في استطاعة أحد أن يقنعه بهذه الوسيلة! أو هل لأنه رآه على الأرض، فكان يخشاه ! لكن يسوع كان قد صعد إلى السماء. كان بولس قد رحل ليضطهد؛ وبعد ثلاثة أيام أصبح المضطهد مبشَّرا في دمشق. بأية قوّة؟ في استطاعة البعض أن يذكروا (مثل) أصدقاء لأصدقائهم. أما أنا فأذكر لك مثل مَن كان في السابق عدواً، وأنت لا تزال تشكّ؟ عظيمة هي شهادة بطرس ويوحنا، على أنه يمكن الشك فيهما، لأنهما صديقي يسوع؛ ولكن مَن يستطيع الشكّ في صدق مَن كان عدواً للمسيح ثم مات من أجله؟

18 – المضطهد السابق يصبح كاتب الرسائل المسيحية الأول

وفي هذه النقطة من خطابنا، لنعجب من تدبير الروح القدس ! ولنرَ كيف أنه أعطى للرسل الآخرين أن يكتبوا رسائل قليلة، بينما أعطى لبولس، المضطهد السابق، أن يكتب أربع عشرة رسالة. لم يكن بطرس ويوحنا أقلّ منه، فحبسّ عنهما نعمته. حاشا ! ولكن لا شك في أنه أعطى للذي كان من قبل عدواً ومضطهداً أن يكتب لتثبيتنا في الإيمان. ففي الواقع أن الجميع كانوا مستغربين من بولس، وكانوا يقولون : "أليس هذا الذي كان مضطهداً في

الماضي؟ ألم يأتِ إلى هنا ليسوقنا موثقين إلى القدس؟ "أعمال (9/21). فكان بولس يجيب : "لا تعجبوا. إني أعرف أنه لَصعب عليَّ أن أرفس المهماز" (أعمال 9/5)، "وأعلم أني لست أهلاً لأن أسمّى رسولاً لأني اضطهدت كنيسة الله" (1 كور 15/9)، ولكن عن جهل (1 تيمو 1/13). كنت أظن أن التبشير بالمسيح معناه بطلان الشريعة، وكنت أجهل أنه أتى "لا ليبطل الشريعة بل ليتممها" (متى 5/17)، ولكن نعمة الله فاضت فيّ.

19 – كثرة الشهادات لصالح المسيح

أحبائي، كثيرة هي الشهادات الحقيقية لصالح المسيح : فمن السماء شهد الآب لابنه (متى 3/17)، وشهد الروح القدس بحلوله في صورة جسمية كأنه حمامة (لو 3/22)؛ وشهد الملاك جبرائيل عندما بشّر مريم (لو 1/27 ـ 38)؛ وشهدت العذراء الأم؛ وشهد موضع المذود المقدس (لو 2/7)؛ وشهدت مصر التي تلقّت الرب

في الجسد، عندما كان طفلاً (متى 2/14)؛ وشهد سمعان الشيخ عندما حمله على ذراعيه، وقال : "ربّ، أطلق الآن عبدك بسلام، وفاقاً لقولك. فقد رأت عينايَ ما أعددته من خلاص للشعوب كلها" (لو 2/28 – 31). وشهدت له حنّة النبية، الأرملة التقية الناسكة؛ وشهد يوحنا المعمدان، أعظم الأنبياء، ورأسُ العهد الجديد، الذي يصل نوعاً ما في شخصه العهّدين، القديم والجديد. وشهد له، بين الأنهار، نهرُ الأردن، وبين البحار، بحيرة طبريا.

وشهد له العميُ والعرج، والأمواتُ الذي قاموا (من القبور)، والشياطين الذين قالوا : "ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟ أأتيت لتهلكنا ! لقد عرفناك مَن أنت : إنك قدوس الله" (مر 1/24). وشهدت له الرياح التي انتهرت فسكنت، والخبزات الخمس التي تكاثرت فأشبعت خمسة آلاف، وخشبةُ الصليب الكريمة التي تُرى عندنا حتى يومنا هذا، وتملأ الأرض بما اقتطع منها بإيمان من ذخائر، ونخيلُ الوادي الذي زوّد بسعفه الأطفال الذين هتفوا عندئذ للمسيح. وبستان جتسماني الذي لا يزال يرشد الذين يفهمون الى يهوذا. وهذه الجلجلة المقدسة التي تشرف على المدينة. والقبر المقدس، والحجر الذي دُحرج. والشمس التي تضيء اليوم، وانكسفت في يوم الآلام الخلاصية، والظلمة التي حدثت عندئذ، من الساعة السادسة حتى التاسعة، على الأرض كلها. والنور الذي أضاء من الساعة التاسعة حتى الغروب، وجبل الزيتون الذي صعد منه إلى أبيه، والأبواب الأبدية التي دخل منها الرب، وقال عنها صاحب المزامير : "إرفعوا أبوابكم، أيها الرؤساء،

وارتفعن أيتها الأبواب الأبدية ليدخل ملك المجد" (مز 23/7). وأعداء ذلك الزمان، وأحدهم الطوباوي بولس، الذي كان عدواً للمسيح بعض الوقت، ثم خدمه زمناً طويلاً. والرسل الإثنا عشر الذين بشّروا بالحق، لا بالقول فقط، بل بالعذاب والموت، ويشهد ظِلّ بطرس الذي كان بمجرّد وقوعه على المرضى يشفيهم باسم يسوع، والمناديل والمآزر التي كانت قد لمست جسم بولس، فتشفي المرضى بقوّة المسيح (أعمال 19/12).

والفُرس والغوط يشهدون، وكل الذين أتوا من الوثنية وماتوا في سبيل الذي لم يروه بأعين الجسد.

20 – احترام اسم "مسيحي"

هل يمكن بعد كل هذه الشهادات العظيمة المختلفة العديدة أن نرفض الإيمان بشهادة المسيح؟ إن كان لا يزال هناك أحد لا يؤمن، فليؤمن الآن. وإن كان مؤمناً، فليزدد إيماناً بربنا يسوع المسيح، وليعترف بذلك الذي يتلقى منه اسمه. أنت تدعى مسيحياً، فاحفظ جيدًّا هذا الإسم. ولا تكن سبباً في التجديف على ربنا يسوع المسيح، ابن الله. بل لتضيء أعمالك الصالحة بين الناس لكي ما، اذا رأوها، يمجّدوا في المسيح ربنا الآب في السماوات. له المجد الآن وإلى أبد الدهور. آمين.

العظة الحادية عشرة

" ... ابن الله الوحيد، المولود، إله حق، من الآب قبل كل الدهور، به كان كل شيء"

"إن الله، بعدما كلّم آباءنا قديماً مرّات كثيرة بلسان
الأنبياء كلاماً مختلف الوسائل، كلّمنا في هذه الأيام،
وهي آخر الأيام، بلسان ابنه الذي جعله وارثاً لكل
الأشياء وبه أنشأ العالمين ..."

(عبر 1/1 – 2)

1 – يسوع المسيح الربّ الأوحد

أن يكون المسيح يسوع هو رجاؤنا، لقد قلنا ذلك بما فيه الكفاية قدر استطاعتنا، في ما قلناه إليكم الأمس. على أنه يجب ألاّ نؤمن بيسوع المسيح إيماناً عادياً، وألاّ نعتبره كأحد هؤلاء مسحاء صوريين، أما هو فالمسيح الحقيقي. إنه لم يصل إلى الكهنوت بترقية من البشر، بل تلّقى من الآب منذ الأزل الكرامةَ الكهنوتية. ولذلك – لكيما لا نقبل أحد هؤلاء المسحاء العاديين – يحذّرنا الإيمان عندما يدرج في قانون الإيمان هذه العبارة : "نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد".

2 – يسوع المسيح "الأوحد"

عندما تسمع "ابن" لا تفكّر في ابن بالتبني، بل في ابن بحسب الطبيعة، ابن وحيد ليس له أخ آخر غيره. إنه يُدعى "وحيداً"، لأن ليس له أخ آخر في الكرامة الإلهية ولا في مولده من الآب. ونحن لا ندعوه ابن الله من ذاتنا، بل هو الآب الذي دعا المسيحَ ابنه. والتسمية تكون حقّة عندما تفرض من الآباء على أبنائهم.

3 – شهادة بطرس

فيما مضى أخذ ربنا يسوع المسيح الطبيعة البشرية، وهذا ما كان يجهله الكثيرون. ولما كان يريد أن يعلّم ما كان مجهولاً، جمع تلاميذه وسألهم : "من هو ابن الإنسان على حدّ قول الناس؟" (متى 16/13) لم يسألهم حباً في مجد باطل، بل كان يريد أن يعلّمهم الحقيقة لكيما لا يعتبروه – هم الذين يقيمون مع الله، ابن الله الوحيد – إنساناً عادياً؛ وعندما أجابوه : "بعضهم يقول : هو

إيليا، وغيرهم يقول : هو إرميا ... قال لهم : هؤلاء الذين لا يعرفون، معذورون، ولكن أنتم، يا رسلي، الذين شفيتم باسمي البُرص وطردتم الشياطين، وأقمتم الموتى، فيجب ألاّ تجهلوا الذي باسمه صنعتم هذه المعجزات". فالتزم الجميع الصمت (لأن هذا التعليم كان فوق طاقة الإنسان). لم يلجأ بطرس، هامة الرسل ورئيس الكنيسة، إلى التكهّن أو إلى المنطق البشري، بل الآب هو الذي أضاء ذهنه، فقال : "أنت المسيح – لا أي مسيح عادي – ، بل ابن الله الحي" (متى 16/16). وعليه تبع التطويب الكلمة

(التي كانت فعلاً فوق طاقة الإنسان) وخَتمتْ ما قيل، من أن الآب هو الذي كشف ذلك، إذ قال المخلص : "طوبى لك يا سمعان بن يونا، فليس اللحم والدم كشفا لك هذا، بل أبي الذي في السماوات" (متى 16/17). فكل من يعترف إذن بأن ربنا يسوع المسيح هو ابن الله، يشترك في التطويب. ولكن الذي ينكر ابن الله، فهو تعيس وشقي.

4 – ولادة المسيح الأزلية

(أقول لك) مرّة أخرى، إنه عندما تسمع كلمة "ابن"، لا تفهمها بالمعنى المجازي، بل بالمعنى الحقيقي، ابن بالطبيعة، لا بداية له. إنه لم يأتِ من العبودية إلى الكرامة بالتبني، بل هو ابن مولود منذ الأزل، ولادة لا لوم فيها، تفوق الإدراك. كذلك عندما تسمع أنه "بكر" (عبر 1/6)، لا تفكّر فيه تفكيراً بشرياً. لأن "الأبكار" بين البشر لهم أخوة آخرون ؛ كما هو مكتوب : "اسرائيل هو ابني

البكـر" (خـر 4/22). ولكن كمـا أن راؤبين كـان الابن البكـر وطرده إسرائيل لأنه صـعد على مخـدع أبيـه (تـك 49/4)، كـذلك اسرائيل طرد ابن الآب من الكرم وصلبه (متى 21/39). ويقـول الكتاب عن آخرين : "أنتم أبناء الرب إلهكم" (تثنية 14/1).

وفي موضـع آخـر : "قلت : إنكم آلهـة وبنـو العليّ كلكم" (مـز 81/6)؛ "قلت" ليس "ولـدتكم"؛ وبكلمـة الله هـذه، تلقّى هـؤلاء النبوة التي لم تكن لهم من قبل. أما هـو، فلم يكن على حـال آخـر، ولم يولد على حال آخر، بل وُلد منذ البدء إبنا لله الآب، كائناً قبل

كل بداية وقبل الدهور، ابن للآب مساوٍ في كل شـيء للـذي ولـده، أزليّ مولود من الآب الأزلي؛ حياة مولود من حياة، نور من نور، حق مولود من حق، حكمة من حكمـة، مَلِك مولـود من ملـك، إلـه من إله، قدرة من قدرة.

5 – ميلاد يسوع الأزلي والزمني

إذن إن سـمعت الإنجيـل يقـول : "كتـاب ميلاد يسـوع المسـيح بن داود بن إبراهيم" (مـتى 1/1)، فافهمـه عن ميلاده حسـب الجسـد، لأنه ابن داود في ملء الأزمنة، ولكنه ابن الله قبل كل الدهور، بلا بداية. تقبل بنوّته الجسدية التي لم تكن له، أما بنوّته للآب فهي لـه منذ الأزل. إن له أبوين : داود بحسب الجسـد، والله الآب بحسـب الألوهية. فما هو بحسب داود يخضـع للـزمن ويُلمَس ولـه نسـب؛ ولكن ما هـو بحسـب الألوهيـة، فلا يخضـع لزمـان أو مكـان، ولا

نسب لـه. لأن "مولـده مَن يصـفه؟" (أشـعيا 53/8). "أللهروح" (يـو 4/24) فوَلـد روحيـاً – بصـفته لا جسـد لــه – ولـداً لا يمكن الكشـف عنــه ولا إدراكــه. الابن ذاتــه يقـول على لســان الآب : "الـرب قـال لي : أنت ابـني وأنـا اليـوم ولـدتك" (مـز 2/7)؛ هـذا "اليـوم" ليس حـديثاً بـل أزليـاً؛ فهـو يـوم لا يحـدّه زمن، قبـل كـل الدهور. "من الرحم قبل الفجر ولدتك" (مز 109/3).

6 – الإيمان بيسوع ابن الله الحي

آمن إذن بيسوع ابن الله الحي، الابن الوحيد، كما يقول الإنجيل :

"فلقد أحب الله العالم حتى أنه بذل إبنــه الوحيـد، لكي لا يهلـك كـل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو 3/16).

وأيضاً : "مَن آمن بالابن لا يدان" (يو 3/18)، "لكنه قد انتقل من المـوت إلى الحيــاة" (يــو 5/24). أمــا الــذي "رفض أن يــؤمن بالابن، فلا يرى الحيـاة أبـداً، "بـل غضـب الله يسـتقر عليـه" (يـو 3/36). "لأنـه لم يـؤمن باسـم ابن الله الوحيـد" (يـو 3/18) الـذي شهد لــه يوحنــا بقولــه : "ونحن قـد شـاهدنا مجـده، مجـداً من الآب لابنــه الوحيـد الممتلئ نعمــة وحقــاً" (يــو 1/14). (ابن) كــانت تعترف له الشياطين وهي ترتعد : "مـا لنـا ولـك يـا يسـوع ابن الله الحي؟" (مر 5/7 ؛ لو 4/34).

7 – الابن كامل كما أن الآب كامل

إنه إذن ابن الله بالطبيعة لا بالتبنّي، مولود من الآب. ومن يحبّ الولد يحبّ المولود منه (1 يو 5/1)، ومن يحتقر المولود يسيء إلى الآب الحبيب. وعندما تسمع أن الله يلد، فلا تقارنها بتوالد الأجساد، ولا تفكّر في أنها توالد فاسد، حتى لا تكون كافراً. الله روح (يو 4/24) ومولوده أيضاً روحي. الأجساد تلد أجساداً، والزمان ضروري لتكوين الأجساد. أما ولادة ابن الله، فلا تحتاج إلى وساطة الزمن. وهناك فالمولود يولد ناقصاً، أما ابن الله فوُلد كاملاً. ذاك وُلد في يوم معيّن، أما هذا فوُلد منذ الأزل بلا بداية.

نحن نولد أطفالاً جهلاء حتى نصل إلى استخدام العقل. أيها الإنسان، ان مولدك ناقص لأنك تنمو تدريجياً. ولكن لا تفكرّ في

شيء من هذا في حالة الابن، ولا تنسب أي ضعف إلى الوالد. لأنه إذا كان غيرُ الكامل يلد، والمولود يحصل على الكمال مع الزمن، ففي استطاعتك أن تنسب الضعف إلى الوالد، إذ أن الزمن حقاً منح ما لم يستطع الأب أن يمنحه منذ البداية.

8 – ميلاد الابن أزلي

لا تظنّ إذن أن هذه الولادة بشرية ولا عجيبة كولادة إبراهيم لإسحق؛ لأن ابراهيم لم يلد إسحق بحسب إرادته، بل كان آخر هو الذي منحه له. ولكن عندما وَلد اللهُ الآب، لم يكن هناك جهل أو إعتبار سابق، لأن القول بأنه كان يجهل ما كان يفعل، كفر.

والقول بأنه أصبح أباً باعتبار الأزمنة، كفر أيضـاً، لأن الله لم يكن أولاً بـدون ابن، ثم أصـبح أبـاً مـع الـزمن. بـل كـان لـه ابنـه منـذ الأزل، وقد ولده لاكما يلد البشرُ بشراً. بل كما هو وحـده يعـرف، ولده قبل كل الدهور، إلهاً حقاً.

9 – الابن لا يصبح ابناً

بما أن الآب إله حق، فقد ولد ابنه مساوياً له، إلهاً حقـاً، لا كمـا يلـد المعلمون تلاميـذاً، ولا كمـا يقـول بـولس للبعض : "إني أنـا الـذي ولـدكم بالبشـارة في المسـيح يسـوع" (1 كـور 4/15). في هـذه الحالة، مَن هو ليس ابناً طبيعياً، أصـبح ابنـاً بـالتعليم. أمـا هنـاك، فهـو ابن بالطبيعـة، ابن حقيقي. إنــه ليس مثلكم، يـا أيهـا الـذين يقبلـون الاسـتنارة، ليصـبحوا أبنـاء الله، أجـل ستصـبحون أبنـاء، ولكن

بالتبني، بحسب النعمة، كما هـو مكتـوب : "أمـا الـذين قبلـوه، فقـد أولاهم أن يصيروا أبناء الله، هم الذين آمنوا باسمه، "الـذين لا من دم ولا من مشـيئة لحم ولا من مشـيئة رجـل، لكن من الله ولـدوا" (يو 1/12 – 13). نحن نولد من الماء والروح، ولكن مسيح الله لم يولد هكذا، إذ في وقت عماده صـرخ (الآب) وقـال : "هـذا هـو ابني" (متى 3/17)؛ لم يقل "هذا قد صار ابني"، ولكن "هـذا هـو ابنـي"، ليظهر أنه كان ابنه قبل فاعلية العماد.

10 – الابن كلمة جوهرية حيّة

وَلد الآب إبنه لا كما يلد فكر البشر الكلمة. لأن الذهن موجود فينا جوهرياً؛ أما الكلمة عندما ننطق بها تنتشر في الهواء وتتبدّد.

ولكننا نعلم أن المسيح المولود ليس كلمة نُطق بها، بل كلمة جوهرية حيّة. إنه ليس كلمة لفظتها الشفاه فتبدّدت، بل كلمة ولدها الآب أزلياً في جوهر بحيث لا تُمحّى. لأن "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله" (يو 1/1) الجالس عن يمين الآب (مز 109/1)؛ كلمة يُدرك إرادة الآب ويخلق كل شيء بأمر أبيه؛ فكلمة نزل وصعد (أفسس 4/10)، بينما الكلمة التي ننطق بها لا تنزل ولا تصعد، كلمة يتكلّم ويقول : "أنا أقول بما رأيت عند أبي" (يو 8/38). كلمة كليّ القدرة وله سلطان على كل شيء، "لأن الآب جعل في يديه كل شيء" (يو 13/3 ؛ متى 11/27).

11 – الآب وحده يعرف ميلاد ابنه

فالآب إذن ولده ليس بطريقة يستطيع الإنسان إدراكها، بل هو وحده يعرفها. في الواقع أنه لم يُكشف لنا عن كيفية ولادته؛ ولكننا نؤكد فقط أنه لم يلده كما نتصّور. ولسنا نحن وحدنا نجهل ولادة الإبن من الآب، بل الخليقة كلّها. إسأل الأرض إن كانت تستطيع أن تخبرك (أيوب 12/8)، وأنت لو استعملت لدى كل كائنات الأرض، لَمَا عرفت أن تقول لك شيئاً. لأن الأرض لا تستطيع أن تفيدك، ولا حتى عن مادة ترابها ولا عن شكلها الخاص. وليست الأرض هي وحدها التي لا تعرف، ولكن

الشمس كذلك. لقد خُلقت الشمس في اليوم الرابع، وهي لا تعرف ما صُنع في الأيام الثلاثة الأولى. فالذي لا يعرف ما حدث في الأيام الثلاثة التي سبقته هو لا يستطيع أن يلقّنك شيئاً عن خالقه، لأنه بإشارة من الآب أضمحلّت السماوات كالدخان بالمسيح (أشعيا 51/6). فلا سماء السماوات ولا المياه التي تحت السماء تستطيع أن تحدّثك عنه (مز 148/4). فلماذا إذن تتضايق، أيها الإنسان، من عدم معرفة ما تجهله السماوات ذاتها؟ ليست السماوات فقط تجهل طبيعة هذه الولادة، بل كل طبيعة ملائكية.

فلو صعد أحد إلى السماء الأولى (إن كان ذلك ممكناً)، ورأى الرتب الملائكية فتقدّم وسألهم : "كيف وَلد اللهُ ابنه؟"، لربما أجابوه : "إن فوقنا مَن هم أعظم منا، فاسألهم". إذهب إلى السماء الثانية والثالثة، تقدّم، إن استطعت، إلى العروش والسلاطين، والسيادات والرئاسات والقوات (كولسي 1/16)، فإنه حتى أن

وصل أحد إليهم – وهذا مستحيل – فإنهم يمتنعون عن الإجابة لعدم معرفتهم.

12 – جسارة من يزعمون معرفة أعماق الله

ومن جهتي، فإني استغرب دائماً من جرأة الفضوليين الذين، بحجة التقوى، يسقطون في الكفر ! إنهم يجهلون العروش والسلاطين والرئاسات والقوات التي هي من صنع المسيح،

ويحاولون مع ذلك أن يبحثوا بكل فضـولية عن خـالقهم ذاتـه. قـل لي أولاً، أنت أيها الجرئ، ما هو الفرق بين العروش والسلاطين؟ ثم ابحث بعد ذلك عمّـا يخصّ المسـيح. قـل لي مـا هي الرئاسـات والقوّات والسلاطين والملائكة، وبعد ذلك ابحث في الخـالق، لأنـه "بـه كـان كـل شـيء" (يـو 1/2). ألا تريـد أن تسـأل العـروش والسلاطين؟ وهل لك ذلك؟ فمن ذا الذي يعـرف أعمـاق الله، غـير الروح القدس (1 كور 2/11) الذي تكلّم في الكتب المقدّسة؟ ولكن أليس الـروح القـدس الـذي تحـدّث عن ميلاد ابن الآب في الكتب المقدسـة؟ لمـاذا تبحث عمـا لم يتحـدّث عنـه الـروح القـدس في الكتـاب؟ أنت لا تعـرف مـا هـو مكتـوب، وتبحث عمـا هـو ليس مكتوباً؟ هناك أمور كثـيرة يجب البحث عنهـا في الكتب المقدسـة. إننا لا نفهم ما هو مكتوب، فلماذا نشغل أنفسنا بما لم يكتب؟ يكفينـا أن نعرف أن الله ولد ابناً وحيداً.

13 – آب واحد، ابن واحد، يعرفها الروح الواحد

لا تخجل من الاعتراف بجهلك، بما أنك تشارك الملائكة بهذا

الجهل. فالوالد وحده يعرف المولود منه، والمولود يعرف والده.

والذي وَلـد يعـرف مـا ولـده. وروح الله القـدوس يشـهد في الكتب المقدسة بأن الذي وُلـد منـذ الأزل هـو الله. "فمن ذا الـذي يعـرف أسرار الإنسان غير الروح الذي في الإنسان؟ وكـذلك مـا من أحـد يعـرف أسـرار الله غـير روح الله" (1 كـور 2/11)؛ "وكمـا أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أن تكون لـه الحيـاة في ذاتـه" (يـو 5/26)؛ و "ليكـرم الابنَ جميـعُ النـاس كمـا يكرمـون

الآب" (يو 5/23)؛ و "كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، فكذلك الابن يحي من يشاء" (يو 5/21). فالوالد لم يحدث له نقصان، والمولود لا ينقصه شيء. (اني أعلم أني قلت لكم ذلك مراراً، وإنما أكّرر ذلك مراراً لمنفعتكم). فلا الوالد له أب، ولا المولود له أخ.

لا الآب تحوّل إلى الابن، ولا الابن أصبح أباً. إبن وحيد أوحد من أب وحيد أوحد؛ لا والدان ولا ابنان، بل أب غير مولود (" غير مولود" هو الذي لا أب له) وابن وحيد مولود من الآب منذ الأزل؛ مولود لا في الزمان بل قبل جميع الأزمان. لم ينمُ تدريجياً، بل وُلد في الحالة هو عليها الآن.

14 – مولد الابن يتجاوز الزمن

إننا نؤمن إذن "بابن الله، الوحيد المولود من الآب الإله الحق"، لأن الإله الحق لا يلد باطلاً، كما قلنا. وهو لم يفكرّ ثم وَلد، بل وَلد منذ الأزل. وذلك بأسرع (مما نلد نحن) أفكارنا وكلماتنا. لأننا نحن، إذ نتكلّم في الزمن، نخضع للزمن. ولكن عندما يتعلق

الأمر بالقدرة الإلهية، فالميلاد يتمّ خارج الزمن. وكما قلنا مرّات عديدة : إن الإبن لم يأتِ من العدم إلى الوجود، كما أنه لم يأتِ من عدم (البنوة) الى التبني الإلهي. ولكن كما أن الآب الأزليّ، فقد ولد منذ الأزل، وبكيفية لا توصف، إبناً وحيداً ليس له أخوة. وكذلك ليس له مبدآن، ولكن رأس الابن هو الآب، المبدأ الوحيد (

1 كور 11/3). لأن الآب ولد ابنه، وهو إله حق، يُدعى عمانوئيل (أشعيا 7/14) الذي تفسيره : الله معنا (متى 1/23).

15 – مسحة المسيح المتجسدّ

هل تريد أن تعرف أنه إله، ذاك الذي وُلد من الآب وصار إنساناً؟ إسمع ما يقوله النبي : "هذا هو إلهنا، ولا يُعتبر مثله آخر.

"هو وجد طريق التأدّب بكماله، وجعله ليعقوب عبده وإسرائيل حبيبه. "وبعد ذلك تراءى على الأرض وتردّد بين البشر" (باروك 3/36 – 38). أما ترى أن الله تجسدّ بعدما سلّم الشريعة على يد موسى؟ إليك الشهادة الثانية عن ألوهية المسيح، من القراءة التي تُليت في البداية : "إن عرشك يا الله ثابت أبد الدهور" (عبر 1/8). ولكي لا تظنّ أنه بسبب ظهوره في الجسد، إرتقى بعد ذلك إلى كرامة الألوهية، يضيف الكتاب بحكمة : "لذلك يا الله مسحك إلهك بزيت الإبتهاج دون أصحابك" (عبر 1/9). ترى كيف أن المسيحَ اللهَ مُسح من الله الآب !

16 – كيف أن الآب والابن واحد

أتريد شهادة ثالثة عن ألوهية المسيح، إسمع ما يقول أشعيا :

"سَعيُ مصر وتجارة كوش تعبر إليكِ" (أشعيا 45/14)؛ وبعد ذلك بقليل : "يتضرّعون إليك قائلين : إنما الله فيك وليس آخر غيره. إنك لإله متحجّب، يا إله إسرائيل، أيها المخلّص" (أشعيا 45/14 – 15). هل ترى أن الله الإبن يحوي في ذاته الله الآب؟

وهذا هو تقريباً ما ورد في الأناجيل : "إني في الآب وإن الآب فيّ" (يو 14/11). كذلك لم يقل : "أنا والآب أنا واحد" بل "أنا والآب نحن واحد" (يو 10/30)، حتى لا نفصل بينهما ولا نخلطهما بـ "بنوّة أبويّة"؛ هما واحد من حيث الكرامة الإلهية، بما أن الله يلد الله. هما واحد من حيث الملكية، لأن الآب لا يملك على البعض والابن على البعض الآخر، كما أراد أن يفعل أبشالوم عندما ثار على أبيه. ولكن الذين يملك عليهم الآب، هم أنفسهم الذين يملك عليهم الابن. هما واحد لأنه ليس بينهما تنافر أو إنقسام؛ فكل ما يريده الآب يريده الابن. هما واحد لأنه ليست هناك أعمال للآب وأخرى للمسيح، بل صُنع جميع الأشياء قد حققها الآب في الابن؛ كما ينشد صاحب المزامير : "إنه قال فكان كل شيء، وأمر فخلق كل شيء" (مز 148/5). والحال مَن "يقول" يكلّم آخر ليسمع، ومن "يأمر" يأمر آخر لينفّذ.

17 – التمييز بين الآب والإبن

فالابن هو إذن إله حق، فيه الآب، دون أن يتحوّل هو إلى الآب، لأنه ليس الآب هو الذي تجسدّ بل الابن، لنقل الحقيقة بصراحة : الآب لم يتألم من أجلنا، بل أرسلَ الآبُ مَن تألم لأجلنا.

ولا نقل أبداً إن الآب كان عندما لم يكن الابن ولا نقبل كذلك "البنوّة الأبوية". علينا أن نسلك في الطريق الملكي، دون أن نميل لا إلى اليمين ولا إلى اليسار (عدد 20/17). ولا نظن بأننا نكرّم الإبن باعلانه أبا، أو أننا نكرّم الآب باعتبار الإبن أحد

خلائقـه. بـل لنعبـد الآبَ الوحيـد بـالابن الوحيـد دون أن تجـزّئ العبادة. إننا نبشر بالابن الوحيد الجالس قبل كل الـدهور عن يمين الآب؛ وهذا الجلوس عن اليمين لم يكتسبه في الـزمن بعـد آلامـه، بل هو حق له منذ الأزل.

18 – كمال الوالد والمولود

"من رأى الابن فقد رأى الآب" (يـو 14/9)، لأن الابن مسـاوٍ في كل شيء للذي ولده. وُلد حياة من حياة، نوراً من نـور، قـدرةً من قدرة، إلهاً من إله. وميزات الألوهية في الآب متسـاوية تمامـاً في الابن. ومن نَعِم برؤية ألوهية الإبن، وصل إلى التنعّم بـذاك الـذي ولده. وهذا الكلام ليس من عندي، بل هو كلام الابن الوحيد : "أنا معكم منذ وقت طويل، ألا تعرفني يا فيلبس؟ من رآني رأى الآب"؟ (يو 14/9). وخلاصة القول : لا نقسّم، لا نخلط بينهمـا، لا نقـل أبداً إن الآب غريب عن الابن. هذه التعاليم هي غريبـة وجاحـدة، وليست من تعاليم الكنيسة. نحن نعلّم أن الآب، بولادته ابنَـهُ، ظـلَّ الآب بدون تغيير. وَلَد الحكمة (1 كور 1/24) ولكنه لم يفقد لذلك الحكمة. وبولادته القدرة لم يصبح لذلك عاجزاً.

وبولادته الله لم يتخـلَّ عن الألوهيـة, أنـه لم يفقـد شـيئاً ولم ينقص ولم يتغيّر، ولم يتلـقَّ المولـود أيّ عيب. كامـل هـو الوالـد وكامـل المولود؛ الوالد هو إله والمولود إله كذلك. إلـهُ كل شيء، الآب هو

إلـه ذاتـه؛ وقـد سـجلّه (يوحنـا) فلا خجـل إذن في إعلانـه : "إني صاعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم" (يو 20/17).

19 – المسيح يعلن سمّو نسبه

ولكي لا تظن أن الآب هو أبو الابن، وأبو الخلائق على حدّ سـواء ميّز المسيح فيما بعد، لأنه لم يقل : "إني صـاعد إلى أبينـا" – لكي لا ندخل مشاركة بين الخلائق والابن الوحيد – ولكنـه قـال : "أبي وأبيكم"، ليظهر الخلاف : إنه أبي بحسب الطبيعة، وأبوكم بحسب التبـنـي. كـذلك قـال : "إلهي وإلهكم" للتميـيز : إلهي، لأني ابنـه المولـود منـه ووحيـده؛ إلهكم، لأنكم خلائقـه. ابن الله هـو إذن إلـه حق، مولود بكيفية لا توصـف قبـل كـل الـدهور. إني أكـرر ذلـك مراراً ليرسخ في أذهانكم. آمن إيمانـاً ثابتـاً بـأن الله ابنـاً، ولكن لا تحاول فضولياً البحث عن الكيفية.

لأنك بالبحث عنها لن تصل إلى شيء. لا ترتفع لئلا تسـقط. "مـا أمرك الله به، فيـه تأمّل دائمـاً" (سـيراخ 3/22). قـل لي أولاً مَن هـو الوالـد، ثم انظـر في أمـر المولـود. أنت لا تسـتطيع معرفـة طبيعة الوالد. فلا تبحث في معرفة كيفية المولود.

20 – المسيح يعلن سمو لاهوته

يكفيك لتقواك أن تعرف، كما قلنا، أن لله ابناً واحداً، وُلد بحسب

الطبيعة. إنه لم يبدأ كيانه عنـدما وُلـد في بيت لحم، بـل هـو كـائن قبل كل الدهور. إسمع ما يقول النبي ميخـا : "وأنت يـا بيت لحم، بيت أفراتة، انك لست الصغيرة في ولايـات يهـوذا، فمنـك يخـرج والٍ يرعى شعبي اسرائيل. ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل" (ميخـا 5/3 ؛ مـتى 2/6). لا تتعلّـق إذن بـالمولود الآن في بيت

لحم، بل اعبد المولود أزلياً من الآب. لا تسمع للذي يتكلّم في البدء الزمني، بل اعترف أن الآب أزلي لا زمن له. لأن مبدأ الابن هو الآب الأزلي، غير المدرَك، الذي لا يرأسه أحد. فينبوع نهر العدل (مز 45/5)، ينبوع الابن الوحيد، هو الآب الذي ولده ويعرفه هو وحده. وهل تريد أن تعرف أن ربنا يسوع المسيح هو ملك أزلي؟ إسمه يقول : "إبتهج أبوكم إبراهيم على رجاء أن يرى يومي ورآه ففرح" (يو 8/56). ولما استصعب اليهود قبول كلامه، قال لهم ما هو أصعب : "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو 8/58). وقال في موضع آخر، محدَّثا الآب : "فمجّدني الآن، يا أبتِ، بما كان لي من المجد عندك قبل أن يكون العالم". (يو 17/5). قال بحكمة : "قبل أن يكون العالم كان لي من المجد عندك". وقال أيضاً بعد ذلك : "لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم". (يو 17/24). إنه يقول بوضوح : "لي مجد أزلي عندك".

21 – المسيح صانع الكون

فلنؤمن إذن "برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد،

"مولود إله حق من الآب قبل كل الدهور، الذي به كان كل شيء"

(يو 1/3)، سواء أكانت العروش أم السيادات، الرئاسات أم السلاطين، (كولوسي 1/16)؛ كل شيء به كُوّن، ولا شيء مما كوّن يخرج عن سلطانه. فلتسكت كل هرطقة تنادي بصنّاع وخالقين مختلفين للعالم. فليخرس كل لسان يجدّف على المسيح ابن الله. وليسكت كل الذين ينادون أن المسيح هو الشمس. لأنه

هو خالق الشمس، وليس هو هذه الشمس التي تُرى. وليصمت هؤلاء الذين يقولون إن العالم هو من صنع الملائكة، الذين يريدون أن يجرّدوا الابن الوحيد من هذه الكرامة. لأن الأشياء المنظورة وغير المنظورة، والعروش والسيادات، وكل ما له اسم يُسمّى به (أفسس 1/21)، كل شيء كوّن بالمسيح. إنه يسود على كل ما صنع؛ إنه لا يسلب شيئاً لأحد؛ ولكنه يملك على جميع صنائعه، على حد قول يوحنا الإنجيلي : "به كان كل شيء، وبغيره ما كان شيء" (يو 1/3)؛ "كل شيء به كوّن"، أي أن الآب كان يعمل بواسطة الابن.

22 – مقارنة لإيضاح التعاون الخلّاق بين الآب والابن

أودّ أقدّم مثلا على ما قلته، ولكني أعلم أنه سيكون ضعيفاً، لأنه من المستحيل علينا أن نجد بين الأشياء المنظورة مثلاً يمكن تطبيقه على القدرة الإلهية غير المنظورة. ومع ذلك سأقول مثلاً، وإن يكن ضعيفاً وقائله ضعيفاً، والمستمعون ضعفاء : كما أن ملكاً له ابن ملك، أراد أن يؤسّس مدينة، إقترح على ابنه المالك معه أن يؤسس المدينة. فأخذ الابن الرسم المقترح وقام بتنفيذه

على أحسن ما يرام. هكذا كان الآب يريد أن يخلق كل شيء، فكوّن الابنُ كلَّ شيء بموافقة الآب، بحيث أن هذه الموافقة تركت للآب سلطته المطلقة، وكانت للإبن سلطته على أعماله الخاصة. ولم يُحرم الآب من سلطته على أعماله، ولم يتسلّط الابن على

خلائق من صنع غيره، بل على أعماله الخاصة. لأنها، كما قلنا، ليست الملائكة التي خلقت العالم، بل الابن الوحيد المولود قبل كل الدهور، كما قلنا، الذي به كان كل شيء وبغيره ما كان شيء. وحتى ما قلناه الآن يرجع الفضل فيه إلى نعمة المسيح.

23 – الكتاب المقدس يعلّم التعاون الخلاق

الآن وقد أتينا على تفسيره ما يقوله قانون الإيمان، فَلنَصِل إلى خاتمة هذه العظة. خلق المسيحُ كل شيء، الملائكة ورؤساء الملائكة، السيادات والعروش، لا لأن الآب كان يفتقر الى قدرة الخلق، بل لأنه أراد أن يجعل ابنه يملك على الخلائق التي صنعها.

كان هو حاضراً فيه، يرشده إلى ما كان يجب خلقه، بدليل أن الابن الوحيد قال في تكريم أبيه : "لا يستطيع الابن أن يصنع شيئاً من عنده، إلاّ الذي رأى الآب قد صنعه، فما صنعه الآب يصنعه الإبن على مثاله" (يو 5/19). وقال أيضاً : "إن أبي لا يزال يعمل، وأنا أعمل أيضاً" (يو 5/17). ليست هناك متناقضات في كل مل صنعه : "ما هو لي فهو لكَ، وما هو لك فهو لي" يقول الرب في الإنجيل (يو 17/10). ويمكن التأكد من ذلك بوضوح في العهد القديم كما في العهد الجديد، لأن الذي قال : "لنصنع

الإنسان على صورتنا كمثالنا" (تك 1/26)، كان، ولا شكّ، يتحدّث إلى شخص حاضر. وقد قال صاحب المزامير ذلك بوضوح أكثر : "إنه قال فكوّن كل شيء، وأمر فخلقت" (مز

148/5). إن الآب الذي كان يأمر ويقول : وكان الابن يخلق كل شيء بأمره.

وهذا ما قاله أيوب بشيء مستتر : "هو الباسط السماوات والسائر على متون البحر كأنه على الأرض الثابتة" (أيوب 9/8)، ليعلن للذين يفهمون أن الذي يسير على البحر هو ذاته الذي خلق السماوات من قبل. وفي موضع آخر يقول الرب لأيوب : "هل أنت الذي أخذت طيناً من الأرض فصنعت منه كائناً حياً، وعلّمته أن يتكلم، ووضعته على الأرض...؟ هل انفتحت لك أبواب الموت خوفاً، أم ارتعد حرّاس الجحيم لمشاهدتك؟ "أيوب 38/17. ليعلن أن الذي نزل الى الجحيم لكثرة صلاحه، هو الذي في البدء صنع الإنسان من طين.

24 – المجد للمسيح خالق الكون

فالمسيح إذن هو ابن الله الوحيد وخالق العالم. "فقد كان في العالم، وبه كان العالم" (يو 1/10)، "وجاء الى بيته" كما يعلّمنا الإنجيل (يو 1/11). لم يخلق المسيح الأشياء المنظورة فحسب، بل الأشياء غير المنظورة، وذلك بأمر الآب. يقول الرسول : "ففيه خُلق كل شيء : مما في السماوات ومما في الأرض، وما يُؤى وما لا يرى، أأصحاب عرش كانوا أم سيادة أم رئاسة أم سلطة. كل شيء خُلق به وله. كان قبل كل شيء، وبه قوام كل

شيء" (كولوسي 1/16 – 17). وحتى إذا تحدّثت عن الدهور، فيسوع المسيح هو صانعها بأمر الآب. "كلّمنا الله في هذه الأيام،

وهي آخر الأيام، بلسان الابن الذي جعلـه وارثـاً لكـل شـيء، وبـه أنشأ العالمين" (عبر 1/2). فله المجد والإكرام والقدرة، مع الآب والروح القدس، الآن وإلى أبد الدهور. آمين.

العظة الثانية عشرة

"... تجسّد وصار إنساناً"

"ثم عاد الربّ فكلّم آحاز قائلاً : أُطلب لنفسك آية من

عند الرب إلهك ... فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية : ها

إن العذراء تحبل وتلد إبناً يُدعى عمانوئيل".

(أشعيا 7/10 – 14)

1 – المسيح إله وإنسان معاً

يا رفاق الطهر وتلاميذ العفاف، لننشد بشفاه ملؤها الطهر المولـودَ من العـذراء. ونحن الـذين أُهِّلنـا للإشـتراك في جسـد الحَمَـلِ الروحي، لنشترك في الرأس والقدمين (خر 12/9) : يعني الرأسُ الألوهية والقدمان الطبيعيـة البشـرية الـتي اتخـذها. ونحن الـذين نسمع الأناجيل، لنثق بيوحنا اللاهوتي، لأنه قال : "في البـدء كـان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله" (يو 1/1).

ويضيف : "والكلمة صـار بشـراً" (يـو 1/14). لا يجب أن نعبـد فيه الإنسان فقط. ولا أن نقول إنه إله بدون الطبيعة البشـرية؛ لأن في ذلك كفراً. لأنه إذا كان المسيح إلهاً، وهو في الواقع إلــه، وإذا لم يأخذ الطبيعـة البشـرية، فـإن الخلاص لم يتمّ بعد لنـا. يجب أن نعبده كإله، وأن نؤمن بأنه صار إنساناً. لا فائدة من القول بأنه

إنسان بدون الألوهية، كما أنه لا خلاص لنا اذا فصلنا الطبيعة البشرية عن الألوهية. علينا أن نعترف بحضور الملك والطبيب. لأن المسيح الملك، لأجل شفائنا قد التفّ بالطبيعة البشرية، كما لو كانت كفناً (مر 15/46)، وشفى جروحنا. صار المعلّم الكامل طفلاً بين الأطفال ليعلّم السذّج التمييز (أمثال 1/4)، ونزل الخبزُ السماوي على الأرض ليُشبع الجياع (يو 6/33 – 35).

2 – اليهود يخطئون بعدم اعترافهم بالمسيح

رفض أبناء اليهود ذاك الذي جاء، وهم ينتظرون زوراً مخلصاً سيأتي. لقد رفض هؤلاء الضالّون المسيح الحق، وها هم يقبلون دجَّالا. وبذلك تتحقّق كلمة المخلّص : "جئت باسم أبي فلم تقبلوني، ولو جاءكم غيري باسم نفسه قبلتموه" (يو 5/43). من الأنسب أن نلقي على اليهود هذا السؤال : هل كان أشعيا النبي صادقاً أم كاذباً، عندما قال : إن عمانوئيل سيولد من عذراء؛ (أشعيا 7/14). ولا عجب إذا اعتبروه كاذباً، لأن من عادتهم، ليس فقط أن يعتبروا الأنبياء كذبة، بل أن يرجموهم. ولكن إذا قالوا إنه صادق، فليرشدونا إلى عمانوئيل ! كيف سيولد ذاك الذي سيأتي، وأنتم تنتظرونه؟ هل من العذراء أم لا؟ لأنه لم يولد من العذراء، فأنتم تكذّبون النبي. ولكن إذا كنتم تتوقعّون هذا في الذي سيأتي، فلماذا ترفضون الذي جاء فعلاً؟

3 – مغالطات الهراطقة في التجسّد

فليظلّ اليهود في ضلالهم ما داموا يريدون ذلك، ولتتمجّد الكنيسة. لأننا نحن نقبل أن نؤمن بأن الله الكلمة صار بشراً حقاً، لا بمشيئة الرجل والمرأة، كما يقول الهراطقة، ولكنّ الكلمة صار إنساناً من العذراء ومن الروح القدس، – بحسب الإنجيل – لا في الظاهر بل في الواقع. وبما أنه تجسّد حقاً من العذراء، فانتظر الآن وقت التعليم لكي تحصل على البراهين. لأن الهراطقة ذهبوا في ضلالهم شتى الطرق : فيقول البعض إن العذراء لم تلده أبداً.

ويقول البعض الآخر إنهُ وُلد، لا من العذراء، بل من مجامعة رجل مع إمرأة. ومنهم مَن يقول إن المسيح ليس إلهاً متجسدًّا، بل إنساناً متألهاً. وتجرّأ غيرهم على القول بأنه ليس الكلمة الأزلي الذي تجسدّ، بل هو رجل عادي، استطاع بقدرته أن ينال الإكليل.

4 – المعارضات في ميلاد المسيح العذري

ولكن تذكّر ما قيل بالأمس عن ألوهيته. وآمِن بأن ابن الله الوحيد ذاته هو الذي وُلد فيما بعد من العذراء. ثق بيوحنا الإنجيلي الذي يقول : "والكلمة صار بشراً فسكن بيننا" (يو 1/14).

الكلمة الأزلي المولود من الآب قبل كل الدهور، تجسّد في الزمن لأجلنا. على أنَّ كثيراً من المناقضين يقولون : ما هو السبب العظيم الذي يستوجب أن يتنازل اللهُ إلى حدّ أن يصير إنساناً؟ أصحيح إن الطبيعة الإلهية بأكملها نزلت وسكنت بين البشر؟ (باروك 3/38). وبما أن الاعتراضات كثيرة، فيجب مكافحتها

بعدة طرق. فاصبر، وسوف نقضي على كل منها بنعمـة المسـيح وصلوات الحاضرين هنا.

5 – أسباب التجسّد التاريخية

علينا، قبل كل شيء، أ، نبحث عن السبب الذي لأجله نزل المسيح على الأرض. لا تهتم كثـيراً باسـتدلالي الـذي يمكن مناقضـته بسهولة. ولكن لا تؤمن بما يُقال لك إن لم تُعطَ لك شـهادة الأنبيـاء لكل حالة من الحـالات. إن لم تتعلّم من الكتب المقدسـة مـا يخص العذراء، ومكان الميلاد وزمانه وطريقته، فلا تقبـل شـهادة إنسـان (يو 5/34). لأنه يجوز الشك في الشـخص الـذي يعلّم هنـا، ولكن كيف يشكّ رجل عاقل في الذي تنبأ منذ ألف سنة وأكثر؟ فإذا كنت تبحث عن سبب مجيء المسيح، فالجأ إلى السِـفر الأول من الكتب المقدسة. في سـتة أيـام خلـق الله العـالم، ولكن العـالم خُلـق لأجـل الإنسان : تسطع الشمس بأشـعتها الوضـاءة، ولكنهـا خُلقت لإنـارة الإنسان. وخلقت جميع الحيوانات لخدمتنا؛ خلقت جميع الأعشاب والأشجار لمسرّتنا. وكل كا صُنع كان حسـناً (تـك 1/31). ولكن لم يخلـق شـيء من كـل ذلـك على صـورة الله، مـا عـدا الإنسـان. خلقت الشمس بأمر فقط، لكن الإنسـان صُـنع بيـدي الله : "لنصـنعِ الإنسان على صورتنا كمثالنا". (تك 1/26).

إذا كنـا نكـرّم صـورة الملـك المنحوتـة على قطعـة خشـب، فكم بالحري صورة الله الروحية ! ولكن آية الخليقة هذه التي كانت في الفردوس، طردها منه حسدُ الشيطان (حكمة 2/24)، وابتهج

العدوّ بسقوط الذي كان يحسده. هل تريد أن يبقى العدوّ فرحاً؟ ولمّا لم يجسر العدوّ على الاقتراب من الرجل لأنه كان قوياً، ذهب إلى المرأة لكونها أضعف، وكانت لا تزال عذراء، لأن آدم لم يعرف امرأته حوّاء إلاّ بعد خروجه من الفردوس (تك 4/1).

6 – ضلال البشر عبر التاريخ

للجنس البشري سليلان، قاين وهابيل؛ وقاين هو القاتل الأول. ثم جاء الطوفان بسبب تكاثر آثام البشر. ونزلت النار من السماء على أهل سدوم بسبب كفرهم. وبعد انقضاء هذا الزمن، اختار الله اسرائيل. لكن اسرائيل حاد عن الطريق، وأُصيب الشعب المختار بجرح بليغ، إذ بينما كان موسى يقف أمام الله على الجبل، كان الشعب يعبد عجلاً بدلاً من الله (خر 32/1 – 4).

وبينما شريعة موسى تقول : "لا تزنِ" (خر 20/14)، تجرّأ رجل على اقتحام خباء المحضر، وارتكب الفحشاء (عدد 25/6). وبعد موسى أرسل الله الأنبياء لشفاء اسرائيل؛ لكن الأطباء كانوا يشكون من عجزهم عن تفشّي الداء، على حدّ قول أحدهم : "ويل لي ... لقد هلك الصفيّ من الأرض وليس في البشر مستقيم" (ميخا 7/2). وجاء أيضاً : "لقد زاغوا جميعهم وتدنسوا، وليس من يصنع الصلاح ولا واحد" (مز 13/3). وأيضاً "اللعنة والكذب والقتل والسرقة والفِسق قد فاضت، والدماء تلحق بالدماء" (هوشع 4/2). "وذبحوا بينهم وبناتهم للشياطين" (مز 105/37 ؛ تثنية 32/17). واستخدموا السحر والجان، ولجأوا

الى العرّافـات وتعـالجوا لـديهن، وعلّقـوا ثيـابهم على القصـب، ونصبوا شراعاً قرب المذبح (عاموس 2/8).

7 – إنحطاط البشرية

كان جرح البشرية بليغاً : "مِن أخمص القدم إلى الـرأس لا صـحة فيه بل كلون، وحَبَط وجراحـة طريئـة لم تُعصـر ولم تعصـب ولم تليّن بـدهن" (أشـعيا 1/6). بحيث أن الأنبيـاء، وقـد نـال منهم الأعيـاء، كـانوا يقولـون منتحـبين : "مَن يُعطي من صـهيون الخلاص لإسرائيل؟" (مز 13/7). وأيضاً "لتكن يدك على رجُـل يمينـك، على ابن البشـر الـذي أبدّتـه أيضـاً، فلا نرتـدّ عنـك" (مـز 79/18 – 19). وقال نبيّ آخـر متضـرعاً : "اللهم مـدّ يـدك من السماء مجيراً وانتشلني" (مز 143/5). إن طبّنا يعجز عن شـفاء جـروح البشـرية. لقـد قتلـوا أنبيـاءَك وهـدموا هياكلـك (3 ملـوك 19/10)، وفيما عداك لا يستطيع أحد منا أن يعالج الشر.

8 – الله يرسل ابنه لخلاص البشر

استجاب الرب لدعاء الأنبياء، إذ لم يتخلَّ الآب عن جنسنا الهالك، بل أرسل ابنه، الربَ الطـبيب السـماوي. فقد قـال أحـد الأنبيـاء : "سيأتي السيُّد الذي تلتمسونه، وسيأتي فجـأة" – الى أين؟ "سـيأتي السـيد إلى هيكلـه" (ملاخي 3/1) حيث رجمتمـوه (يـو 8/59). ولدى سماعه ذلك، يقول له بني آخـر : "تتحـدّث عن خلاص الله، وتتحدّث عنه بصوت خافت؟ "تبشّر بمجيء الله لخلاص البشر،

وتقوله بالسرّ؟ "إصعدي على جبل عالٍ، يا صهيون، أنت التي تحملين البشرى السعيدة. "قولي لمدائن يهوذا؛ - ماذا أقول؟ - هوذا إلهكم، "هوذا السيد الرب يأتي بقوة" (أشعيا 40/9 – 10). والرب نفسه يقول : "هاءنذا آتي وأسكن في وسطك، يقول الرب، "فتتصل أمم كثيرة بالرب". (زكريا 2/10 – 11). لقد رفض الإسرائيليون خلاصي، ولذلك جئت "لأجمع كل الأمم والألسنة" (أشعيا 66/18). لقد جاء إلى بيته فما قبله أهل بيته (يو 1/11). أنت آتٍ، ولكن ماذا تهب الأمم؟ "أتيت لأجمع كل الأمم وأجعل بينهم آية" (أشعيا 66/18 – 19)، لأني سأضع على جبين كل من جنودي علامة آلامي على الصليب ... وقال نبي آخر : "وطِئَ السماوات نازلاً، وتحت قدميه الضباب". (مز 17/10). وهذا النزول من أعلى السماوات لم يعرفه البشر.

9 – شهادة داود

وبعد ما سمع سليمانُ داودَ أباه ينطق بهذا الكلام، بنى هيكلاً عجيباً. واذ رأى مقدَّما ذاك الذي سيأتي إلى الهيكل، صاح منذهلاً : "هل يسكن الله حقاً على الأرض مع البشر؟" (3 ملوك 8/27). فيجيب داود في المزمور المُهدى إلى سليمان : "ينزل كالمطر على الجزيز وكالغيات على الأديم" (مز 71/6)، كالمطر" نسبة لطبيعته الإلهية، "على الجزيز". نسبة لطبيعته البشرية. وكما أن المطر النازل على الجزيز لا صوت له، كذلك كان سرّ ميلاده مجهولاً. إذ أن المجوس سألوا : "أين الملك الذي

وُلد لليهود"؟ (متى 2/2)، واستخبر هيرودس مضطرباً عن ذاك الذي وُلد : "أين يولد المسيح؟" (متى 2/4).

10 – شهادة الأنبياء

مضن هو النازل؟ فيجيب داود بقوله : "سيبقى ما تعاقب الشمس والقمر، جيلاً بعد جيل" (مز 71/5). ويقول نبي آخر : "إهتزّي طرباً، يا بنت الله، واهتفي بأناشيد الابتهاج يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتيكِ صدَّيقا مخلَّصا". (زكريا 9/9). هناك ملوك كثيرون، فعمّن تتكلّم أيها النبي؟ أعطنا علامة ليست لدى الملوك الآخرين. إن قلت إنه ملك يرتدي الأرجوان، فكرامة الملبس قد تحلّى بها آخرون. وإن قلت إنه محاط بجنود وجالس على مراكب ذهبية، فهذا أيضاً قد حققه آخرون. أعطنا علامة يختصّ بها هذا الملك الذي أنت تبشرّ بمجيئه. فيجيب النبي قائلاً : "هوذا ملكك يأتيك صدَّيقا مخلَّصا ووديعاً، راكباً على أتان وجحش ابن أتان، لا على مركبة" (زكريا 9/9 ؛ متى 21/5 ؛ أشعيا 62/11). لديك إذن العلامة التي ينفرد بها الملك الآتي : يسوع وحده بين الملوك جلس على جحش ودخل إلى أورشليم كملك بين الهتافات. وكا سيفعل هذا الملك الآتي؟ "ولأجلك أيضاً وبسبب دم عهدك، سأُطلق أسراكِ من الجبّ الذي لا ماء فيه" (زكريا 9/11).

11 – أورشليم عاصمة المملكة المسيحانية

ولربما يحدث أن يكون الملك راكباً على جحش، أعطنا بالحري علامة عن المكان الذي سيحّل فيه الملك المنتظر. ولا تعطِ هذه العلامة بعيداً عن المدينة، حتى لا نجهلها. أعطنا علامة ظاهرة قريبة، لكي نستطيع أن نراها نحن المقيمين في المدينة. فيجيب النبي قائلاً : "تقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قبالة أورشليم من الشرق" (زكريا 14/4). هل في المدينة من لا يستطيع أن يرى هذا المكان؟

12 – شهادة أشعيا

لدينا علامتان، ونرغب في معرفة علامة ثالثة. قل لنا لماذا يأتي السيّد؟ فيجيب نبي آخر على ذلك بقوله : "هوذا إلهكم، إنه يأتي ويخلّصكم، حينئذ تتفقَّحُ عيون العُمي، وآذان الصُمّ تتفتح.

وحينئذ يطفر الأعرج كالأيّل، ويترنّم لسان الأبكم" (أشعيا 35/4 – 6). هل من شهادة أخرى؟ انت تقول، أيها النبي، إن الرّب آتٍ. ولكن ما هي الآيات البيّنات التي صنعها ليُعلن عن مجيئه؟ (يو 15/24). كيف يمكنك القول في موضع آخر؟ "إن الرب آتٍ ليدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم" (أشعيا 3/14). هذه هي العلامة الرئيسية : إن الرب سيُحاكم من خدّام الشيوخ ويُصلب.

13 – لولا التجسد لما رأينا الله

قرأ اليهود هذه النبوءات، ولكنهم لم يفهموها. لأنهم سدّوا آذان قلوبهم لكي لا يسمعوا (أشعيا 6/10 ؛ متى 13/15 ؛ يو 12/40). أما نحن فنؤمن بيسوع المسيح الذي تجسدّ وصار إنساناً، وإن كنا لا نستطيع معرفة الكيفية التي تمّ بها ذلك. وبما أنه لم يكن في استطاعتنا أن نراه كما هو ولا أن نتمتع به، فقد صار واحداً منا لكي نتمكّن هكذا أن نتمتّع به. لأننا إن كنا لا نستطيع أن نتطلّع إلى الشمس التي خُلقت في اليوم الرابع، فكيف يمكننا أن نرى خالقها؟ لقد نزل الرب في لهيب نار على جبل سيناء، فلم يتحملّ الشعب ذلك، بل قالوا لموسى : "كلّمنا أنت فنسمع ولا يكلّمنا الله لئلا نموت" (خر 20/19). وفي موضع آخر : "أيّ بشر سمع صوت الله الحي متكلّما من وسط النار وعاش"؟ (تثنية 5/26).

فإن كان سماع صوت الله يتكلّم، يميت، فكيف لا تسبب رؤيته الموت؟ لِمَ تتعجّب؟ إن موسى نفسه يقول : "أنا مرعوب مرتعد" (عبر 12/21).

14 – دانيال يشهد بذلك

ماذا تريد إذن؟ إن الذي جاء لخلاصنا، ألا يكون فشل في رسالته؟ لأن البشر لا يستطيعون تحمّله ولا يقدّرون نعمته. إن كان دانيال لم يتحمّل رؤية الملاك، فهل تتحملّ أنت رؤية رب الملائكة؟ ظهر جبرائيل فسقط دانيال. وماذا كان مظهر ذاك الذي ظهر، وأي رداء كان يرتدي؟ "كان وجهه كمرأى البرق، لا كالشمس،

وعيناه كمشعلي نار، لا كشعلة لهب، وصوتُ أقواله كصوت جمهور" (دانيال 10/6)، لا كصوت إثنتي عشرة ربوة من الملائكة (متى 26/53). ومع ذلك سقط النبي. فاقترب منه الملاك وقال : "لا تخف يا دانيال، قُم وتشجّع، فقد إستجيب كلامك" (دانيال 10/12)؛ وقال دانيال : "انتصبت مرتعداً" (دانيال 10/11)، ولم يستطع الردّ ما لم تلمسه شبهُ يد إنسان .

ولما اتخذ الملاك صورة إنسان، عندئذ تكلّم دانيال. وماذا قال؟ "يا سيدي، إنه من الرؤيا قد انقلب ما في داخلي، ولم أملك قوّة ولا تنفسًّا " (دانيال 10/16). إن كان ظهور ملاك قد جفّف صوت النبي وقوّته، فكيف يمكن لكائن حيّ أن يتحمّل رؤية الله؟ ويقول الكتاب : "وإلى أن عاد شبه مرأى إنسان فلمسني، لم يبقَ فيّ، أنا دانيال، من قوّة وشجاعة" (دانيال 10/17). وعليه، فقد دلّت التجربة على ضعفنا. فاتخذ الرب ما كان الإنسان يبحث عنه. وبما أن الإنسان يَسعى الى سماع كلام مَن يشبهه، فقد إتخذ المخلِّص الطبيعةَ البشرية ورغباتها، لكي يستطيع البشرُ التعليمَ بسهولة أوفر.

15 – ملاءمة التجسّد

وإليكم سبب آخر : لقد جاء المسيح ليعتمد ويقدّس العماد.

جاء ليصنع المعجزات، كالسير على مياه البحر (متى 14/25). فإن كان قبل تجسدّه "رآه البحر فهرب والأردن رجع الى الوراء"! (مز 13/3)، فقد أخذ الرب جسداً لكيما البحر يثبت عندما يراه،

والأردن يستقبله لا خوف. هذا سبب أول. وهناك سبب آخر. بواسطة العذراء حوّاء جاء الموت، فكان لا بدّ أن تظهر الحياة بواسطة العذراء، أو بالحري من العذراء، حتى – كما أن الحية قد أغوت الأولى – كذلك يبشّر جبرائيلُ الثانية بالخبر السعيد. وكما أن البشر تخلّوا عن الله وصنعوا تماثيل بشكل إنسان، وكما أن الإله الكاذب عُبد بشكل إنسان، فالله الحق صار إنساناً ليحطّم الكاذب. واستخدم الشيطان الجسد سلاحاً ضدنا، وكان بولس يعرف ذلك، إذ قال : "إني أشعر في أعضائي بشريعة أخرى تحارب شريعة عقلي وتأسرني" (رومه 7/23)؛ بهذه الأسلحة حاربنا الشيطان، وبها حصلنا على الخلاص. لقد أخذ الرب صورتنا ليخلّص الطبيعة البشرية. لقد أخذ شبهنا ليفيض نعمته على ما كان مهجوراً، حتى تصبح الطبيعة البشرية الخاطئة مشاركة الله، لأنه "حيث كثرت الخطيئة فاضت النعمة" (رومه 5/20). كان لا بدّ للرب أن يتألم لأجلنا، ولكن الشيطان لو عرفه لَمَا صلبوا ربّ المجد" (1 كور 2/8). لقد أصبح الجسدُ طُعماً للموت، لكيما يلفظَ التنينُ – وقد انفرّ في أمله أنه ابتلعه – جميع الذين ابتعلتهم من قبل.

لأن "الرب سيبيد الموت على الدوام، ويمسح الدمع عن جميع الوجوه" (أشعيا 25/8).

16 – آمن بأن الله صار إنساناً

فهل عبثاً تجسّد المسيح؟ هل تعاليمنا هي مجّرد كلمات منمّقة

وادّعاءات بشرية؟ أليس الكتاب المقدس وتنبوءات الأنبياء هي لخلاصنا؟ فاحفظ إذن هذه الوديعة، ولا يحيدك أحد عنها. آمن بأن الله صار إنساناً. وعلينا أن نبيّن بأن في استطاعة الله أن يصير إنساناً. وإذا اليهود لم يؤمنوا، فنجيبهم : إننا لا نبشّر بشيء جديد عندما نقول بأن الله صار إنساناً. ألا تقولون إن إبراهيم أضاف الرب؟ (تك 18/3). ما هو الشيء الجديد الذي نبشّر به، بما أن يعقوب يقول : "إني رأيت الله وجهاً لوجه ونجت نفسي" (تك 32/31). الرب الذي أكل مع إبراهيم (تك 18/8)، أكل أيضاً معنا، فما هو إذن الشيء الجديد الذي نبشّر به؟ ولدينا شاهدان وقفا على جبل سيناء (خر 19/3 ؛ 3 ملوك 19/8) أمام الرب : كان موسى في نقرة الصخرة (خر 33/22)، وإيليا كذلك كان في نقرة الصخرة. وكان كلاهما حاضرَين عند تجلّيه على جبل طابور. "وكانا يتكلّمان مع الرسل عن خروجه الذي كان مزمعاً أن يتممه في أورشليم" (لو 9/31). لقد أثبتنا فيما تقدّم أن في استطاعة الله أن يصير إنساناً، ونحن نترك للغيورين مهمة جمع ما تبقى من الأدلة.

17 – نهاية سلطة إسرائيل هي العلامة بمجيء المسيح

لقد وعدنا أيضاً في عظتنا أن نبحث في زمان ومكان مجيء المخلص. وعلينا ألاّ نتملّص عن وعدنا، بل يجب أن نصرف مرّشحينا من الكنيسة راسخين في الإيمان. وعليه، سنحقق في الزمن الذي جاء فيه المسيح، بما أن مجيئه حديث العهد ومنازَع

عليه. وبما "أن يسوع هو هو بالأمس واليوم وللأبد" (عبر 13/8). ولقد قال موسى النبي : "سيقيم الله فيكم من إخوانكم نبياً مِثلي" (أعمال 7/37 ؛ تثنية 18/16). لنتنبه إلى لفظة "مثلي" التي سنحقق فيها فيما بعد. ولكن هل جاء هذا النبي المنتظر؟ فيجيب موسى : إرجع الى ما كتبته ودّقق النظر في نبوءة يعقوب ليهوذا حيث يقول : "يهوذا إياك يحمد اخوتك ..." لا اقرأها كلها، وفي بقيتها : لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صُلبه حتى يأتي المرسَل، وهو الذي ينتظره (ليس اليهود وإنما) الأمم" (تك 49/10). وعليه فقد أعطى موسى علامة لمجيء المسيح، وهي زوال الحكم من اليهود. فلو لم يكونوا الآن تحت سيطرة الرومان، لما جاء المنتظر. لأني أخجل أن أتكلم عن حوادثهم الأخيره، في صدد هؤلاء الذين يسمّونهم الأجداد، وعن سلالتهم وأمهاتهم. إني أترك ذلك للذين يعلمون. ولكن هل "للآتي الذي تنتظره الأمم" علامة أخرى؟ يستطرد نصّ النبوءة فيقول : "إنه يربط بالكرمة جحشه" (تك 49/11). ألا ترى أن هذا الجحش هو الذي أعلن عنه زكريا بوضوح؟ (زكريا 9/9).

18 – دانيال وزمن التجسّد

ولكنك تبحث عن شهادة أخرى بخصوص الزمن، وإليك هذه الشهادة : "قال لي الرب : أنت ابني. أنا اليوم ولدتك". ثم يستطرد فيقول : "... ترعاهم بعضاً من حديد" (مز 2/7، 9).

لقـد سـبق وقلت : "العصـا من حديـد" ترمـز بوضـوح إلى الإمبراطورية الرومانية، التي يتحدث عنهـا دانيـال أيضـاً، فأعيد النص على أذهـانكم. إنـه، لمـا فسّـر لنبوكدنصّـر معـنى التمثـال (دانيال 2/31 ـ 47)، شرح الرؤية كلها بالنسبة إلى المسيح، إذ قـال : "إن الحجـر الـذي إنقطـع من الجبـل، لا باليـدين ولا بفعـل إنسان، ملأ الأرض كلها". ثم استطرد موضحاً : "وفي أيـام هـذه الممالـك، يقيم إلـه السـماء مملكـة لا تُنقض إلى الأبـد، ومُلكهـا لا يُترك لشعب آخر" (دانيال 2/44).

19 ـ دانيال يحدّد تاريخ التجسد

ولكننا لا نزال نبحث عن دليل أكثر وضوحاً على مجيء الأزمنة، لأن الإنسان مفطور على الشك، ولا يصدّق ما يقال إن لم يتوصّل إلى احتساب هذه السنوات على وجـه الضـبط. فمـا هي إذن هـذه اللحظـة المناسـبة، ومـا هـو هـذا الـزمن؟ عنـدما زال الملـوك من يهوذا، اعتلى العـرش أجنـبي هـو هـيرودس. إذن خـاطب الملاك دانيال قائلاً (وأنت سجّل جيداً ما أقوله الآن) : "فاعلم وافهم : إنـه من صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم إلى المسـيح الـرئيس سـبعة أسـابيع وإثنـان وسـتون أسـبوعاً" (دانيـال 9/25). والتسـعة والستون أسبوعاً من السنين تعادل أربعمئة وثلاثـة وثمـانين سـنة. وعليـه فهـو يقـول لإنـه بعـد إنقضـاء 483 سـنة على إعـادة بنـاء الهيكـل، عنـد زوال الملـوك، يـأتي ملـك أجنـبي يولـد المسـيح في زمانه. وقد أعاد داريوس المادي بناء أورشليم في السنة السادسـة من ملكه (عزرا 6/15)، وفي السنة الأولى من ألعاب الإغريق

الأولمبية السادسة والستين.

والألعاب الأولمبية لدى الإغريق، هي الألعاب التي كانت تقام كل أربع سنوات، بسبب اليوم الذي كان يُكتسب كل أربع سنوات على مجرى الشمس، وينتج من الساعات الثلاث الإضافية لكل سنة. ولما كان هيرودس قد ملك في السنة الرابعة من الألعاب الأولمبية السادسة والثمانين بعد المئة، فإن عدد الألعاب الأولمبية التي توالت من 66 إلى 186 يصبح 120، أي 480 عاماً. أما السنوات الثلاث الباقية، فتؤخذ من الفترة الباقية ما بين السنة الأولى والسنة الرابعة. وهمذا يصبح لديك الدليل المستخرج من الكتاب المقدس الذي يقول : "إنه من صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم إلى المسيح الرئيس "سبعة أسابيع وإثنان وستون أسبوعاً" (دانيال 9/25). لديك إذن برهان الأزمنة. وليس هناك تفسيرات أخرى، فيما يختص بأسابيع دانيال الوارد ذكرها.

20 – ميخا يتنبأ عن مكان التجسّد

أما عن إعلان المكان، فاسمع ما يقوله ميخا : "وأنتِ يا بيت لحم، أرض أفراتة، لست الصغيرة في ولايات يهوذا، فمنك يخرج والٍ يرعى شعبي إسرائيل، وأصوله منذ القديم، منذ أيام الأزل"

(ميخا 5/2 ؛ متى 2/6). وأنت الساكن في أورشليم، لن تختار مكاناً آخر عندما تعرف أنه مكتوب في المزمور 131 : "ها قد سمعنا به في أفراتة ووجدناه في قرية الغاب" (مز 131/6)، إذ منذ سنين قليلة كان المكان غابة. لقد سمعت من جديد حبقوق

يتكلّم الى الرب : "عندما تقترب السنون يعرفونك، وعندما تأتي الأزمنة تظهر" (حبقوق 3/2 يوناني). وماذا تكون، أيها النبي، علامة مجيء الرب؟ ستظهر وسط حيوانين" (حبقوق 3/2 يوناني)؛ لقد قال ذلك بوضوح عن الرب : ستظهر بالجسد وتعيش وتموت ؛ وعندما تقوم من الأموات ستعيش من جديد، ومن أية ناحية من أورشليم سيأتي، هل من الشرق أم من الغرب؟ هل من الشمال أم من الجنوب؟ قل لنا بالضبط : فيردّ على ذلك بوضوح قائلاً : "الله يأتي من تيمان (أي الجنوب) والقدوس من جبل فاران المظلّل والكثيف" (حبقوق 3/3 يوناني). هذا ما كان قاله مؤلف المزامير : "لقد وجدناه في قرية الغاب" (مز 131/6).

21 – أشعيا يتنبأ بتجسّده من العذراء

بقي علينا أن نعرف ممن يأتي وبأية كيفية. أشعيا هو الذي يقول ذلك : "إن العذراء ستحمل فتلد ابناً يدعى عمانوئيل" (أشعيا 7/14)؛ لكن اليهود يعارضوننا في ذلك (ومقاومة الحق عادة قديمة عندهم) إذ يقولون إنه لم تكتب "العذراء" بل "الفتاة".

فليكن. لِنُسايرهم، وهكذا سنجد الحقيقة، إذ في وسعنا أن نسألهم : متى تصرخ الفتاة المغتصبة طالبة النجدة، قبل الاعتداء أم بعده؟ وإذا كان الكتاب يقول في موضع آخر : "صرخت الفتاة فلم يكن من يخلّصها" (تثنية 22/27)، أفلا يتكلّم هنا عن عذراء؟ ولكي تعلم بوضوح أن العذراء في الكتاب تدعى فتاة، إسمع ما جاء في سفر الملوك عن ابيشاج الشونمية : "كانت الفتاة جميلة جداً" (3

ملـوك 1/4). لا بـدّ من التسـليم بأنهـا اختـيرت بسـبب بتوليتهـا وأُحضرت الى داود.

22 – ردّ على اعتراض اليهود بخصوص هذه النبوءة

ولكن اليهود يلحّون قائلين : "هذه الكلمـة قيلت لآحـاز عن حزقيـا. لأننا هكذا نقرأ في الكتاب : "سَل لنفسك آية من عند الرب إلهـك ؛ سـلها إمـا في عمـق الجحيم وإمـا في العلاء من فـوق" (أشـعيا 7/11). والآية بكل تأكيد يجب أن تكون خارقـة، فالعلامـة كـانت الماء الخارج من الصخرة (خر 17/6) أو إنشقاق البحـر الأحمـر (خر 14 /21 – 22) أو رجـوع الشـمس الى الـوراء (4 ملـوك 20/11) وما شابه ذلك. سيكون لما سأقوله قيمة دليل واضح ضد اليهـود. (إني أعلم أني أتكلّم كثـيراً، وإني أُتعب مسـتمعيّ، ولكن تحمّلوا عظاتي الطويلة، بما أن هذه المسائل تثار أيضاً فيما يتعلّـق بالمسيح. وأنه لا يجب إهمال شيء في هذا المجال).

قال أشعيا هذا في الوقت الذي كان آحاز ملكاً، وقد ملك آحاز سـتة عشر عاماً فقط (4 ملـوك 16/2)، ووُجهت إليـه النبـوءة في ذلـك الوقت. وهكذا يُبطل خلفُه الملـكُ حزقيـا بن آحـاز دعـوى اليهـود. لأنه كان في الخامسة والعشـرين من عمـره عنـد توليـه المُلـك (4 ملـوك 18/2). وإذ قيلت النبـوءة في خلال السـتة عشـر عامـاً. فيكون قد وُلـد قبـل مُلـك آحـاز، أي تسـع سـنوات غلى الأقـل قبـل النبوءة ؛ فما الحاجة إذن الى التنبوء عن طفل وُلد قبل مُلك آحـاز، لأن النبي لم يقل "قد حملت"، بل قال بصيغة التنبوء "ستحمل".

23 – ابن العذراء هو المسيح حقاً

إننا نعرف أن الرب يولـد من عـذراء ؛ بقي أن نـبيّن من أي نسـل هذه العذراء : "أقسم الربُّ لداود حقاً عنـه لن يحيد : لأنصّـبنّ من ذريتـك على عرشـك ملكـاً" (مـز 171/11) ؛ وأيضـاً : "اجعـل ذريته خالدة وعرشه مثل أيام السـماء" (مـز 88/30) ؛ وأخـيراً : "لقـد أقسـمت مـرّة بقدسـي ولن أكـذب : داود تكـون ذريتـه خالـدة ويتلألأ عرشه أمامي كذُكاء، يـدوم كـالقمر أبـداً ويكـون في الفلـك شاهداً. أميناً" (مز 88/36 – 37). أنت ترى أن الحديث يتناول المسيح لا سليمان. وإذا احتّج أحد بقوله أن المسيح لم يجلس على عـرش داود الخشـبي، فإننـا نواجهـه بهـذه الآيـة: "على كرسّـي موسـى جلس الكتبـة والفريسـيون" (مـتى 23/2)، لأن الأمـر لا يتعلّق بالكرسي الخشبي بل بسلطة التعليم. وهكذا لا يعني عـرش داود الكرسـيّ الخشـبي بـل المُلـك نفسـه. وهـذا مـا كـان يؤكـده الأطفـال عنـدما كـانوا يصـرخون : "هوشـعنا لابن داود، تبـارك الآتي باسـم الـرب مَلـك إسـرائيل" (مـتى 21/9 ؛ يـو 12/13). وكـذلك كـان العميـان يصـرخون : "إرحمنـا يـا ابن داود" (مـتى 9/26). ولقد أكدّ جبرائيل ذلك لمريم بكل وضـوح، عنـدما قـال : "ويوليه الله ربنا عـرش أبيـه داود" (لـو 1/32). ويقـول بـولس : "أذكر يسوع المسيح الذي بُعث من بين الأموات، وكان من ذريـة داود كما جاء في بشارتي" (2 تيمـو 2/8). وفي مسـتهل رسـالته إلى أهل رومه يقول : "... في شأن ابنه الذي وُلد من ذرية داود،

وأَطِع للنبوءة القائلة : "سيأتي ذلك اليوم حيث أصل يسّى سيقوم رايةً للشعوب، وإياه تترّجى الأمم" (أشعيا 11/10).

24 – العذراء من سلالة داود

ولكن اليهود مضطربون من هذه الآيات ؛ وكان أشعيا يتوّقع ذلك عندما قال : "بودّهم أن تلتهمهم النار اذا أمكن، لأنه وُلد لنا ولد (وليس لهم) وأُعطي لنا ابن" (أشعيا 9/6). لاحظ أولاً أنه كان ابنَ الله ثم أُعطي لنا. ثم يستطرد فيقول : "وسلامة لا انقضاء له" (اشعيا 9/7). هناك حدزد للرومان، أما ملكوت ابن الله فلا حدود له، حدود للفرس والميديين، أما لابن الله فلا حدود. ويتابع : "(أُعطي لنا ابن) لسلام لا انقضاء له، على عرش داود ومملكته ليقرّها ويوطّدها" (أشعيا 9/7). كانت العذراء القديسة إذن من نسل داود.

25 – الميلاد العذري

كان في الواقع ملائماً للطاهر ومعلّم الطهارة، أن يخرج من أخدار طاهرة. لأنه إذا كان من الواجب لخادم يسوع أن يمتنع عن المرأة، فكيف يولد يسوع نفسه من رجل وامرأة؟ فإنه يقول عن نفسه في المزامير : "إنك أنت أخرجتني من حشا أمي" (مز 21/11)، فكّر بهذا "أخرجتني من حشا أمي" الذي يعني أنه بدون زرع رجل، كُوّن في أحشاء العذراء ومن جسدها ووُلد منها، بخلاف مَن يولدون من زواج شرعي.

لا يجب أن نخجل من القول بأنه كَوّن جسده من هذه الأعضاء ذاك الذي خلق هذه الأعضاء. ومن الذي يخبرنا بذلك؟ يقول الرب لإرميا : "قبل أن أصوّرك في البطن عرفتك، وقبل أن تخرج من الرحم قدّستك" (أرميا 1/5). ذاك الذي عكف على صُنع البشر ولم يخجل، أيخجل من صُنع جسده المقدس الذي حجب به لاهوته؟ وحتى هذا اليوم لا يزال الله يصوّر الأجنّة في الحشا، كما هو وارد في سفر أيوب : "ألم تكن قد صببتني كاللبن وجمّدتني كالجُبن، وكسوتني جلداً ولحماً وحبكتني بعظام وعصب" ؟ (أيوب 10/10 – 11). ليست هناك أية نجاسة في تكوين الإنسان، أللهم إلاّ اذا نجّس نفسه بالزنى والدعارة. فالذي جبل آدم قد جبل حوّاء أيضاً. وبيديت إلهيتين صُنع الذكر والأنثى. وليس في أعضاء الجسد التي خلقها الله منذ البدء ما يدعو إلى الخجل. فليصمت إذن جميع الهراطقة الذين يحتقرون الأجساد ويزدرون الخالق نفسه. أما نحن فلنذكر قول بولس : "أو ما تعلمون أن أجسادكم هيكل الروح القدس وهو فيكم" ؟ (1 كور 6/19). وفي موضع آخر قال النبي عن شخص يسوع : "جسدي مأخوذ منهم" (هوشع 9/2 يوناني). وجاء في موضع آخر : "لذلك يتركهم إلى حين تلد الوالدة" (ميخا 5/3). وما هي هذه العلامة؟ يستطرد النبي فيقول : "تلد فترجع بقية إخوته" (ميخا 5/3). وما هي عرابين العذراء، الزوجة القديسة؟ "أتزوجُك بالأمانة" (هوشع 2/20). وهذا ما قالته اليصابات

عندما كلمتها : "طوبى لك يا من آمنت بأن ما بلغها من عند الرب سيتم" (لو 1/45).

27 – ردّ على اليونانيين الذين لا يعترفون بالميلاد العذري

ولكن اليونانيين واليهود يحملون علينا بقولهم : لا يمكن للمسيح أن يولد من عذراء. إننا سنسدّ أفواه اليونانيين بأساطيرهم : أنتم يا من يقولون إن الأحجار التي ألقيت على البشر تحوّلت إلى بشر، كيف تقولون أنه من المستحيل على عذراء أن تلد؟ أنتم يا من يدّعون أن فتاة وُلدت من الدماغ، كيف تقولون أنه من المستحيل أن يولد ابن من أحشاء العذراء؟ أنتم يا من يدّعون باطلاً أن ديونيسيوس وُلد من فخذ ذيوس كيف ترفضون حقيقتنا؟ إني أعلم أن ما أقوله لا يليق بمستمعيّ، ولكني أتيت بهذه الأمثال لكي تفضحوا اليونانيين وتدحضوهم بأساطيرهم.

28 – ردّ على اليهود في نفس الموضوع

وعلى أهل الختان يجب أن نردّ هكذا : أيُهما أصعب : أن تلد عاقر عجوز إنقطع حيضها، أم أن تحبل عذراء وهي في ريعان الشباب؟ كانت سارة عاقراً، لم يعد يحدث لها ما يحدث عادة للنساء (تك 11/30 ؛ 18/11)، ولكنها على خلاف الطبيعة ولدت طفلاً (تك 21/2). إذا كانت العاقر استطاعت أن تلد طفلاً على خلاف الطبيعة، أفلا تستطيع العذراء أن تحبل؟ يجب أن نقبل الإثنين أو أن نرفضهما، لأن الله وحده هو الذي جعل العاقر تلد والعذراء تحمل. وأنت لا تجرؤ أن تقول أن الله استطاع فعل

الأول دون الثاني ! ثم أية طبيعة يمكنها أن تغيّر يد إنسان في ساعة واحدة وتعيدها إلى حالتها الأولى؟ كيف أصبحت يد موسى بيضاء كالثلج ثم عادت إلى حالتها الأولى؟ (خر 4/6 – 7). قد تقول : إن الله أراد أن يغيّرها. كيف في هذه الحالة أراد فاستطاع، ولم يستطع في الحالة الأخرى؟ في حالة موسى كانت العلامة للمصريين فقط، أما في حالة العذراء فكانت العلامة للعالم أجمع. أيها اليهود، أيُّهما أصعب، أن تحبل العذراء أو أن تتحوّل عصا إلى حيوان؟ أنتم تعترفون أنه في زمن موسى، تحوّلت عصاه فجأة إلى حيّة وأخافت الذي ألقاها (خر 4/2 – 4). وذاك الذي كان يمسك بالعصا قبل ذلك، أصبح يهرب منها كأنها حية. وفي الواقع أنها كانت فعلاً حية. كان يهرب خوفاً، لا من العصا التي كان يمسك بها، بل أمام الذي غيّرها. فقد كانت للعصا أسنان وعينا الأفعى. فهل إرادة الله تستطيع أن تخرج عينين من عصا، ولا تستطيع أن تخرج طفلاً من أحشاء العذراء؟ وأنا لا أتحدث عن عصا هرون التي ازهرت في ليلة واحدة (عدد 17/8)، في حين أن جميع الأشجار تضع زماناً طويلاً كي تثمر. ومَن ذا الذي لا يعرف أن الغصن متى عُرّي من قشرته لا ينمو أبداً وإن زُرع في مجاري المياه. لكن الله الذي لا يخضع لطبيعة الأشجار، بما أنه خالق الطبيعة، في استطاعته أن يجعل العصل المقشورة غير المثمرة والجافة، أن تزهر وتثمر فالذي جعل العصا تزهر على خلاف الطبيعة من أجل رئيس الكهنة (الذي كان يرمز إلى المسيح)، لماذا لا يجعل العذراء تلد من أجل رئيس الكهنة الحقيقي؟

29 – انتصار المرأة

يجدر بنا أن نذكر هذه الأقوال. لكن اليهود لا يزالون يعارضـون. إنهم ليسوا مقتنعين بأمثلة العصا. فلربما اقتنعوا بـولادات مماثلـة عجيبة وخارجة عن نظام الطبيعة. فاسألهم إذن هكذا : حـوّاء في البدايــة ممن وُلــدت؟ أيّ أم حبلت بتلـك الـتي بلا أم؟ لأن الكتـاب يقول إنها كُـوّنت من ضـلـع آدم (تـك 2/22) وُلـدت حـوّاء إذن من ضلع رجل، بلا أم، فلِمَ لا يمكن أن يولـد طفـل من أحشـاء عـذراء بلا رجل؟ لقد مُنحت النعمة للرجال بمعزل عن جنس المـرأة، لأن حوّاء وُلدت من آدم ولم تحبل بها أم، كأنمـا هي وُلـدت من الرجـل وحده. وقد وفت مريم دَين النعمة هذا، عندما حملت، لا من رجل بل من ذاتها، وبقيت عذراء، ومن الروح القدس، بقدرة الله.

30 – الميلاد العذري لا يدعو إلى العجب بقدر الخلق

ولننظر عظمة هذا : إنه أمـر عجيب أن تولـد الأجسـام من أجسـام أخـرى ومـا هـو أعجب من ذلـك أن يكـوّن الإنسـان من تـراب الأرض. والعجب كل العجب أن تنشـأ الأنسـجة والأعين الرائعـة من طين لا شكل له، وأن تنتج العظـام الصُـلبة والرئـات الرقيقـة، ومختلـف الأعضـاء الأخـرى من الـتراب ذاتـه، وأن تسـري في الأرض طينــة حيــة مدفوعــة بحركــة تلقائيــة، فتبـني وتعلّم وتتكلّم وتعمـل وتملـك. أيهـا اليهـود الأغبيـاء، من أين أتى آدم، أليس الله الذي أخذ من تراب الأرض ورسم هذا الشكل العجيب؟ (تك 2/7)

إذا كان الطين تحوّل إلى عين، ألا تستطيع العذراء، أن تلد ابناً؟ إذا كان المستحيل في حكم البشر يتمّ، فلماذا لا يتم ما هو ممكن؟

31 – من عذراء وُلد خالق الأنفس والعذارى

فلنذكر هذه الأشياء، أيها الإخوة، ولنستخدم هذه الأسلحة الدفاعية. وعلينا ألاّ نؤيد الهراطقة الذين يعلّمون أن المسيح جاء في الظاهر. وأن ندحض هؤلاء الذين يقولون إن المخلص وُلد من رجل وإمرأة، من يوسف ومريم، لأنه مكتوب : "وأخذ امرأته" (متى 1/24). ولكن فلنذكر أن يعقوب، قبل أن يأخذ راحيل، قال للابان : "وأعطني امرأتي" (تك 29/21). وكما أن هذه، قبل عقد الزواج، كانت تُدعى امرأة يعقوب، بموجب الوعد وحده، كذلك مريم كانت تسمى زوجة يوسف بسبب خطوبتها؟ ولاحظ دقة الإنجيل الذي يقول : "في الشهر السادس أرسل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل تدعى الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف" (لو 1/26 – 27). ثم لما جرى الإكتتاب وصعد يوسف ليكتتب، ماذا يقول الكتاب؟ "وصعد يوسف من الجليل... ليكتتب ومريم خطيبته، وكانت حاملاً" (لو 2/4 – 5)، لأنها كانت حاملاً ؛ ولم يقل الإنجيل "زوجته" بل "تلك التي كانت مخطوبة له"، لأن "الله أرسل ابنه، يقول بولس، مولوداً، لا من رجل وامرأة "ولكن مولوداً لامرأة فقط" (غلا 4/4)، أي من عذراء وُلد خالق الأنفس والعذارى.

32 – شهود الميلاد العذري

ولكنك تعجب مما حدث : فالتي وَلدت تعجّبت للأمر، إذ قالت لجبرائيل : "أنّي يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟ فأجابها الملاك : إن الروح القدس يحلّ بك وقدرة العليّ تظللك، لذلك يكون المولود قدّوسا وابن العليّ يدعى" (لو 1/34 – 35). لقد كانت ولادة

طاهرة وبلا دنس، لأنه حيث يحلّ الروح القدس كل دنس يزول. ولادةُ ابن الله الوحيد بالجسد من عذراء ولادةٌ بلا دنس. وحتى اذا عارض الهراطقةُ الحقيقة، فإن الروح القدس يلومهم، وقدرة العلي المظللة تغضب، وسيثُور عليهم جبرائيل يوم الدين، ومكان المذود الذي تقبّل الرب سيفحمهم، والرعاة الذين بُشّروا بالفرح العظيم سيشهدون، وجيش الملائكة الذين سبّحوا الله وقالوا : "المجد لله في العلى والسلام في الأرض لأهل رضاه" (لو 2/24)، والهيكل الذي حُمل إليه في اليوم الأربعين، وزوجا اليمام اللذان قُرّبا مكانه، وسمعان الذي حمله على ذراعيه، وحنّة النبيّة التي حضرت في تلك الساعة.

33 – مجد العذارة المسيحية

الله إذن يشهد، والروح القدس سيشهد كذلك. والمسيح سيقول : "لماذا تريدون قتلي، أنا الذي قال لكن الحق"؟ (يو 8/40). فليصمت إذن الهراطقة الذين يعارضون في طبيعته البشرية. لأنهم يناقضون ذاك الذي يقول : "إلمسوني وتحقّقوا، فإن الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون لي" (لو 24/39). فليسجد للرب

للرب المولود من العذراء، ولتعترف العذارى بتاج مؤسستهنّ، وليعترف سلك الرهبان بمجد الطهارة، لأننا لم نُحرم من كرامة الطهارة. لقد مكث المخلّص تسعة أشهر في أحشاء العذراء، وأصبح الرب رجلاً كاملاً في الثالثة والثلاثين من عمره، بحيث أنه إذا كانت العذراء تفتخر بحملها إياه تسعة شهور، فإننا قد حظينا به زمناً أطول من ذلك.

34 – الدعوة الى العيشة البتولية

فلنسارع إذن جميعاً، بنعمة الله، إلى سباق الطهارة أحداثاً وعذارى، شيوخاً وأطفالاً (مز 148/12)، ولنسبّح اسم المسيح

بعيدين عن الشراهة. ولا ننكر مجد العفّة، إنها تاج ملائكي وفضيلة تسمو بالإنسان. ولنحترم أجسادنا التي يجب أن تضيء كالشمس (متى 13/43)، ولا تدّنس هذا الجسد العظيم لأجل لذّة طفيفة.

إن الخطيئة قصيرة تدوم ساعة، ولكن العار جسيم ويدوم مدى الأبد. إن الذين يمارسون العفة ملائكة على الأرض، وللعذارى نصيب مع العذراء مريم. فلنبتعد عن كل تبرّج وكل نظرة سيئة وكل حديث باطل، وكل زينة وعُطر مثير للأهواء. وليقتصر عطرنا على راحة صلاتنا الزكية وممارسة أعمال الخير وتقديس الأجساد، حتى يتسنّى للرب المولود من العذراء أن يقول عنا نحن الذين يمارسون العفة من رجال ونساء "إني سأسكن فيهم وأسير بينهم، وأكون إلههم ويكونون شعبي" (2 كور 6/16 ؛ أحبار 26/11 – 12). فله المجد أبد الدهور. آمين.

العظة الثالثة عشرة

"... وصلب وقبر"

"ربّ، من الذي آمن بكلامنا؟ ولمن ظهرت يدُ

الرب؟ ... كنعجة سيق إلى المذبح وحمل صامت بين يدي

من يجزّه هكذا لا يفتح فاه. في ذُلّه أُنكِر عليه حقُه. تُرى

من يصف ذريته؟ لأن حياته أُزيلت عن الأرض ..."

(أشعيا 35/1 – 8)

1 – مجد الصليب

كل عمل قام به المسيح كان مدعاة فخر للكنيسة الجامعة ؛ وأعظم المفاخر كلها كان الصليب. وإذ عرف بولس ذلك قال : "أما أنا فمعاذَ الله أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح" (غلا 6/14). من العجيب أن المولود أعمى يرى النور في سلوام (يو 9/8). ولكن ماذا يهّم ذلك عميانَ العالم أجمع؟ إنه لأمر عظيم وخارق للطبيعة أن يقوم لعازر من الموت في اليوم الرابع (يو 11/34، 44)، ولكنه حظي بالنعمة وحده، فماذا يهمّ ذلك الذين ماتوا بخطاياهم في العالم أجمع؟ إنه لمعجزة أن يتغذّى خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة (متى 14/21 ؛ مر 6/44 ؛ لو 9/13 ؛ يو 6/10)، ولكن ماذا يهمّ ذلك الذين يتضوّرون جوعاً في العالم

أجمع؟ وعجيب أن تُحَلَّ امرأة كان قد ربطها الشيطان منذ ثماني عشرة سنة (لو 13/10 ـ 17)، ولكن ماذا يهمّنا ذلك نحن جميعاً المرتبطين بسلاسل الخطايا؟ إن تاج الصليب هو الذي أضاء الذين كان يعميهم الجهل، وحرّر الذين كانوا أسرى الخطيئة، وافتدى البشر أجمعين.

2 – الصليب يفدي العالم

لا تعجب من أن العالم بأسره قد أفتدي، لأن الذي مات لأجلنا لم يكن مجرّد إنسان، إنما ابن الله الوحيد. إن خطيئة إنسان واحد،

وهو آدم، قد استطاعت حقاً أن تُدخل الموت الى العالم (رومه 5/17). فإذا كان بعصيان واحد ساد الموتُ العالم، فكيف ببّر واحد لا تسود الحياة بالأكثر؟ (رومه 5/17). وإذا كانا طُرِدا من الفردوس بسبب شجرة القوت (تك 3/22 – 23)، أفلا يدخل المؤمنون الفردوس بسهولة أكثر بسبب شجرة يسوع؟ إذا كان الإنسان الأول المجبول من التراب أدخل الموتَ الشامل، أفلا يستطيع الذي جبله من التراب (تك 2/7)، وهو الحياة (يو 14/6)، أن يمنحه الحياة الأبدية؟ إذا كان فنحاس قتل الفاسق بدافع الغيرة فأخمد غضب الرب (عدد 25/8، 11)، أفلا يرفع يسوع الغضب عن البشر بدون قتل أحد، بل ببذل نفسه عنهم؟ (1 تيمو 2/6).

3 – فاعلية الصليب ؛ شهوده الأولون

فلا ننجلنّ من صليب المخلّص، بل لنفتخر به. لأن عقيدة الصليب "عثار لليهود وحماقة للوثنين" (1 كور 1/18، 23) ؛ وأما لنا فهي سبيل الخلاص (كولوسي 1/20). إنها حماقة للهالكين، وأما عندنا نحن المخلّصين، فهي قدرة الله (1 كور 1/18، 24). لأن الذي مات لأجلنا لم يكن مجرّد إنسان، كما قلنا، بل الله، ابن الله المتجسد. إن كان الحمل، في زمن موسى، يبعد المُهلِك (خر 12/23)، فكم بالحري حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم (يو 1/29)، ألا يحررنا من خطايانا؟ إن كان دم

الحمل غير الناطق يأتي بالخلاص، فكم بـالحري دم الإبن الوحيـد ألا يخلّصـنـا؟ (1 بطـرس 1/18 ـ 19). إن كـان أحـد لا يـؤمن بقدرة المصلوب، فليسأل الشياطين، وإن كـان لا يـؤمن بـالأقوال، فليثـق بالأفعـال الظـاهرة. كثـيرون هم الـذين صُـلبوا في العـالم، ولكن الشـياطين لم يفزعـوا منهم، إنمـا فزعـوا من المسـيح الـذي صُلب لأجلنا، وكانت رؤية صليبه وحـدها تـرهبهم. مـات هـؤلاء ليكفّروا عن ذنوبهم، أما هو فمات ليكفّر عن خطايا الآخـرين (يـو 3/16 ـ 17 ؛ 18/13 ؛ 11/50 ـ 53). "إنه لم يخطئ ولم يعرف المكرَ فوه" (1 بطرس 2/22). لم يكن بطـرس هـو الـذي نطق بهذه العبـارة حـتى يمكن إتهامـه بـالتملّق لمعلّمـه، بـل أشـعيا الذي قالها : "إنه لم يصنـع جوراً ولم يوجد في فمـه مكـر" (أشـعيا 53/9).

هـو الـذي لم يكن حاضـراً جسـدياً، ولكنـه تنبـأ في الـروح بمجيء المخلّص بالجسد. ولماذا لا آتي هنا إلاّ بشهادة النبي وحده؟ إليك

شـهادة بيلاطس نفسـه الـذي حكم عليـه، إذ قـال : "إني لا أجـد مـا يحرّم هذا الرجل" (لو 23/4). وعندما أسلمه، غسل يديه قـائلاً : "أنا بريء من دم هـذا الصـدّيق" (مـتى 27/24). وهنـاك شـهادة أخـرى عن بـراءة يسـوع، وهي شـهادة اللص، أول الـداخلين الفردوس، عندما أنتهر زميله قائلاً : "أما نحن فعقابنـا عـدلاً لأننـا نلقى ما تستوجبه أعمالنـا، "أمـا هـو فلم يعمـل سـوءاً" (23/41)، لأننا كنا، أنا وأنت، حاضَرين أثناء المحاكمة.

4 – واقعية الموت على الصليب

فالحق إذن أن يسوع تألم لأجل جميع البشر. فالصليب لم يكن في الظاهر، الاّ لكان فداؤنا وهميّا ؛ والموت لم يكن خيالياً، وإلا لكان خلاصنا صورياً. فلو كان الموت شكلياً، لكان على حق أولئك الذين قالوا "تذكّرنا أن ذاك المضللّ قال إذ كان حياً : سأقوم بعد ثلاثة أيام" (متى 27/63). لقد كان موته إذن حقيقياً ؛ لقد صُلب حقاً، ونحن لا نخجل من ذلك. نحن لا ننكر أنه صُلب ؛ وأنا بالحري أفتخر أن أقول ذلك ؛ وحتى إن أنكرت هذا الحدث الآن، فإني أجد ما يقنعني على هذه الجلجلة حيث نحن الآن مجتمعون. وتقنعني أيضاً خشبة الصليب التي وُزِّعت قطعاً صغيرة في جميع أنحاء العالم. إني أعترف بالصليب لأني أؤمن بالقيامة. لأنه لو لم يقم المصلوب، لما كنت أعترفت بالصليب، بل كنت أخفيته مع سيدي. ولكن بما أن القيامة أتت بعد الصليب، فأنا لا أخجل من الإجهار بذلك.

5 – وإن كان بريئاً، مات المسيح لأنه أراد ذلك

وذاك الذي تجسَد، صُلب كسائر الناس، ولكن لا بسبب خطاياه. إنه لم يُساق للموت بسبب حبّه للمال، بما أنه كان يعلّم الفقر. ولم يُحكم عليه بسبب شهوة رديئة، إذ هو الذي قال بوضوح : "من نظر إلى إمرأة فاشتهاها زنى بها في قلبه" (متى 5/28) ؛ إنه لم يُحاكم لأنه جَرح أو ضرب أحداً، إذ هو الذي أدار خدّه للذي كان يصفعه (متى 26/67 ؛ راجع متى 5/39)، ولا لأنه أهان نبياً، إذ كان هو نفسه الذي بشرّ به الأنبياء (يو 1/45)، ولا لأنه حَرم

أحداً من أجره، إذ كان يشفي بلا أجر مجاناً ؛ لم يصنع خطيئة لا بالقول ولا بالفعل ولا بالفكر : "أنه لم يصنع خطيئة ولم يعرف المكرَ فوه، شتم ولم يردّ على الشتيمة بمثلها. تألم ولم يهدد أحداً" (1 بطرس 2/22 — 23). أقبل على الآلام طوعاً لا مرغماً. وإذا جاءه الآن أيضاً من يزجره بقوله : "حاشَ لك يا رب من هذا المصير"، لأجابه من جديد : "سِرّ خلفي يا شيطان" (متى 16/22 – 23).

6 – المسيح ذبيحة إرادية

هل تريد أن تقتنع بأنه أقبل على الآلام طوعاً؟ فأعلم بأن الآخرين يموتون مكرهين جاهلين مصيرهم. أما هو فقد أنبأ بآلامه : "وابن الإنسان يسلم (في الفصح) ليصلب" (متى 26/2). هل تعرف لماذا لم يهرب محبُ البشر من الموت؟ لكي لا يهلك العالم

كله في خطاياه. "إنّا لَصاعدون إلى أورشليم، وسيُسلم ابن الإنسان ... ليُصلب" (متى 20/18 – 19)؛ وأيضاً : "عزم على المضيّ إلى أورشليم" (لو 9/51). هل تريد أن تعرف بوضوح أن مجد يسوع هو الصليب؟ فاسمع إذن ما يقول يسوع نفسه وليس أنا : كان يهوذا قد خانه إذ كفر بنعمة رب البيت، بعد أن جلس الى مائدته وشرب كأس البَركة وأراد مقابل كأس الخلاص أن يسفك دماً زكياً : "الآكلُ خبزهُ قد داسه بالأقدام" (مز 40/10)؛ لم تتلقَّ بعد يداه خبز البركة حتى أسرع ليسلمه. الى

الموت، حباً بمال الخيانة. لقد اضطّر أن يؤمن اذ هو سمع : "أنت قلت" (متى 26/25)، ومع ذلك خرج ليسلمه. عندئذ قال يسوع : "لقد أتت الساعة التي فيها يمجّد ابن الإنسان" (يو 12/23). ترى كيف أنه كان يعرف أن الصليب كان مجده الخاص : إن كان أشعيا لم يخجل أن ينشر شطرين، فلِمَ نخجل نحن من أن المسيح مات لأجل العالم؟ "الآن تمجّد ابن الإنسان" (يو 13/31)، هذا ليس معناه أنه لم يكن ممجداً من قبل، إذ هو كان ممجداً بالمجد الذي كان له عند الآب قبل أن يكون العالم (يو 17/5). بوصفه إلهاً هو ممجد منذ الأزل، ولكنه يمجّد الآن بالإكليل الذي أحرز بصبره. أنه لم يترك الحياة قهراً، ولم يقبل الموت مكرهاً إنما طوعاً ؛ إسمعه يقول : "لي القدرة على بذل حياتي، ولي القدرة على ارتجاعها" (يو 10/18). إني أسلم نفسي لأعدائي بإرادتي، وإلاّ لما تمّ ذلك. وعليه يتضّح أنه قبِل الآلام طوعاً مسروراً بعمله مبتسماً لإكليل الشوك، مبتهجاً بخلاص البشرية، غير خاجل من الصليب لأن به كان يخلص

العالم ؛ إذ هو لم يكن إنساناً عادياً يتألم، بل إلهاً متجسداً يجاهد جهاد الصبر.

7 – ردَّ الأنبياءُ سلفاً على اليهود الكفرة

ولكن اليهود يعترضون على ذلك، وهم على استعداد دائماً للمناقضة، ولا يُقبلون على الإيمان إلاّ ببطء. ولذلك يقول النبي

الـذي أتينـا على تلاوتـه : "مَن آمن يـا رب بمـا سـمعنا؟" (أشـعيا 53/1) الفُرس آمنوا والعبرانيون لم يؤمنـوا "إن الـذين لم يُخـبروا عن المسـيح سـينظرون، والـذين لم يسـمعوا سـيفهمون" (رومـه 15/21) ؛ والـذين يتـأملون يرفضـون مـا يتـأملون فيـه، ويـردّون علينا بقولهم : "لماذا يتألم الـرب؟ هـل الأيـدي البشـرية أقـوى من القدرة الإلهية؟".

إقرأوا المراثي التي فيهـا يـرثيكم النـبي ارميـا. لقـد رأى خـرابكم وشاهد سقوطكم، فرثى أورشـليم القديمـة، لأن الجديـدة لن يرثيهـا أحد. إذ صلبَته الأولى أما الثانيـة فتعبـده. إنـه يقـول في رثائهـا : "روح أفواهنا المسيح الرب أُخـذ في حفرنـا" (مـرا 4/20). هـل هذه الأقوال من عندي؟ ها هوذا النبي يشهد بـأن المسـيح سـيقبض عليه. ثم ماذا سيحدث بعد ذلـك، قـل لنـا أيهـا النـبي. وعليـه يـردّ النبي : "الذي قلنا إنّا في ظلّه نحيا بين الأمم" (مـرا 4/20)، وهـو يعني بذلك أن نعمة الحياة لم تعد في إسرائيل، بـل أصـبحت تقطن بين الأمم.

8 – الثقة بشهادة الكتاب الصريحة

ولما كانت تناقضاتهم تعدّدت بشكل أصبح من المستحيل علينا

معه الردّ عليها كلها، لضيق الوقت أمامنا، فإننـا سـنكتفي بـالإدلاء ببعض الشـهادات عن الآلام، بمعونـة صـلواتكم ومسـاعدة نعمـة الرب. لأن كـل مـا يتعلّـق بالمسيح قـد كُتب بـدون غمـوض، ولم يُترك منه جـانب بـدون شـهادة. كـل شـيء منـه قـد أعلنتـه ألسـنة الأنبيـاء، بكـل وضـوح، لا على ألـواح من الحجـر بـل بـالروح القدس. وهكذا عندما سمعت الإنجيل يتحدث عن يهوذا، أليس من المفيد أن يكون لك الـدليل على مـا سـمعت؟ لقـد سـمعت أنـه طعن

بالحرية في جنبه (يو 19/34) ؛ أما يلزم أن ترى ان كان هذا قد كتب؟ وسمعت كذلك أنه صلب في موضع فيه بستان (يو 19/41) ؛ أما يجب عليك أن ترى إن كان هذا قد كتب؟ وسمعت أنه بيع بثلاثين من الفضة (متى 26/15) ؛ ألا يجب أن تعلم أي نبي قال هذا؟ وسمعت أن جسده وُضع في قبر نُحت في الصخر (متى 27/60) ودُحرج عليه حجر، أما يجب أن يكون لك الدليل النبوي على ذلك؟ وسمعت أنه صلب بين لصّين (متى 27/38) ؛ أليس من المفيد لك أن تعلم أن كان هذا مكتوباً؟ وسمعت أنه دُفن (متى 27/59 ــ 60)، أفلا يجب أن تتأكد من النص الذي يتكلم عن لقبر؟ وسمعت أنه قام (لو 24/39)، أفلا يجب أن تبحث عما إذا كنا نسخر منك بتعليمك هذه الأمور؟ "لأن كلامنا وكرازتنا لم يكونا بكلام بليغ من حكمة بشرية" (1 كور 2/4). إننا لا نتكلّم بعبارات سوفسطائية، لأنها ستفقد قوّتها.

ولكننا "نكرز بالمسيح مصلوباً" (1 كور 1/23)، كما سبق وتكلّم عنه الأنبياء. وأنت إذ تتلقّى هذه الشهادات، إحفظها في قلبك.

وبما أنها عديدة، ولم يبقَ أمامنا المتسع الكافي من الوقت، فاسمع الآن كما يليق الشهادات الرئيسية. إنتهز الفرصة واجتهد، وابحث عن الأدلّة الأخرى. لا تكن يدك ممدودة لكي تتلقى فقط، بل لتكن كذلك سريعة إلى العمل، لأن الله يمنح كل شيء "إن كان أحدكم تنقصه الحكمة، فليسأل الله الذي يعطي كل شيء" (يعقوب 1/5)، وهو يتلقّاها. إنه هو الذي بصلواتكم يمنحنا أن ننطق بهذه الأقوال، ويمنحكم أنتم الذين يسمعونها أن تؤمنوا.

9 – يهوذا في الكتاب المقدس

فلنبحث إذن عن الأدلة الخاصة بآلام المسيح. لأننا إجتمعنا، لا لإدلاء بيان نظري عن الكتب المقدسة، بل لجعل ما آمنا به قابلاً للإيمان. لقد تقبلّت قبل كل شيء الشهادات الخاصة بمجيء يسوع وسيره على البحر. "لأنه سائر على متون البحر"، كما هو مكتوب (أيوب 9/8) ؛ "فلقَ البحر وجاز على المياه كأنها ندّ" (مز 77/13) ؛ وتلقيت في موضع آخر الشهادة عن مختلف معجزات شفاء. وعليه أبدأ بالآلام من حيث بدأت. كان يهوذا هو الخائن.

أتى لملاقاته ووقف أمامه محدَّثا إياه بكلمات السلام، في حين أنه كان يُعدّ له أعمالاً عدائية. فعنه قال صاحب المزامير : "وقف أحبائي وأخلاّئي متنحيّن عن ضربتي" (مز 37/12) ؛ وأيضاً : "كلماته أرقّ من الزيت وهي نِصال" (مز 54/22). قال : "السلام رابي" (متى 26/49)، وسلّم سيده للموت. لم يحترم ذاك الذي وجّه إليه هذا اللوم : "أبقبلة تسلّم ابن البشر؟" (لو 22/48)،

كما لو كان يقول له تقريباً : "أُذكر اسمَك"، لأن اسم "يهوذا" معناه " الإعتراف". لقد عقدتَ ميثاقاً عندما أخذت المال، فتخلَّ عنه بسرعة، "يا إلهي لا تصمت، فإن فم المنافق وفم الماكر قد انفتحا عليّ. تقوّلوا عليّ بلسان كاذب وأطافوا بي بكلام بُغض" (مز 108/1 ـ 2). لقد سمعت من قبل أن هناك أناساً أرسلهم رؤساء الكهنة، وأن الاعتقال تمَّ عند أبواب المدينة، اللهمّ إن كنت تذكر المزمور الذي يحدّد الزمان والمكان ويروي كيف "إنهم

يرجعون عند المساء ويهرّون كالكلاب ويطوفون في المدينة" (مز 58/7).

10 – الثلاثون قطعة من الفضة

واسمع كذلك ما يخص الثلاثين من الفضة : "وقلت لهم : إن حَسن في عيونكم، فهاتوا أجرتي، وإلاّ فامتنعوا ..." (زكريا 11/12). إن الثمن الذي يستحق عليكم مقابل شفاء العُمي والعرج يختلف عما تلقيته منكم. فبدلاً من الشكر كان نصيبي العار، وبدلاً من العبادة نلت الإهانة. فانظر كيف تتبأ الكتاب المقدس عن هذه الأمور كلها : "وزنوا أُجرتي ثلاثين من الفضة" (زكريا 11/12). يا لَدّقة النبوءة ! يا لَمعرفة الروح القدس التي لا

تخطئ ! لأنه لم يقل عشرة أو عشرين بل ثلاثين، بالضبط كما حدث. قل لنا، أيها النبي، إلى أين ذهب هذا الثمن؟ هل احتفظ به ذاك الذي استلمه أم أعاده؟ وأين وقع عندما أعيد؟ وعلى ذلك يرد النبي : "فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها في بيت الرب إلى

الأتون" (زكريا 11/13). قارن بهذه النبوءة قولَ الإنجيل : "حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قُضي عليه/ تندّم فطرح الفضة في الهيكل ومضى" (متى 27/3 ، 5).

11 – حقل الفخّار

ولكن يلـوح لي أن هنـاك غموضـاً يجب تبديـده، ذلـك أن الـذين يرفضون النبوءات يقولون إن النبي يؤكّد : "ألقيتها في بيت الرب إلى الأتون" (زكريا 11/13) ؛ بينما يقول الإنجيل : "دفعوها عن حقل الفخّار" (متى 27/30). فاسـمع كيـف أن الاثـنين همـا على حق : في الواقع أن شيوخ اليهود وهم رؤساء الكهنة، عنـدما رأوا يهوذا يقول نادماً : "إني قـد خطئت اذا أسـلمت دمـاً زكيـاً"، قـالوا له : "ماذا علينا، أنت أبصر"؟ (متى 27/4 – 5). ألا يهمكّم هذا، أنتم الذين صلبوه؟ على الذي تلقى ثمن الجريمة وباعه أن يُبصـر، وأنتم القتلـة، هـذا لا يهمّكم؟ ثم قـالوا فيمـا بينهم : "لا يحـلّ لنـا أن نجعلـه في بيت التقدمـة لأنـه ثمن دم" (مـتى 27/6). فمن فمِـك تخرج إدانتك : إذا كان الثمن ملوَّثا، فإن عملك نجس أيضاً. ولكن إذا كنت بصلب المسيح تقوم بعمل عـادل، فلمـاذا لا تسـتلم الثمن؟ ولكن يجب أن نعرف كيف لا يوجـد هنـاك إختلاف بين مـا يقولـه الإنجيل "حقل الفخّار" وبين ما يقوله النبي "الأتون".

ذلك أنه ليس الذين يعالجون الذهب والبرنز هم الذين لديهم أتـون، بـل الفخّـارون، كـذلك لمعالجـة تـراب الفخّـار، إذ هم، بعـد تنقيـة التراب الصلصالي الصالح للإستعمال، من الحصى، وإزالة

المـواد الغريبـة منـه، يخلطونـه بالمـاء ليصـنعوا الأواني بـدون صعوبة, فما وجه الغاربة إذا كان الإنجيـل يتحـدث بوضـوح عن حقل الفخّار، وينطق النبي بنبوءتـه بشـكل غـامض، عنـدما تكـون النبوءة خفية في غالب الأحيان؟

12 – المسيح يُربط ويساق للمحاكمة

قبضـوا علـى يسـوع وقـادوه إلى بيت رئيس الكهنـة (لـو 22/54). هل تريد أن ترى وتعرف إن هذا أيضاً كان مكتوباً؟ يقول أشـعيا : "ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شـرًّا، قـائلين : لنقيّـد البـار لأنه مغلق لنا" (أشعيا 3/9 – 10). نعم ويل لنفوسهم، وهـذا مـا نراه. لقد نُشر أشعيا، وبعـد ذلـك شُـفي الشـعب. وألقي إرميـا في جبّ من طين، والتأم جرح اليهود وكان طفيفـاً، لأنهم أخطـأوا في حقّ إنسان. ولكن لأنهم لم يخطئوا إلى إنسان، بل إلى إله متأنس، فالويل لأنفسهم "سنقيّد البار" ... ولكن قد يقول قائل : هل يستطيع أن يفكّ وثاقه، ذاك الذي فكّ لعـازر من أربطـة المـوت، وكـان قـد مات منذ أربعـة أيـام؟ (يـو 11/39 – 44). وحـرّر بطـرس من غِلال السجن الحديديـة (أعمـال 12/7)، وكـان الملائكـة يقولـون، وهم على أتم الاسـتعداد : "النقطـع ربطهم" (مـز 2/3) ؛ ولكنهم إمتنعوا، لأن الرب كان يريد أن يتألم. ثم اقتيد إلى محفل الشـيوخ (مـتى 27/59). وإليـك هنـا شـهادة النـبي : "الـرب يـدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم" (أشعيا 3/14).

13 – يسوع يُلطم ويُجلد

ولما سأله رئيس الكهنة وسمع منـه الحقيقـة، ثـار (مـتى 27/63)، فصفعه واحد من الخدّام الأشرار (يو 18/22).

وهذا الوجه الذي أضاء كالشمس (متى 17/2)، قبِل لطمة من أيـد أثيمـة ! وجـاء آخـرون وبصـقوا في وجـه ذاك الـذي بتفلتـه شـفى

المولـود أعمى (يـو 9/6). "أبهـذا تكـافيء الـرب أيهـا الشـعب الأحمق الذي لا حكمة له؟" (تثنية 32/6). يقـول النـبي متعجبـاً : "ربّ، من آمن بكلامنـــا"؟ (أشــعيا 53/1). لا يمكن أن يصـــدّق فعلاً أن الله، يتحمّل ذلك؟ ولكي لا يكون المخَّلصون غير مؤمنين، فقد سبق للروح القـدس أن تنبـأ عن شـخص المسـيح بقولـه : (لأن الذي قال ذلك، هو نفسـه كـان حاضـراً فيمـا بعـد) "بـذلتُ ظهـري للضاربين" (أشعيا 50/6)، "إذ أن بيلاطس، بعـدما جلـده، أسـلمه ليُصلب" (مـر 15/15)، "وخـدّي للنـاتفين، ولم أسـتر وجهي عن التعيـيرات والبصـق" (أشـعيا 50/6)، كمـا لـو كـان يقـول : "وإذ كنت أتوقّع أنهم سيضربونني لم أدِر خدّي". وكيـف كـان يمكنـني أن أدافع إلى الموت في سبيل الحق إن كنت أنا خشيت الموت؟ أنا الذي قال : "من أحب نفسه فإنه يُهلكها" (يـو 12/25). وإذا كنت قـد أحببت الحيـاة، فكيـف كـان يمكنـني أن أعلّم بمـا لم أمارسـه؟" فكان عليه إذن، وهو الإلـه، ان يتـألَّم من أيـدي البشـر. هل تـرى إذن أن الأنبياء تنبـأوا بكـل وضـوح عن هـذه الآلام؟ ولـدينا، كمـا سبق وقالت، الشـيء الكثير من هـذه الشـهادات الكتابيـة عن زمن الآلام. وإذا أراد أحد أن يبحث عن كل شيء بدقة، فإنه يجد أن لا

شيء مما يخصّ المسيح قد ترك بدون شهادة.

14 – يسوع أمام بيلاطس وهيرودس

وجاء مقيَّدا من عند قيافا الى بيلاطس. هل هذا مكتوب أيضاً؟ أجل ! "وبعد ما قيدوه حملوه هديةً الى الملك ياريم" (هوشع 10/6). ولكن قد يقول في الحال أحد المستمعين : لم يكن بيلاطس ملكاً، فكيف القول إذن "وبعد ما قيدوه حملوه هدية للملك"؟ ولكن اقرأ الإنجيل : "ولما علم بيلاطس أنه من الجليل أرسله الى هيردوس" (لو 23/7). وكان هيرودس وقتئذ ملكاً، وكان في أورشليم. فانظر إلى دقّة النبي، إذ هو يقول : "وحملوه هدية"، ذلك "ان هيرودس وبيلاطس تصادقاً في ذلك اليوم عينه، "وقد كانا من قبل متعاديين" (لو 23/12). أجل، كان يليق بالذي كان سيصالح ما على الأرض وما في السماوات (كولوسي 1/20) أن يصالح قبل كل شيء هؤلاء الذين كانوا سيحاكمونه. انه كان حاضراً الربُ الذي "يقرّب قلوب عظماء الأرض" (أيوب 12/24). فاعترف إذن بهذه الدّقة، وبصدق شهادة الأنبياء هذه.

15 – الشعب يحكم على يسوع بالصلب

إعجب بالرب عند محاكمته. إنه يتألم من الجند الذين يذهبون ويأتون به. وجلس بيلاطس للمحاكمة (متى 27/19).

والجالس من عن يمين الآب (مز 109/1 ؛ أعمال 7/56) يقف الآن ليُحاكم (متى 27/11). والشعب الذي أعتقه من أرض مصر ومن بلدان أخرى، يصرخ ضده : "ارفعه، ارفعه، اصلبه" (يو 19/15). ولماذا أيها اليهود؟ ألإنه شفى عميانكم، أو لأنه

جعل العُرج منكم يمشون، أو لأنه منحكم خيرات أخرى؟ ولقد استغرب النبيّ من مثل هذا المسلك، فصرخ : "على من تفغرون أفواهكم وتدلعون ألسنتكم"؟ (أشعيا 57/4). والرب نفسه يقول على لسان الأنبياء : "صار لي ميراثي كأسد في الغابة، رفع عليّ صوته، لذلك كرهته" (أرميا 12/8). لست أنا الذي نبذهم، بل هم الذين نبذوني، ولذلك أقول : "هجرت بيتي" (ارميا 12/7).

16 – صمت يسوع

كان صامتاً أثناء محاكمته (متى 27/14) إلى حدّ ان بيلاطس كان يتألّم بسببه ويقول : "أما تسمع ما يشهدون به عليك"؟ (متى 27/13)، لا لأنه كان يعرف ذاك الذي كان يحاكم، بل كان يخشى الحلم الذي أخبرته به إمرأته (متى 27/19). ولكن يسوع كان يلتزم الصمت. ويقول صاحب المزامير : "أما أنا فكأصمّ لا يسمع، وكأخرس لا يفتح فاه، وكنت كمن لا سمع له ولا في فمه تبكيت" (مز 37/14 – 15). وقد سبق أن حدّثتك عن ذلك، إن كنت تذكر.

17 – يسوع يُهزأ به ويكلل بالشوك

وتجمهر الجند حوله وأخذوا يهزأون به. وهكذا أصبح الرب سخريتهم، والسيد ألعوبتهم. "نظروا إليّ فهزوّا رؤوسهم" (مز

108/25). وأصبح ذلك علامة مُلكه : كانوا يستخفّون به، ولكنهم كانوا يجثون قدّامه. وبعدما ألبسوه أُرجواناً ووضعوا على رأسه إكليلاً، صلبوه. لماذا الإكليل، وإكليل من الشوك؟ لأن كل ملك ينادي به الجند كان لا بدّ أن يكلّله الجنود. فعلى سبيل المثال كان لا بدّ أن يكللّ الجنودُ يسوع. ولذلك جاء في نشيد الأناشيد : "أُخرجن يا بنات صهيون، وأنظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجتّه به أمه" (3/11). وكان هذا التاج سرًّا مقدساً، إذ كان غفراناً للخطايا ونجاة للعنة.

18 – التينة الملعونة

كان آدم قد تلقى هذه العقوبة : "ملعونة الأرض بسببك، شوكاً وحسكاً تنبث لك" (تك 3/17 – 18). فأخذ يسوع الشوك ليدفع ثمن العقوبة. ولذلك دفن في الأرض، لكي تقبل الأرضُ التي لُعنت البركةَ بدل اللعنة في زمن الخطيئة، ارتدى آدم وحوّاء ورق التين (تك 3/7). ولذلك كانت آخر علامة أتاها يسوع شجرة التين؛ لا كل شجرة، بل تلك الشجرة وحدها على سبيل المثال، إذ قال لها : "لا يأكل أحد منك ثمراً إلى الأبد" (مر 11/14) لكي تزول اللعنة. وإذ كانا قبلاً قد تسترّا بورق التين، جاء يسوع في وقت لا تعطي فيه شجرة التين ثمراً. مَن لا يعرف أن شجر التين

لا يحمل ثمراً في الشتاء، بل يمتلئ أوراقاً؟ فما كان يعرفه الجميع، هل كان يسوع يجهله؟ ولكن مع معرفته بذلك، جاء كمن

يبحث عن ثمر، لا جهلاً منه بأنه لن يجد ثمراً، بل ليعمل على أن رمز اللعنة يمتدّ فقط إلى الورق.

19 – علامات الآلام في العهد القديم

وبما أننا تناولنا شيئاً يتعلّق بالفردوس، فإنني أعجب فعلاً في صدق العلامات : في الفردوس كانت السقطة، وفي البستان كان الخلاص. من شجرة جاءت الخطيئة، وبمجيء الشجرة (الصليب) زالت الخطيئة. عند نسيم النهار إختبأ آدم وحواء من أمام وجه الرب الذي كان يتمشى في الجنة (تك 3/8)، وعند المساء قبل الربُ اللص في الفردوس (لو 23/43). وربّ قائل يقول : أنتَ تختلق. أذكر لي نبياً تحدّث عن خشبة الصليب. إن لم تأتني بالدليل النبوي فإني لن أؤمن. خذ الدليل من إرميا وكن مؤمناً : "كنت أنا كحمل أليف يساق الى المذبح ولم أعلم"؟ (ارميا 11/19) ... (اقرأ النص بصيغة الإستفهام، كما يقال، لأنه هو ذاته قال : "تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن البشر يسلم للصلب". (متى 26/2) ؛ إذن ألم يكن على علم بذلك؟) "إني كحمل بريء يساق إلى الذبح، ولم أكن أعرف ذلك"؟ أيّ حمل؟ - يوحنا المعمدان يفسّر ذلك بقوله : "هوذا حمل الله الرافع خطيئة العالم" (يو 1/29). "كانوا يفكّرون عليّ أفكاراً قائلين ..." (الذي كان يعرف نواياهم ألم يكن يعرف العاقبة؟) ماذا قالوا؟ - "تعالوا

لنضع خشباً في خبزه" (ارميا 11/19). اذا قبلك الرب فستعرف فيما بعد أن جسده، بحسب الإنجيل، كان يرمز إليه الخبز. "تعالوا إذن ولنضع خشباً في خبزه ولنقطعه من أرض الأحياء". (ان الحياة لا تقطع، فلماذا تُجهدون أنفسكم عبثاً؟)" "... ولا يذكر اسمه من بعد" (ارميا 11/19).

إن عزيمتكم لواهية، لأن اسمه في الكنيسة إلى الأبد ما دامت الشمس (مز 71/17). ولأن الحياة هي التي كانت معلّقة على الصليب، صرخ موسى منتحباً : "تكون حياتك معلّقة حذاءَك، فتتفزّع ليلاً ونهاراً ولا تأمن على حياتك" (تثنية 28/66). وما تلي أعلاه : "ربّ، من الذي آمن بكلامنا ..."؟ (أشعيا 53/1).

20 – (تابع)

هذا المثال، حققّه موسى عندما صلب حيّة من نحاس، لكيما الذي تلدغه حيّة، يُشفى اذا نظر بإيمان الى الحيّة النحاسية (عدد 21/9). اذا كانت الحية النحاسية المصلوبة تخلّص، أفلا يخلّص ابن الله المتجسد؟ فالخلاص يأتي دائماً بواسطة الخشبة. ففي زمان نوح حُفظت الحياة بفضل تابوت من خشب (تك 7/23)، وفي أيام موسى عندما شاهد البحرُ رمزَ العصا إنشقّ أمام الذي ضربه بها (خر 14/16 ـ 21). فما استطاعت عصا موسى أن تفعله، ألا يستطيع صليب المسيح أن يفعله؟ وإني لأترك عدداً كبيراً من الرموز، لضيق الوقت. بالخشبة صار الماء حلواً في أيام موسى (خر 15/25)، وسال الماء على خشبة الصليب من جنب يسوع (يو 19/34).

21 – الدم والماء والجنب المفتوح من العلامات الرمزية في الكتاب

كان الدم والماء بداية العلامات الخارقة في عهد موسى. وآخر معجزات يسوع كان أيضاً الدم والماء. ففي البداية حوّل موسى النهر الى دم (خر 7/20)، وفي النهاية أخرج يسوع ماء ودماً من جنبه (يو 19/34). وعليه فهناك صوتان مختلفان : صوت الحاكم وصوت الجماهير الصاخبة. أو صوت المؤمنين وصوت غير المؤمنين.

قال بيلاطس : "إني بريء من هذا الدم" ، ثم أخذ ماء وغسل يديه. لكن الجماهير صرخت : "دمه علينا ..." (متى 27/24 – 25). تدفق الإثنان من جنبه : الماء للحاكم، والدم للجماهير الصاخبة. والتفسير ممكن بشكل آخر : الدم لليهود والماء للمسيحيين. لهؤلاء الإدانة بالدم لخيانتهم، ولك أنت الذي يؤمن الآن الخلاص بالماء؛ لأنه لم يحدث شيء عبثاً. وقد ترك لنا آباؤنا الذين فسّروا هذا المقطع شرحاً آخر : انهم يرون أن قوّة المعمودية المخلّصة مزدوجة بحسب الإنجيل : تُمنح إحداهما بالماء للذين يتلقون الاستنارة، والثانية بالدم للقديسين الذين يستشهدون في زمن الاضطهاد. لذلك خرج من جنب يسوع دم وماء. إن هذا الاعتراف بالمسيح بالمعمودية أو في زمن الاضطهاد يثبت النعمة.

وهناك تفسير آخر لجرح الجنب، وهو أن المرأة التي كانت مبدأ الخطيئة خرجت من جنب الرجل، وأن المسيح الذي جاء ليمنح الغفران للرجال والنساء على حد سواء، قد فتح جنبه للنساء لكي يستحق الخطيئة.

22 – تشجيع المستمعين

ولو نحن بحثنا لوجدنا أسباباً أخرى. ولكن ما قلناه فيه الكفاية، بسبب ضيق الوقت، ولكي لا يمّل المستمعون، وإن يكن ليس مملاً قط أن نسمع كل ما يخص السيد المتوّج، ولاسيما على هذه الجلجلة المقدسة. إن غيرنا يسمعون فقط؛ أما نحن فنرى ونلمس.

فلا يضجرنّ أحد. إحمل صليبك ضد أعداء الصليب، وارفع إيمان الصليب كدليل انتصار على المناقضين. وعندما تناقش غير المؤمنين في صليب المسيح، أُرسل بيدك إشارة صليب المسيح فيصمت المناقض. ولا تخجل من الاعتراف بالصليب، لأن الملائكة يفتخرون به بقولهم : "نحن نعلم مَن تطلبن، يسوع المصلوب". (متى 28/6). ألا تستطيع أن تقول، أيها الملاك : "أنا أعلم مَن تطلبن : سيدي" ! ولكنه قال بكل يقين : "أنا أعلم ... المصلوب"، لأن الصليب تاج لا عار.

23 – ما معنى الجلجلة

أما نحن فلنعد الى الشرح الذي بدأناه مستندين إلى أقوال الأنبياء. صُلب الرب، وقد حصلتَ على الدلائل. أنت ترى مكان الجلجلة (هتافات مختلفة من الجمهور) وتهتف بالتسابيح معرباً عن موافقتك ؛ فاحذر من أن تجحد إيمانك في يوم الإضطهاد. لا تفرح بالصليب في زمن السلم فقط، بل فليكن لك نفس الإيمان في زمن الإضطهاد. ولا تكن صديق يسوع في زمن السلم، وعدّوه في زمن الحرب. أنت تتلقى الآن مغفرة الخطايا وإنعامات

مواهب الملك الروحية. صُلب لأجلك يسوع البريء، فهلاّ تصلب نفسك لأجل الذي صلب مكانك؟ أنت لا تقدّم هبة – إذ سبق أن تلقيت أنت الهبة – بل تردّ الهبة بدفع دَينك للذي صلب لأجلك على الجلجلة، والجلجلة موضع الجمجمة (يو 16/17). مَن هم الذين أطلقوا بروح نبوية هذا الإسم على مكان الجلجلة حيث المسيح "الرأس الحقيقي" (أفسس 4/15) إحتمل الصلب؟ كما يقول الرسول : "هو صورة الله غير المنظور" ؛ وبعد بقليل : "هو رأس الجسد، أي الكنيسة" (كولوسي 1/15 ،- 18 ؛ أفسس 1/22 –- 23) ؛وأيضاً : "ورأس كل رجل هو المسيح" (1 كور 11/3) ؛ "وهو رأس كل رئاسة وسلطان" (كولوسي 2/10). لقد تألم الرأس فوق موضع الجمجمة. يا لّلتسمية النبوية العظيمة ! فهذا الاسم هو بالنسبة لك تذكير، كي لا تعتبر المصلوب مجرّد إنسان "إنه رأس كل رئاسة وسلطان". إن رأس كل رجل هو المسيح ... ورأس المسيح هو الله" (1 كور 11/3).

24 – أحوال الآلام الجوية

فالمسيح إذن صلب لأجلنا، هو الذي حُوكم ليلاً، وكان الطقس بارداً، لذلك أضرموا ناراً (يو 18/18). وصلب في الساعة الثالثة (مر 15/25). "ومن الساعة السادسة حتى الساعة التاسعة طبّق الظلامُ الأرض كلّها" (متى 27/45). ومن الساعة التاسعة عاد النور من جديد. هل ورد شيء عن ذلك في الأنبياء؟

فلنبحث عنه. يقول زكريا : "وفي ذلك اليوم، لا يكون نور بل قرّ وجليد (بسبب البرد أخذ بطرس يصطلي) (يو 18/18) "ويكون يوم فريد وهو معلوم عند الرب". (كيف؟ ألا يعرف الأيامَ الأخرى؟) هناك أيام أخرى، ولكن يوم آلام الرب "وهواليوم الذي صنعه الرب". (مز 117/24). "وهذا اليوم معلوم عند الرب ليس بنهار ولا ليل، فكيف نسميّه إذن؟ يعطينا الإنجيل تفسير الحدث : لم يكن نهاراً لأن الشمس لم تسطع كعادتها من المشرق الى المغرب، إذ ساد الظلام على الأرض كلّها في وضح النهار، من الساعة السادسة حتى الساعة التاسعة، كأنما الظلام اعترض سبيل النهار، "وسمّى الله الظلام ليلاً" (تك 1/5). ولذلك لم يكن لا نهاراً ولا ليلاً، لأنه لم يكن كلّه نوراً حتى يسمّى نهاراً، ولا كلّه ظلاماً حتى يسمّى ليلاً. فتنبأ النبي بذلك، لأنه بعد أن أكّد "ليس بنهار ولا ليل"، أضاف : "بل يكون وقت المساء نور" (زكريا 14/6 – 7). هل ترى دقّة الأنبياء؟ هل ترى صحة النبوءات؟

25 – ساعة كسوف الشمس

هل تريد أن تعرف بوضوح في أية ساعة كُسفت الشمس؟ هل في الساعة الخامسة أو الثامنة أو العاشرة؟ قل بوضوح، أيها النبي، لليهود الكفرة متى كُسفت الشمس؟ يقول النبي عاموس : "ويكون في ذلك اليوم، يقول السيد الرب، "أني أغيّب الشمس عند الظهيرة ("من الساعة السادسة كان ظلام") "وأجلب الظلمة على الأرض

في النهار الضاحي" (عاموس 8/9). في أي وقت أيها النبي؟ وفي أي يوم؟ - "وأحوّل أعيادكم نوحاً". (عاموس 8/10). وقد تحقّق ذلك أيام الفطر في عيد الفصح. واستطرد النبي يقول : "وأجعلها كمناحة على وحيد وأواخرها كيوم مُرّ" (عاموس 8/10). وفعلاً يوم عيد الفطير كانت نساؤهم يضربون الصدور وينُحن" (لو 23/27). واختبأ الرسل وكانوا في مُرّ.

فاعجب إذن لتلك النبوءة.

26 – النبوءة الخاصة بثياب يسوع

وقد يقول آخر : أعطني علامة أخرى. ما هي العلامة الأكيدة الأخرى التي تحققّت؟ صُلب يسوع، ولم يكن سوى ثوب واحد ورداء واحد. فالثوب إقتسمه الجنود فيما بينهم بعد أن قسموه أربع قطع. أما الرداء فلم يمزّقوه لئلا يفقد نفعه، فاقترعوا عليه. هل هذا مكتوب أيضاً؟ إن المرنّمين الذين يواظبون على الحضور الى الكنيسة، هؤلاء الذين يقلّدون الأجواق الملائكية ويسبّحون الله بلا إنقطاع، هم الذين استحقوا أن يرنّموا على هذه الجلجلة : "اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى ردائي اقترعوا" (مز 21/19). هذا الاقتراع هو ما فعله الجنود.

27 – الرداء القرمزي

كذلك عندما حكم بيلاطس عليه بالصلب، كان يرتدي الأرجوان، إذ كانوا قد "ألبسوه رداء قرمزياً" (متى 27/28).

فهل كان هذا مكتوباً؟ يقول أشعيا : "مَن ذا الآتي من أدوم بثياب مضرّجة من بُصرة"؟ (مَن ذا الذي يرتدي ثوباً أرجوانياً على سبيل السخرية؟) لأن "بُصرة" في العبرية تحمل هذا المعنى. "ما بال لباسك أحمر وثيابك كدائس المعصرة"؟ فيجيب : "بسطت يديّ النهار كله نحو شعب عاصٍ يسلكون طريقاً غير صالح" (أشعيا 36/1 – 2 ؛ 65/2).

28 – خطايا البشرية تصلب مع يدي يسوع

بسط يديه على الصليب ليحضن أقاصي الأرض، لأن هذه الجلجلة هي في وسط الأرض. وهذه الكلمة ليست من عندي، بل من النبي القائل : "لقد صنع الخلاص في وسط الأرض" (مز 73/12). بسط يديه البشريتين ذاك الذي ثبّت السماء بيديه الروحيتين، وسُمّرتا بالمسامير لكيما طبيعته البشرية التي تحمل خطايا البشر تثّبت على الخشبة وتقتل، لتقتل معها الخطيئة وننهض في البرّ. "لأنه بما أن الموت كان بإنسان، فبإنسان أيضاً قيامة الأموات"ـ (1 كور 15/21)، بإنسان، وهو المخلّص الذي قبل الموت طوعاً. تذكّر هذه الكلمات : "لي سلطان أن أبذل حياتي، ولي سلطان أن أسترجعها أيضاً" (يو 10/18).

29 – الخلّ والمرارة

أما هو فقد تحمّل ذلك لأنه جاء لخلاص الجميع، لكن الشعب لم يحسن مكافأته. قال يسوع : "أنا عطشان" (يو 19/28)، هو

الذي أخرج لهم الماء من صخرة صمّاء، وبحث عن ثمار من الكرمة التي زرعها (ارميا 2/21)، ولكن ما هي هذه الكرمة التي، بحسب الطبيعة، تنحدر من الأجداد القديسين، وأصبحت بإرادتهم تنحدر من سدوم (لأن "من جفنة سدوم جفنتهم ومن كرم عموره" (تثنية 34/32). وللرب العطشان أتى فرع الكرمة بإسفنجة ملأى من الخلّ ووضعها على زوفى (يو 19/29) "جعلوا في طعامي مرارة، وفي عطشي سقوني خلاًّ" (مز 68/22). هل ترى وضوح نبوءة الأنبياء؟ ولكن أية مرارة أدنوها من فمه؟ - "أعطوه خمراً ممزوجة بمّر" (مر 15/23). هذا المّر شديد المرارة وطعمه كالعلقم. هل هذا ما تقدّمونه للرب؟ (تثنية 32/6). هل هذا، أيتها الكرمة، ما تقدمينه للرب؟ لقد كان أشعيا في الواقع يبكي عليكم، عندما قال : "كان لحبيبي كرم في رابية ذات خصب (ولكننا لن نقرأ النصّ كلّه) "فما بالي انتظرت أن يثمر عنباً فأثمر حصرماً برَّيا؟ (أشعيا 5/1 – 2)، هل ترى الإكليلَ الذي زُينتُ به؟ فماذا أصنع الآن؟ "سأُوصي السحب ألاّ تمطر عليه مطراً" (أشعيا 5/6)، السحب أي الأنبياء، سُحبوا من بينهم وصاروا للكنيسة، كما يقول بولس : "أما الأنبياء، فليتكلّم منهم إثنان أو ثلاثة وليحكم الآخرون" (1 كور 14/29).

وأيضاً : "لقد أعطى الله لكنيسته أن يكون البعض رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشّرين ..." (أفسس 4/11) ؛ "وكان أغابس نبياً، هو الذي أوثق يديه ورجليه" (أعمال 21/10 – 11).

30 – اللصان

وفيما يتعلّق باللصين اللّذين صُلبا معـه، كتب : "وقـد أُحصـي مـع الأثمة" (أشعيا 53/12). كان كلاهمـا أثيمين قبلاً، ولكن أحـدهما لم يعد كذلك. والذي ظلّ أثيماً رفض الخلاص الى النهايـة. ولمـا كانت يـداه موثقّتين، كـان يضـرب بلسـانه مجدًّفا. وكـان اليهـود المـارّون يهـزّون رؤوسـهم سـاخرين بالمصـلوب، حـتى يتّم مـا كتب : "نظـروا إليّ فأنغـذوا رؤوسـهم" (مـز 108/25). ولكن الآخر كان ينهره.

كان هذا نهاية حياته وبداية توبته، فأسلم روحه وتلقّى الخلاص.

إذ أنــه بعـد أن وبّخ رفيقـه قـال : "أُذكـرني يـا رب، لأني إليـك أصرخ، أترك هذا لأن عيني فهمه مُغلقتان، ولكن أذكرني. أنا لا أقول أذكر أعمالي، لأنها تخيفني. كـل إنسـان على استعداد طيّب نحو رفيق سفره. وأنا لا أقول أذكرني الآن، ولكن عندما تأتي في ملكوتك" (لو 23/40 – 42).

31 – اهتداء اللص الصالح

أيــة قـوّة انارتـك أيهـا اللص؟ من علّمـك أن تعبـد هـذا المحتقَـر والمصـلوب معـك؟ أيهـا النـور الأزلي الـذي يضـيء لمن هم في الظلمة ! فمن العدل ان كان هو سمع : "ثق، لا لأن أعمالك تـدعو الى الثقة، بل لأن الملك الذي يعفو موجـود هنـا. يسـتغرق الطلب وقتاً طويلاً، ولكن النعمة تأتي بسرعة. "الحـق أقـول لـك : اليـوم تكـون معي في الفـردوس" (لـو 23/43)، "لأنــه اليـوم سـمعت صـوتي، ولم تقسِّ قلبـك" (مــز 94/8). فبلحظــة طــردتُ آدم، وبلحظة أعفو عنك.

للأول قيل : "يوم تأكل منها تموت موتـاً" (تـك 2/17)، ولـكَّ أنت الذي أذعنَ اليوم للإيمان، أقول : لقد خلصت اليوم. لقـد سـقط آدم بسبب الشجرة، وأنت بسبب الشجرة تدخل الفردوس.

لا تخَف من الحية فإنها لن تطردك خارجاً، لأنها هوت من السماء (لو 10/18). أنا لا أقول لك : "اليوم تذهب" بل "ثق اليوم تكون معي". أنت لن تطرد. لا تخـف من بريـق السـيف (تـك 3/24)، انــه يخشــى ربّــه. يـا لعظمـة نعمتـك الفائقـة الوصـف، يـا رب ! إبراهيمُ المؤمن لم يدخل بعد، واللص دخـل ! موسـى والأنبيـاء لم يدخلوا بعد، واللص الخارج عن القانون دخل. ولقد سـبق لبـولس أن تعجّب قبلـك قـائلاً : "حيث كـثرت الخطيئـة طفحت النعمـة" (رومة 5/20). هؤلاء الذين تحمّلوا حرّ النهار المحرق لم يدخلوا بعد، والذي جاء في الساعة الحادية عشرة دخل.

لا يتذمّر أحد منكم على رب البيت، بما أنه هو نفسه يقـول : "يـا صديقي، ما ظلمتك ... أفما يحق لي أن أتصرّف في أموري كمـا أشاء"؟ (متى 20/12 ـــ 15). كان اللص يريد أن يعمـل أعمـال البّر، ولكن الموت سبقه. أنا لا انتظر منه عملاً (إذ هو مـات) بـل أقبـلُ إيمانــه. جئت أنــا الـراعي بين السوسـن، جئت لأتغـذى في الجنّات (نشيد 6/1 ـــ 2). لقد وجـدت الخـروف الضـال فحملتـه على منكبي (لو 15/4 ـــ 5). إنه آمن بما أنه قال : "لقـد ضـللت كـالخروف الضـائع" (مـز 118/176). "اذكـرني يـا رب مـتى جئت في ملكوتك" (لو 32/42).

32 – حجاب الهيكل

لقد سبق أن غنّيت مقدَّما في نشيد الأناشيد لحبيبتي، في صدد هذا البستان، وقلت لها : "أتيت الى جنتي يا أختي العروس" (نشيد 5/1) (المكان الذي صُلب فيه كان بستاناً (يو 19/41).

وماذا قطفت هناك؟ – "حصدت مرّي مع أطيابي" (نشيد 5/1) شرب خمراً ممزوجة بمرارة، وبعد أن تناوله قال : "قد تمّ كل شيء" (يو 19/30)، إذ تمّ السرّ وتحققت النبوءات وامّحت الخطايا. لأن "المسيح وقد جاء حبراً للخيرات المستقبلة، واجتاز قبّة أكبر وأكمل من الأولى، لم تصنعها أيدي الناس، أي إنها ليست من هذه الخليقة، فدخل القدس مرّة واحدة، ولم يدخله بدم التيوس والعجول، بل بدمه، فكسب لنا فداءً أبدياً. فإذا كان دم التيوس والثيران ورش رماد العجلة يقدّسان المنجسّين فيطهّران جسدهم، فما أولى دم المسيح"؟ (عبر 9/11 – 13). وأيضاً : "ولما كنا واثقين، أيها الإخوة، بأن لنا سبيلاً الى القدس بدم يسوع، سبيلاً جديدة حية فتحها لنا في الحجاب، أي في جسده" (عبر 10/19 – 21) ؛ وبما أن جسده الذي كان حجابه قد أهين ؛ لذلك إنشق حجاب الهيكل إثنين من فوق الى أسفل (متى 27/51) ولم يبقّ شيء منه. ولأن يسوع سبق وقال : "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" (متى 23/38)، فقد دمّر الهيكل.

33 – إتفاق قضاء الله ورحمته في موت يسوع

لقد تحمل يسوع كل ذلك مصالحاً بدم صليبه "ما على الأرض

وما في السماوات" (كولسي 1/20). كنا اعداء الله بالخطيئة، وقضى الله بأن يموت الإنسان الخاطئ. فكان لا بدّ أن يتحقق أحد أمرّين : أن ينفّذ الله قضاءه فيمحق كل شيء، أو أن يكون رحيماً فيلغي حكمه. ولكن أنظر الى حكمة الله، فقد نفذ حكمه وحافظ على صلاحه. إذ حمل المسيح الخطايا في جسده على الصليب لكيما بموته "نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (1 بطرس 2/24). إنه لم يكن إنساناً عادياً ذاك الذي مات لأجلنا، ولا نعجة ولا مجرّد إنسان، ولا ملاكاً محضاً، إنما الإله المتجسد. لم يكن جور معاصينا بحجم برّ الذي مات لأجلها. إن بشاعة خطايانا لم تكن أعظم من برّ الذي مات لأجلها. إن خطيئتنا لم تكن بحجم الذي بذل نفسه لأجلنا واستردّها عندما أراد. هل تريد أن تعرف أنه بذل حياته غير مرغم، وأنه لم يسلّم روحه على الرغم منه؟ لقد وجّه الى الآب هذه الكلمة : "يا أبتاه ! في يديك أستودع روحي" (لو 23/46)، إني استودعها لأستردّها من جديد. وإذ قال ذلك، أسلم الروح، ولكن ليس لزمن طويل.

34 – الظروف التي صاحبت موت يسوع وتفسيرها

لقد أظلمت الشمس (لو 23/45) بسبب شمس العدل (ملاخي 4/2)، والصخور تشققت (متى 27/51) بسبب الصخرة الروحية (1 كور 10/4)، والقبور تفتحت، والموتى قاموا (متى 27/52) بسبب الذي هو حرّ بين الأموات (مز 87/5)، وقد حرّر أسراره من الجب الذي لا ماء فيه (زكريا 9/11). فلا تخجل إذن من

المصلوب، بل قل بكل جرأة : "لقد أخذ عاهاتنا وحمل أوجاعنا، وبشدخه شُفينا" (أشعيا 53/4 ـ 5). فلا نكن ناكري الجميل نحو المحسن إلينا، إذ هو "لأجل معصية شعبي سيق الى الموت، فمُنح المنافقين بقبره والأغنياءَ بموته" (أشعيا 53/8 ـ 9). لذلك يقول الرسول بولس : "إن المسيح قد مات لأجل خطايانا على ما في الكتب، وإنه قبر، وإنه قام في اليوم الثالث على ما في الكتب"! (1 كور 15/4 – 5).

35 – مكان الدفن

نريد أن نعرف بيقين أين دُفن، وهل كان القبر من صنع أيدٍ بشرية. هل كان مرتفعاً فوق الأرض مثل قبر الملوك. هل كان عبارة عن مجموعة من الأحجار، وماذا وضع عليها؟ صِفُوا لنا القبر، أيها الأنبياء، أين وضع الجسد، وأين يجب أن نبحث عنه؟ وعلى ذلك يجيب الأنبياء : "أنظروا واعتبروا ! وجاء في الإنجيل : "في قبر منحوت في الصخر" (لو 23/53) ؛ وماذا أيضاً؟ وكيف كان باب القبر؟ يجيب على ذلك نبيّ آخر : "ورّطوا حياتي في الجب ودحرجوا عليّ حجراً"! (مراثي 3/53). أنا حجر الزاوية المختار الكريم (1 بطرس 2/6)، وُضعت داخل الحجر لمدّة قصيرة، حجر عثرة لليهود، وصخرة خلاص للمؤمنين (1 بطرس 2/8).

لقد أزهرت إذن على الأرض شجرةُ الحياة، لكيما الأرض التي لُعنت تتمتع بالبركة، ويُحرَّر الأموات.

36 – الافتخار بعلامة الصليب

فلا نخجل، إذن، من الاعتراف بالمصلوب، ولنرسم علامة الصليب بأصابعنا بصراحة على جباهنا وعلى كل شيء : على الخبز الذي نأكله، وعلى الكأس التي نشربها، وفي دخولنا وخروجنا، عندما نرقد وعندما نستيقظ، سواء كنا نسير في الطريق أو نستريح.

إنها أداة قوية للوقاية من الأذى، مجّانية للفقراء وغير متعبة للمرضى، بما أنها نعمة من عند الله. إنها علامة للمؤمنين وهلع للشياطين، لأنه جرّدهم من سلطانهم وشهَّرهم، اذ سيّرهم في موكبه الظافر (كولوسي 2/15). إنهم عندما يَرون الصليب يتذكّرون بالمصلوب، فيرتعدون من ذاك الذي سحق رؤوس التنانين (مز 73/14). لا تحتقر هذه العلامة لأنها مجّانية، بل أكرم بسببها الرب المحسن.

37 – كيف يردّ المسيحي على أعداء الصليب

وإذا تناقشت يوماً ولم تجد الحجج الإيضاحية الحاسمة، فليبقَ إيمانك ثابتاً. ولكن بالأخرى بما أنك أصبحت عالماً، فَسُدَّ أفواه اليهود بفضل الأنبياء وأفواه اليونانيين بأساطيرهم الخاصة. إنهم يعبدون الصاعقة التي تسقط، والصاعقة التي تأتي من السماء لا تسقط بطريق الصدفة. فإن كان هؤلاء لا يخجلون من عبادة كائنات مصعوقة يكرهها الله، فهل تخجل من عبادة الحبيب ابن الله، هذا الذي صُلب لأجلك؟ إني أخجل من التحدث عما يسمونهم آلهتهم ؛ إني أتركهم نظراً لضيف الوقت. فليتحدث عنهم الذين

يعرفون، ولتسدّ أفواه جميع الهراطقة. وإن قال أحد إن الصليب لم يكن الاّ صورة ظاهرية، فأعرض عنه، واحتقر الذين يقولون إنه صلب ظاهرياً. لأنه اذا صلب في الظاهر، فإن الخلاص لم يكن إلاّ ظاهرياً، بما أنه يأتي من الصليب. ولو كان الصليب خيالياً لكانت القيامة كذلك. وإن كان المسيح لم يقم، فنحن ما زلنا بعد في خطايانا (1 كور 15/17). وإن كان الصليب خيالياً، يكون الصعود خيالياً، ومجيئه الثاني كذلك. وهكذا يصبح كل شيء بلا أساس.

38 – الصليب أساس الإيمان الراسخ

وعليه إتخذ من الصليب أساساً لا يتزعزع، وابنِ عليه بقية الإيمان. لا تُنكر المصلوب، لأنك لو أنكرته لأثبتت عليك أمورٌ كثيرة ضلالَك : أولاً يهوذا الخائن، لأنه عرف أن الشيوخ ورؤساء الكهنة حكموا عليه بالموت (متى 27/3)، والثلاثون من الفضة، وجتسماني حيث تمت الخيانة. هذا، وأنا لا أتحدث عن جبل الزيتون حيث كان الرسل يصلّون في تلك الليلة. قمر تلك الليلة يشهد ضدك، والنهار والشمس التي أظلمت، لأنها لم تستطع أن ترى جَورَ المتأمرين. النار التي كان بطرس يصطلي بقربها ستثبت ضلالك، ان أنكرت الصليب فلك النار الأبدية. إني أتكلّم بقسوة لكي لا تلقى عقوبات قاسية. أذكر سكاكين جتسماني التي رُفعت عليه، لكي لا تنال منك سيوفُ الابدية. سيفحمك منزل قيافا الذي يدلّ بعزلته الحالية على قوّة الذي حوكم عندئذ. سيقف

ضدك قيافاً نفسه في يوم الدينونة، وخادمُه الذي صفع يسوع، والذين أوثقوه، والذين قادوه. سيقف ضدك هيرودس وبيلاطس ليقولا لك : كيف تنكر هذا الذي إتهمه اليهود زوراً وكنا نعرف أنه بريء؟ لأني أنا بيلاطس قد غسلت يديّ عندئذ، سيقف ضدك شهود الزور، والجنود الذين ألبسوه الأرجوان، ووضعوا إكليل الشوك على رأسه. وهؤلاء الذين صلبوه على الجلجلة واقترعوا على ردائه. سيفحمك سمعان القيرواني الذي حمل الصليب خلف يسوع.

39 – شهود الصليب

من بين الكواكب، ستشهد ضدك الشمسُ التي أظلمت، ومن بين الأشياء الأرضية، الخمرُ الممزوجة مرًّا، ومن بين القصب، القصبةُ، ومن بين البنات الزوفى، ومن بين الأشياء البحرية الإسفنجيةُ، ومن بين الأشجار، خشبةُ الصليب. وكذلك الجنود الذين صلبوه، كما سبق وقلنا، وهؤلاء الذين اقتسموا ثيابه.

والجندي الذي فتح جنبه بحربته، والنساء اللواتي كن حاضرات.

وحجاب الهيكل الذي انشقّ، ودار ولاية بيلاطس التي أصبحت الآن مقفرة بقوة الصليب. وهذه الجلجلة المقدسة المرتفعة التي تشهد حتى اليوم، ولا تزال تظهر الصخور التي تشققّت بسبب المسيح.

والقبر القريب حيث وُضع، والحجر المدحرَج على بابه ولا يزال حتى اليوم بجوار القبر. والملائكة الذين ظهروا آنذاك، والنساء اللواتي سجدن له بعد قيامته. وبطرس ويوحنا اللذان أسرعا الى القبر. وتوما الذي وضع يده في جنبه واصبعَ في موضع

المسامير، لأنه من أجلنا لمس الجروح بعناية. وما كنت تريد أن تبحث عنه أنت الذي لم يكن حاضراً، قد بحث عنه هو الذي كان حاضراً، وفقاً لمخطط الله.

40 – عمل الصليب

لك من شهود الصليب الإثنا عشر رسولاً، والأمبراطورية بأسرها، وعالم البشر الذين يؤمنون بالمصلوب. ومجرّد وجودك هنا يجب أن يقنعك بقوة المصلوب. لأنه مَن هو الذي قادك إلى هنا؟ أي جنود؟ أية سلاسل؟ أي حكم من أحكام القضاء؟ انه بالحري شعار غلبة يسوع الخلاصي، أي الصليب، هو الذي جمعكم كلكم هنا. انه هو الذي قهر الفُرس ومدّن الشيتيين. هو الذي منح المصريين معرفة الله بدلاً من القطط والكلاب والأضاليل العديدة.

انه هو الذي، حتى اليوم، يشفي الأمراض، ويهزم الشياطين، ويفسد مفعول السموم والأعمال السحرية.

41 – راية الصليب

هذه العلامة ستظهر في السماء مع يسوع (متى 24/30) لأن الراية تسير دائماً قدّام الملك، بحيث أن اليهود التائبين، عندما ينظرون الى الذي طعنوه (يو 19/37 ؛ زكريا 12/10 ؛ رؤيا 1/7)، ويعرفون هذا الذي سببّوا له العار بالصليب، سيبكون وينوحون ويندمون بعد فوات وقت الندم. أما نحن، فسنهنئ ذواتنا

مفتخرين بصليب المسيح، ونسجد للرب الذي أرسل وصلب لأجلنا، كما سنجد لله الآب الذي أرسله، مع الروح القدس، الذي له المجد أبد الدهور، آمين.

العظة الرابعة العاشرة

" ... وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب"

"اذكركم أيها الإخوة البشارة التي بشرتكم بها وقبلتموها،
ولا تزالون عليها ثابتين، وبها تخلّصون اذا حفظتموها كما
بشّرتكم بها ... إن المسيح قد مات من أجل خطايانا كما
جاء في الكتب ... هذا ما نبشّر به وهذا ما به آمنتم".

(1 كور 15/1 – 11)

1 – المسيح قام، فلنفرح

إفرحي يا أورشليم، وأنتم يا جميع من يحبّون يسوع، اجتمعوا، لأنه قام. إبتهجوا أنتم يا من كانوا قبلاً محزونين (أشعيا 66/1) لسماعكم بجرأة اليهود ومعاصيهم. لأن الذي أهانوه آنئذ، قام من الأموات. وكما أن الذين استمعوا الى العظة عن الصليب، حزنوا، فليفرح الحاضرون الآن بنبأ القيامة. ليتحّول الحزن الى فرح، والنوح الى سرور (مز 29/12)، وليمتلئ فمنا فرحاً إبتهاجاً (مز 70/8).

لأني أعرف الحزن الذي شعر به أصدقاء المسيح، في هذه الأيام الماضية. في الوقت الذي اقتصرت فيه عظاتنا على الموت

والدفن، لم نكن قد أعلناً نبأ القيامة. لذلك كانت أذهانكم معلّقة بما ترغب في سماعه. لقد قام إذن هذا الذي مات، وكان حُرًا بين الأموات، وحرّر المائتين. هذا الذي في آلامه كُلِّل بالشوك خزياً له، قام متَّوجا بإكليل الغلبة على الموت.

2 – إقامة الدلائل على القيامة

وكما أننا قدّمنا الأدلة على صلبه، كذلك سنتقدّم الآن الدليل على قيامته. بما أن الرسول الذي كان حاضراً قال : "قبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب"، فالرسول يحيلنا إذن إلى شهادات الكتب (المقدسة). حسن لنا أن نعرف كل شيء فيما يتعلّق برجائنا في الخلاص، وأن نتعلّم أولاً إن كانت الكتب الإلهية تتحدّث عن زمن قيامته. هل كانت في الصيف أو في الخريف أو في الربيع، وفي أي مكان قام المخلّص، وما اسم مكان قيامته الذي أتى على ذكره أشهر الأنبياء؟ وإن كانت النساء اللواتي كنّ يبحثن عنه ولم يجدنه، فرحن عندما وجدنه فيما بعد؟ حتى اذا ما قرأنا القَصص الإنجيلية، لا نظن أنها حكايات مختلفة أو أساطير.

3 – الكتب المقدسة تشهر بموت يسوع

أن يكون المخلّص قد دفن، فهذا ما سمعتموه بوضوح في عظة سابقة، على لسان أشعيا : "ويكون مثواه في سلام" (أشعيا 11/10)، لأنه بدفنه صالحَ السماء مع الأرض بهداية الخطأة الى الله. ويقول أيضاً : "إنه من وجه الشرّ ضمّ الصدّيق، ومضجعه

يستقّر في سلام" (أشعيا 57/1 ـ 2) ؛ وفي موضع آخر : "ومُنح المنافقين بقبره" (أشعيا 53/9). وتقول نبوءة يعقوب في الكتب : "جثم وربض كأسد وكشبل أسد، فمن ذا يُقيمه"؟ (تك 49/9). وجاءت نفس الشهادة في سفر العدد : "جثا وربض كأسد، فمن ذا يثيره"؟ (عدد 24/9). وكثيراً ما سمعتم صاحب المزامير يقول : "الى تراب الموت تحدرني" (مز 21/16). أما المكان قد أشيرَ إليه بهذا القول : "أُنظروا الى الصخرـ الذي نحتموه" (أشعيا 51/1). ولنأتِ الآن على الشهادات الخاصة بالقيامة.

4 – شهادة المزامير النبوية بالقيامة

يقول أولاً في المزمور الحادي عشر : "إني لأجل اغتصاب البائسين وتنهّد المساكيم أقوم الآن، يقول الرب" (مز 11/6).

ولكنّ البعض يرون في هذه العبارة غموضاً، إذ غالباً ما يقوم الربّ في غضبه لينتقم من أعدائه (مز 7/7. فتعالَ إذن الى المزمور الخامس عشر الذي يقول بوضوح : "اللهم إحفظني، فإني بك اعتصمت". ويقول بعده : "أما أنا فلا أُضحّي بالدم كما يضحّون، ولا تذكر شفتاي الأوثان" – إذ نكروني ونادوا بقيصر ملكاً عليهم (يو 19/5) – وجاء أيضاً : "بارك الله الذي يعظني، فسِرّي يُرشدني ليلاً". وبعد ذلك يؤكد بوضوح : "إنك لن تترك نفسي في الجحيم، ولن تدع قدّوسك يرى الفساد". إنه لم يقل : "لن تدَع قدوسك يرى الموت"، وإلاّ لما كان قد مات، بل يقول : "لن أرى الفساد" ولن أبقى في الموت. ثمّ يضيف : "قد عرّفتني

سبيل الحياة". ها هي الكيفية التي أعلنت بها الحياة بعد الموت.

وهلّم الآن الى المزمور التاسع والعشرين : "أعظّمك يا رب، فقد انتشلتني، ولم تُشمت بي الأعداء" ماذا حدث؟ هل أُنقِذتَ من أعدائك أم تُركت كي تُضرب؟ إنه يردّ بوضوح : "يا رب إنتشِلت نفسي من الجحيم". هناك (في المزمور السابق) كان يقول متنبئاً : "إنك لن تترك نفسي في الجحيم" ؛ أما هنا، فيتحدّث، لا عن شيء سيحدث في المستقبل، بل عن شيء حدث : "إنتشلتَ نفسي ... وأحييتني من بينَ مَن وردوا القبور". متى سيحدث هذا؟ - "في الغروب بكاء وفي البُكرة الترنيم"، لأنه في المساء حلّ الحزن بالتلاميذ، وفي الصباح غمرهم فرح القيامة.

5 – نبوءة نشيد الأناشيد على مكان القيامة

هل تريد أن تعرف المكان؟ يعود فيقول في سفر الأناشيد : "نزلت الى جنّة الجوز" – لأن المكان الذي صلب فيه كان بستاناً (يو 19/41) – إن كان المكان مزيناً الآن بالهبات الملكية، فذلك لا يمنع أنه كان بستاناً لا تزال آثاره قائمة. "جنّة معلّقة وعين مختومة" (نشيد 4/12) من اليهود الذين قالوا : "لقد تذكرّنا أنَّ ذلك المُضلّ قال وهو بعدُ حيّ : إني بعد ثلاثة أيام أقوم. "فمر إذن بضبط القبر ... فمضوا وضبطوا القبر بختم الحجر وإقامة الحراس" (متى 27/36 – 66) ؛ وللانتقام منهم، قال واحد : "في الراحة تمنحهم" (أيوب 18/7). مَن هو "العين المختومة"؟ أو ما معنى "بئر مياه حية"؟ (نشيد 4/15). إنه المخلّص نفسه الذي

كُتب عنه : "إنك يا رب ينبوع الحياة" (مز 35/10).

6 – شهادة صُفنيا

ولكن ماذا يقول صفنيا للتلاميذ باسم يسوع؟ "تأهب، قم في الصباح الباكر، فقد أفسدوا جميع أعمالهم" (صفنيا 3/7)، أي اليهود الذين لم يبقَ لديهم ولا عنقود خلاص، لأن كرمتهم قُطعت.

أنظر كيف يتحدّث الى التلاميذ : "قم في الصباح الباكر، وعند الفجر إنتظر القيامة". ويتابع نص الكتاب بقوله : "ولذلك إنتظرني، يقول الرب، الى يوم قيامتي حتى تشهد" (صفنيا 3/8). ألا ترى أن النبي سبق فرأى مكان القيامة، فدعاه "الشهادة" (مرتيريوم)؟ وبسبب هذه الكلمة، لم يُدعَ مكان الجلجلة والقيامة "كنيسة" كباقي الكنائس، بل دُعي "شهادة" (مرتيريوم)، كما لو كان النبي يقول : "إنتظرني في الشهادة الى يوم أقوم".

7 – صفنيا يعطي علامات القيامة

مَن هو هذا؟ وما هي قيامته؟ وتتابع النبوءة فتقول بوضوح : "لأني حينئذ أحوّل لساني الى الشعوب" (صفنيا 3/9)، إذ بعد القيامة، مُنح التلاميذ موهبة الألسنة بحلول الروح القدس (أعمال 2/4) "لكي يخدموا الرب تحت نير واحد" (صفنيا 3/9). وما هي العلامة الأخرى التي أُعطيت في هذه النبوءة للاستدلال بها على أنهم سيخدمون الرب تحت نير واحد؟

"من عبر أنهار كوش ... يقرّبون لي تقدمة" (صفنيا 3/10). أنت تعلم ما ورد في أعمال الرسل، أن خصيّا حبشياً جاء من أقاصي أنهار الحبشة (أعمال 8/27). وإذا تتحدث الكتب عن زمن القيامة، وطبيعة مكانها، والعلامات التي أعقبتها، فآمن إذن بها، ولا يمنعك أحد من الاعتراف بأن المسيح قام من بين الأموات.

8 – المزمور 87 وساعة القيامة

إليك شهادة أخرى في المزمور السابع والثمانين حيث يتحدث المسيح على لسان الأنبياء (لأن الذي تحدّث عندئذ قد جاء فيما بعد) "أيها الرب إله خلاصي، صرخت إليك نهاراً، وإني بين يديك ليلاً" ؛ وبعده بقليل : "وأصبحت كإنسان ليس له معين، حرًّا بين الأموات". انه لا يقول : "أصبحت إنساناً ليس له معين" بل "كإنسان ليس له معين". لأنه صُلب لا عن ضعف ولكن بإرادته الحرّة، ولم يأتِهِ الموت نتيجة مرض لا إرادي. "لقد حُسبت مع مَن ورد المنون". – وما كانت علامة ذلك؟ "أبعدتَ عني معارفي" (لأن التلاميذ هربوا (متى 26/56). "وألِلأموات تصنع المعجزات؟" – وورد بعد ذلك : "إياك يا رب استغثتُ، وفي الغداة صلاتي تبادر إليك ؛ أترى كيف يتحدّث الأنبياء بكل دقة عن ساعة الآلام وعن القيامة !

9 – نشيد الأناشيد يحدّد مكان القيامة

وأين يقوم المخلّص؟ يقول نشيد الأناشيد : "قومي يا خليلتي،

يا جميلتي، وهلمّي" ؛ ثم يستطرد فيقول : "في كهف الصخرة".

إنه يسمّي "كهف الصخرة" الكهفَ الذي كان قبل أن يصبح باب القبر الخلاصي، وقبل أن يُنحت في هذه الصخرة، كما هي العادة هنا، ليكون قبراً. في الواقع انه لا يظهر الآن بما أنه، لإقامة هذا المبنى الحالي، كان لابدّ من هدم المغارة. لأنه قبل بناء المبنى بفضل سخاء الامبراطور وكَرَمه، كانت المغارة أمام الصخرة. ولكن أين الصخرة التي كان فيها الكهف؟ هل هي في وسط المدينة، أم داخل الأسوار الخارجية التي بينت فيما بعد؟ يجيب في النشيد : "في تخاريب الصخر، وفي خفايا المعاقل" (نشيد 2/13 – 14).

10 - ... ويحدّد فصل السنة

في أي فصل قام المسيح؟ هل في الصيف أن في فصل آخر؟ ورد في سفر الأناشيد قليلاً قبل ما ذكرناه : "إن الشتاء قد مضى والمطر فات وزال ؛ "قد ظهرت الزهور في الأرض ووافى أوان القضب". (نشيد 2/11 – 12). أليست الأرض الآن مليئة بالزهور، ألا يقضب الكرمةَ الكرّامون؟ ترى كيف أنه يقول إن الشتاء قد مضى ! لأن هذا الشهر هو شهر نيسان، فإذن هو الربيع.

في هذا الشهر يقع الأول عند اليهود الذي يحتفلون فيه بعيد الفصح الرمزي ونحتفل فيه الآن بالفصح الحقيقي ؛ إنه فصل خلق العالم، اذ قال الله : "لتنبت الأرضُ نباتاً عشباً يبزر بزراً بحسب صنفه

وشبهه" (تك 1/11). والآن كما ترى ينبت العشب. وكما أن الله صنع آنذاك الشمس والقمر، فقد جعلهما يحكمان الليل والنهار في أوقات متساوية. وهكذا كان هذا الوقت قبيل الاعتدال الربيعي.

فقال الله عندئذ : "لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا". (تك 1/26). أخذ آدمُ "على صورتنا"، لكنه شوّه "كمثالنا"، وأفسد الشبه بالعصيان. وفي الوقت الذي فيه أضاع آدمُ الفردوس، في نفس الوقت حصل بالإيمان على الفداء. في نفس الفصل الذي طُرد فيه الإنسان المخلوق، من الفردوس، بسبب المعصية، رجع إليه الإنسان المؤمن ثمّ فيه السقوط، في الوقت الذي ظهرت فيه الزهور، ووافى أوان القضب.

11 _ القيامة تحدث في بستان ك شهادة الكتاب في هذا الصدد

كان القبر في بستان، والكرمة التي غُرست فيه، قال : "أنا الكرمة" (يو 15/1). غُرست في الأرض لكي تقتلع اللعنة التي حلّت بآدم، وبسببها حُكم على الأرض بأن تنبت شوكاً وحسكاً.

لقد نبتت الكرمة الحقيقية من الأرض، ليتمّ ما كتب : "الحقُ من الأرض نبت، والعدل من السماء تطلّع" (مز 84/12). وماذا يقول هذا الذي دُفن في البستان؟ "قطفت طيبي مع مُرّي" (نشيد 5/1) ؛ وأيضاً : "مُرّ وعود مع أنفس الأطياب" (نشيد 4/14). كل ذلك كان علامات لدفنه. وقد جاء في الإنجيل : "جاءت النساء الى القبر يحملن الحنوط الذي أعددنه" (لو

24/1) ؛ "وأقبل أيضاً نقودِمس ومعه خليط من المُرّ والعود" (يو 19/39). وكتب كذلك : "أكلت خبزي مع عسلي" (نشيد 5/1). فما هُو مُرّ كان في الآلام، وما هو عذب أتى بعد القيامة.

ولما قام من بين الأموات، دخل على التلاميذ والأبواب مغلقة (يو 20/19)، لكنهم لم يؤمنوا به، وظنّوا أنهم يرون روحاً (لو 24/37) فقال لهم : "جسّوني وأنظروا" (لو 24/39). ضعوا أصابعكم في موضع المسامير، كما فرض توما ذلك. "وإذ كانوا بعد غير مصدّقين من الفرح، منذهلين، "قال لهم : هل عندكم ههنا طعام؟ "فقدّموا له قطعة من السمك المشوي، وشهد عسل" (لو 24/41 – 42). أترى كيف تحققت هذه الكلمة : "أكلت خبزي مع عسلي"؟

12 – تنويه نشيد الأناشيد ببحث مريم عن يسوع الناهض

ولكن قبل أن يدخل والأبواب موصدة، كانت النساء النبيلات، الشجاعات يبحثن عن عريس النفوس وطبيبها. تلك الطوباويات أتين إلى القبر يبحثن عن الذي قام ؛ وكانت الدموع تسيل من أعينهن، مع أنه كان من الأولى لهن أن يرقصن فرحات من أجل الذي قام. وبحسب الإنجيل، جاءت مريم (المجدلية) تبحث، فلم تجد أحداً. وسمعت بعد ذلك الملائكة، ثم رأت المسيح (يو 20/11 – 16). هل سبق أن كتب عن ذلك؟ نقرأ في نشيد الأناشيد : "على مضجعي التمست من يحبّه قلبي". في أية لحظة؟ "في الليالي على مضجعي التمستُ من يحبّه قلبي" (نشيد 3/1) ؛ ويقول الإنجيل

"غدت مريمُ إلى القبر والظلمة ما برحت بعد" (يو 20/1). "في الليالي على مضجعي التمست من يحبّه قلبي. بحثت عنه فلم أجده" (نشيد 3/1) ؛ وفي الإنجيل تقول مريم : "أخذوا سيدي ولا أدري أين وضعوه" (يو 20/13).

ولكنّ الملاكَين كانا عندئذ هناك لإطلاعها على حقيقة الأمر، إذ قالا لها : "لِمَ تطلبين بين الأموات مَن هو حي"؟ (لو 24/5).

إنه لم يقم فحسب، بل أقام الأموات. ولكنها لم تفهم، فقالت للملاكين ما جاء في سفر الأناشيد عن ذاتها : "أرأيتم من تحبّ نفسي؟ فلما تجاوزتُهم قليلاً، وجدت مَن تحبه نفسي، فأمسكته ولست أطلقه" (نشيد 3/3 – 4).

13 – فرح النسوة القديسات يتّفق والمزمور الثاني

وبعد رؤية الملائكة، جاء يسوع رسولاً عن نفسهز ويقول الإنجيل : "وإذا يسوع يلاقيهنّ ويقول لهنّ : "السلام لكنّ. فدنون وأخذن بقدميه" (متى 28/9). أمسكن به ليتمّ ما كتب : "أمسكته ولست أُطلقه" (نشيد 3/4). إن كانت المرأة ضعيفة الجسد، فإن روحها متيقظة : "المياه الغزيرة لا تستطيع ان تطفئ المحبة، والأنهار لا تغمرها" (نشيد 8/7). كان مائتاً ذاك الذي يُبحث عنه، ولكن رجاء القيامة لم ينطفئ. فأجاب الملاك وقال لهّن : "لا تخفن أنتنّ" (متى 28/5). إني لا أقول للجنود : لا تخافوا، ولكن لكنّ أنتنّز فليظلّ هؤلاء في الخوف ليتعلّموا بالخبرة أن يشهدوا قائلين : "في الحقيقة كان هذا ابن الله" (متى 27/54).

اما أنتنّ فيجب ألاّ تخفن "لأن المحبة الكاملة تطرد الخـوف خارجـاً"! (1 يـو 4/18). "أسرعن وقلن لتلاميذه : إنه قام ..." (متى 28/7). فغادرن القـبر في سرعة يتنازعهنّ خوف وفرح عظيم" (متى 28/8). هل هذا مكتوب؟– يقـول المزمـور الثـاني الـذي يتكلّم عن آلام المسـيح : "أُعبـدوا الله خـائفين، وابتهجوا وجلين" (2/11). إبتهجوا بسبب المسيح الذي قام، خائفين، بسبب الزلزال والملاك الذي ظهر كالبرق (متى 28/2 – 3).

14 – أشعيا وهوشع يعلّقان مقدّما على مناورات اليهود

ومع أن رؤساء الكهنة والفريسيين ختموا القبر بإذن بيلاطس، إلاّ أن النسـوة رأين هذا الذي قام. وإذ رأى أشعيا تصرّف رؤساء الكهنـة المـزري، وقـوّة إيمان النساء، قال : أيتها النساء الآتيات من المشـهد اقـتربن، لأنـهم شـعب لا فهمَ له" (أشعيا 27/12). رؤساء الكهنة لا يفهمون، وترى النساءُ بـأعينهنّ. وقالوا للجنود الذين أتوا الى المدينـة لإخبـارهم بكـل مـا حـدث ك "قولـوا أن تلاميـذه جـاءوا ليلاً وسـرقوه، ونحن نـائمون" (مـتى 28/13). وقـد سـبق لأشعيا أن تنبأ عنهم بهذه الكلمة : "قولوا لنـا وأعلنـوا ضـلالاً آخـر" (أشـعيا 30/11). الذي قام من الأمـوات خـرج من القـبر. ولكنهم بـالنقود أقنعـوهم بالعكس ؛ على أنهم يقنعوا ملوك عصرنا. لقد خـان الجنـودُ الحـقَ بالفضّـة، ولكنّ ملوكنـا المعاصـرين قـد كسـوا هـذه الكنيسـة الـتي نحن مجتمعين فيهـا الآن، كنيسـة قيامـة الـرب مخلصـنا المقدسـة، بالفضة والـذهب، وزيّنوهـا بالتُحف الفضية والذهبية، وبالأحجار الكريمة.

"وإذا نمى ذلــك الى الــوالي فنحن نرضــيه" (مــتى 28/14). وإذا أنتم أقنعتموه، فلن تقنعوا الأرض كلها. ولماذا عندما خـرج بطـرس من السـجن (أعمال 12/19) عوقب الحرّاس؟ في حين أن الذين كانوا يحرسـون يسـوع المسـيح لم ينـالوا عقابـاً ! هـؤلاء إذ رأوا الحقيقـة وأخفوهـا لقـاء حفنـة من الفضة، أنقذهم رؤساء الكهنة. وإن يكن عدد الذين اقتنعـوا من اليهـود قليلاً، إلا أن العالم بأسره قبِل الحقيقة. والذين أخفوها طواهم النسـيان. أمـا الـذين قبلوها، فقد أظهروا قوّة المخلّص، الذي ليس فقط من بين الأمـوات، بـل قـام مع الأموات الذين قال النبي هوشع في صددهم بوضوح : "يحينا بعد يومين وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا بقربه" (هوشع 6/3).

15 – الرد على اليهود الذين يرفضون العهد الجديد

بما أن اليهود الصمّ لا يطيعون الكتب الإلهية ويكذّبون قيامـة يسـوع، ناسـين كل ما هو مكتوب، فيحسن بنا أن نواجههم بهذا : لماذا تعترفون بـأن اليشـاع (4 ملـوك 4/20 – 37) وإيليـا (3 ملـوك 17/17 – 24) أقامـا مـوتى، وتُعارضـون في قيامـة مخلّصـنا؟ صـحيح أنـه ليس لـدينا شـهودكم من ذلـك العهد. إن كان ما تقبلوه مكتوب، فإن ما نقبله مكتوب أيضـاً. فلمـاذا تقبلـون شهادة دون الأخرى؟ لقد كان أولئك الذين كتبوا هذه الأمور عبرانيين،

وجميع الرسل كانوا عبرانيين، فلماذا لا تصدّقون عبرانيين؟ متّى كتب الإنجيل بالعبرية، وبولس المبشّر كان عبرانياً ابن عبراني (فيلبي 3/5)، والرسل الإثنا عشر كانوا عبرانيين، وأساقفة أورشليم الخمسة عشر الذين تعاقبوا كانوا عبرانيين. فلماذا إذن تقبلون كتبكم وترفضون كُتبنا التي كتبها عبرانيون مثلكم؟

16 – القيامة ممكنة ؛ مثال أليشاع

قد يقول قائل : يستحيل إقامة الموتى. ومع ذلك أقام أليشاع ميتاً مرّتين : مرّة وهو حيّ بعد، وأخرى وهو ميت (4 ملوك 4/20 ـ 37). نحن نؤمن أن ميتاً قام عندما ألقى على جثة أليشاع (4 ملوك 13/21)، ولكن هل المسيح لم يقم من بين الأموات؟ في الحالة الأولى لمس الميتُ أليشاع وقام، ولكن الذي أقامه بقي ميتاً كما كان قبلاً. أما في حالتنا، فقام الميت وقام معه أموات كثيرون دون أن يلمسوه. لأن "كثيرين من القديسين الذين كانت أجسادهم ترقد، "قاموا وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين" (متى 27/52 ـ 53). أقام أليشاع ميتاً ولكنه لم يسيطر على الأرض، أقام إيليا ميتاً ولكن الشياطين لا تخرج باسمه. إني لا أقول هذا للإساءة إلى الأنبياء، بل للإشادة بذكر سيدهم. اننا لا نحط من قيمة هذه الأحداث للإشادة بأحداثنا، لأن هذه الأحداث أيضاً هي أحداثنا، وعلى أساسها ندعم أحداثنا.

17 – المقارنة بين يونان ويسوع

إنهم يقولون ملحّين إن ميتاً حديثاً يمكن أن يقيمه حيّ. ولكن بيّنوا لنا إذا كان من المُمكن أن يقوم ميت بعد ثلاثة أيام، وإذا كان ممكن أن يستردّ الحياةَ إنسانُ مدفون منذ ثلاثة أيام. وإلى الذين يطالبوننا بشهادة على هذه الحالات، نقول : إن الرب يسوع نفسه أعطانا هذه الشهادة في الإنجيل، عندما قال : "فكما أن يونان أقام في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، "كذلك ابن الإنسان يقيم في جوف الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ..." (متى 12/40). وإذا نحن فحصنا قصّة يونان، فإننا نجد شبَهاً عظيماً.

أرسل يسوع ليكرز بالتوبة (متى 4/17) ويونان كذلك (يونان 1/2). ولكن هذا الأخير، إذ كان يجهل ما كان سيحدث، حرب ؛ وذاك جاء ليكرز بتوبة الخلاص : كان يونان نائماً في السفينة مستغرقاً في النوم، بينما كان البحر هائجاً، تعصف به زوبعة عظيمة. ويسوع كذلك كان نائماً والبحر مضطرباً، إنما لغَّرض، وهو إظهار قوّة الذي كان نائماً، كانوا يقولون لذاك : "قم فأدعُ الى إلهك لعلّ الله يفكر فينا فلا نهلك" (يونان 1/6) وهنا كانوا يقولون : "نجنّا يا رب" (متى 8/25). هناك كانوا يقولون : "أدعُ الى إلهك، وهنا "نجّنا" وقال ذاك : "خذوني وألقوني في البحر فيسكن البحر عنكم" (يونان 1/12)، وهنا : "حينئذٍ زجر الرياح والبحر، فساد هدوء عظيم" (متى 8/26)، "وابتُلع يونان في جوف الوحش البحري" (يونان 2/1)، وهذا نزل طوعاً للموت حيث كان الوحش الروحي . نزل طوعاً لكي يلفظ الموتُ هؤلاء الذين إبتعلهم، كما هو مكتوب : "سأفتديهم من

سلطان الجحيم وأنجيّهم من مخالب الموت" (هوشع 13/14).

18 – بقاء يونان حياً في بطن الحوت معجزة كقيامة المسيح

وإذ وصلنا إلى هذه النقطة من عظتنا، فلنعتبر أيهما أصعب : أن يقوم من الأرض إنسان مدفون، أو أن لا يفسد إنسان في حرارة مثل حرارة بطن حوت؟ أي إنسان لا يعرف أن درجة حرارة البطن تذيب حتى العظام المبتلعة؟ فكيف مكث يونان إذن ثلاثة أيام وثلاث ليال في بطن الحوت بدون أن يذوب؟ نحن الذين نملك الطبيعة البشرية نعرف أننا بدون هواء لا نستطيع أن نعيش، فكيف مكث ذاك ثلاثة أيام بدون استنشاق الهواء وعاش؟ يردّ اليهود على ذلك بقولهم إن قوّة الله نزلت مع يونان المضطرم. فإذا الله أرسل قوّته الى عبده ليمنحه الحياة، ألا يستطيع أن يمنحها لنفسه؟ إذ كان الحادث الأول قابلاً للتصديق، فالثاني قابل للتصديق أيضاً ! وإذا كان هذا الأخير غيرَ قابل للتصديق، لأني أؤمن بأن يونان حفظ، إذ أن كل شيء مستطاع عند الله (متى 19/26)، كما أؤمن بأن المسيح قام من بين الأموات، إذ لديّ شهادات كثيرة في هذا الصدد مستخرجة من الكتب الإلهية، ومن قوّة الناهض من الأموات التي تعمل حتى اليوم، ومن قوّة الذي نزل الى الجحيم وصعد وبصحبته كثيرون. إذ نزل الى الموت وأقام معه الكثيرَ من القديسين الراقدين.

19 – المسيح في الجحيم

لقد فزع الموت إذ رأى زائراً جديداً ينزل الى الجحيم دون أن يرتبط بقيوده (أعمال 2/24). لماذا أرتعبتم يا حرّاس الجحيم لدى رؤيته؟ أي خوف خارق إستحوذ عليكم؟ لقد فرّ الموت، وهذا الفرار دلّ على جُبنه. وأسرع إليه الأنبياء القديسون : موسى المشترع، وإبراهيم وإسحق ويعقوب، وداود وصموئيل، وأشعيا ويوحنا المعمدان الذي أدّى هذه الشهادة : "أأنت من يأتي أم ننتظر آخر؟" (متى 11/3) جميع الأبرار حُرِّروا، هؤلاء الذين كان الموت قد إبتلعهم ؛ إذ كان لا بدّ للملك الذي بشرّوا به أن يفتدي مرَسليه المخلصين. وهكذا كان كل بارّ يقول : "أين غلبتك يا موت، أين شوكتك يا جحيم"؟ (1 كور 15/55)، لأن صانع النصر قد افتدانا.

20 – يونان مثال المسيح في الجحيم

كان يونان المثال الكامل لمخلّصنا، وكان من بطن الحوت يصلّي قائلاً : "الى الرب صرخت في ضيقي ... من جوف الجحيم" (يونان 2/3). لقد كان فعلاً داخل الحوت ؛ ومع أنه كان في جوف الحوت كان يقول إنه في الجحيم ؛ لأنه كان رمز المسيح الذي كان يجب أن ينزل إلى الجحيم. وبعد ذلك قال بوضوح متنبئاً باسم المسيح : "نزلت الى أصول الجبال" (يونان 2/6)، وبما أنه كان أكيداً في بطن الحوت، فأية جبال إذن حوته؟ ولكنه كان يقول : إني أعلم أني مثال لذلك الذي سيوضع في قبر منحوت في الصخر.

ومع أنه كان في البحر، كان يقول : "نزلت الى أصول الجبال"، بما أنه كان مثال المسيح الذي نزل "الى جوف الأرض" (متى 12/40)، وإذ كان يرى سلفاً كيف أن اليهود سيقنعون الجنود بالكذب، ويقولون لهم : "قولوا أن تلاميذه سرقوه" (متى 28/13)، قال "إن الذين يرعون الأباطيل الكاذبة يهملون رحمتهم" (يونان 2/9)، لأن الذي كان يشفق عليهم جاء وصلب وقام، واهباً دمه الكريم لليهود والأمم. ولكنهم قالوا : "أعلنوا أنهم سرقوه" متمسكين بالأباطيل الكاذبة. وفي صدد قيامته قال أشعيا : "هو الذي أقام من الأرض راعي الخراف العظيم" (أشعيا 36/11 ؛ عبر 13/20 ؛- 1 بطرس 2/25) وأضاف "العظيم" ليعني بذلك أنه لا يجب إعتباره في الكرامة على مستوى الرعاة الذين سبقوه.

21 – شهود قيامة المسيح الحقة

وبما أن لدينا النبوءات، فليكن إيماننا ثابتاً. فليسقط الذين يسقطون بجحدهم، بما أنهم يريدون ذلك. أما أنت، فاثبت على صَخرة الإيمان بالقيامة، ولا تترك هرطوقياً يقنعك بالتجديف على القيامة. لأنه حتى هذا اليوم، يقول المانيون إن قيامة المخلّص كانت خيالية لا حقيقية ؛ إذ هم لا يريدون أن يسمعوا الى بولس الذي كتب : "المولود بحسب الجسد من ذرّية داود"، ثم استطرد فقال : "... بقيامة يسوع المسيح ربّنا من بين الأموات" (رومه 1/3 – 4)، كما أنه قصدهم عندما قال : "لا تقل في قلبك مَن يصعد الى

السماء ... أو من يهبط إلى الهاوية وذلك ليُصعد المسيح من بين الأموات" (رومه 10/6 – 7). وهو الذي يجذّرنا في موضع آخر، حيث يقول : "أذكر يسوع المسيح المتحدّر من نسل داود، الذي أنهض من بين الأموات" (2 تيمو 2/8). وأيضاً : "إن كان المسيح لم يقم فكرازتنا إذن باطلة، وإيمانكم أيضاً باطل، بل أضحينا شهود زور الله، لأنّا شهدنا على الله بأنه أقام المسيح، وهو لم يقمه" (1 كور 15/14 – 15) ؛ وأضاف بعد ذلك : "إن المسيح قد قام من بين الأموات باكورة للراقدين ... وأنه تراءى لكيفا ثم للإثنى عشر" (1 كور 15/20 ، 5). إن كنت لا تؤمن بشهادة واحدة، فلديك إثنا عشر شاهداً، "ثم تراءى لأكثر من خمسمئة معاً" (1 كور 15/6). فإن كانوا لا يؤمنون بالإثني عشر، فليقبلوا شهادة الخمس مئة. "ثم تراءى ليعقوب" أخيه، أول أسقف لهذه الكنيسة. بما أن مثل هذا الأسقف حظي برؤية المسيح الناهض من الأموات، فأنت تلميذه، لا تكن جاحداً، ولكن قل إن يعقوب أخا الرب شهد للنعمة. "وآخر الكل تراءى لي أنَّا بولس عدّوه" (1 كور 15/5 – 6). مَن يرفض شهادة يدلي بها عدّو؟ "أنا الذي كان من قبل مضطهداً" (1 تيمو 1/13)، أبشر الآن بالقيامة.

22 – شهود بَشَر وشهادات مادية

كثيرون هم شهود قيامة المخلّص : الليل وضوء القمر التام (لأنها كانت ليلة 16 نيسان)، صخرة القبر الذي حواه، والحجر الذي

خُتم أمام اليهود، لأنه رأى الرب، الحجر الذي دُحرج عندئذ (متى 28/2) يشهد بالقيامة، وهو لا يزال قائماً هنا حتى الآن.

ملائكة الله الذين كانوا حاضرين، شهدوا لقيامة الابن الوحيد (لو 24/4)، بطرس ويوحنا، توما وباقي الرسل الذين أسرع بعضهم الى القبر ورأوا أن اللفائف – التي لُفّ بها جسده للدفن – كانت مطروحة هناك بعد القيامة (يو 20/6)، وآخرون لمسوا يديه ورجليه ورأوا آثار المسامير (لو 24/39 ؛ يو 20/27) وتلقّوا جميعاً النفخة الخلاصية (يو 20/22) ونالوا جميعاً سلطة غفران الخطايا بقوة الروح القدس (يو 20/22 – 23). النساء اللواتي سمعن الزلزال العظيم، ورأين لباس الملاك أبيض كالثلج، وأخذن بقدمي يسوع (متى 28/8 – 9)، واللفائف التي كان ملفوفاً بها وتركها عند قيامته. الجنود والنقود التي أُعطيت لهم (متى 28/15)، والمكان نفسه الذي يُرى الى الآن، وهذه الكنيسة المقدسة التي بناها الإمبراطور قسطنطين على القبر المقدس، وزيّنت على هذا الشكل.

23 – شهود أورشليم

تشهد بقيامة يسوع طابيتا التي قامت من بين الأموات باسمه (أعمال 9/40). كيف لا يمكن الإيمان بالمسيح الناهض إن كان اسمه أقام الأموات؟ يشهد البحر بقيامة يسوع، كما سبق وسمعت ذلك، وصيد السمك، والجمر والسمك الذي كان موضوعاً عليه (يو 21/6 – 9). يشهد بطرس الذي أنكره ثلاث مرات، ثم اعترف به ثلاث مرات، وعُهد إليه بأن يرعى النعاج الروحية (يو

21/15 – 17). يقف جبل الزيتون الى اليوم، كأنما هو يُريد أن يُظهر لأعين المؤمنين حتى اليوم هذا الذي صعد على السحابة، وباب الصعود السماوي. لأنه نزل من السماء في بيت لحم، وصعد الى السماء من جبل الزيتون. هنا بدأ جهاده في سبيل البشر، وهنا أيضاً نال إكليل الجهاد. فلديك إذن شهود كثيرون : مكان القيامة ومكان الصعود في الشرق والملائكة الذين شهدوا، والسحابة التي صعد عليها، والتلاميذ الذين نزلوا من هناك.

24 – الصعود يشهد بالقيامة

يحثّنا نظام تعليم الإيمان على الكلام عما يخصّ الصعود. ولكن نعمة الله دبّرت أن تسمع عنه مطوّلاً، بقدر استطاعتنا، في يوم أمس الأحد، وبحسب ما حدّدت النعمة الإلهية. في القداس، نظام القراءات يشمل أيضاً ما يمسّ بصعود مخلصّنا الى السماء. وما قلناه كان للجميع ولجمهور المؤمنين، ولك أنت بوجه خاص.

فيجب أن نعرف اذا كنت قد انتهيت الى ما قيل. فأنت تعلم أن قانون الإيمان يعلّمك بأنه يجب أن تؤمن بأنه "قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب". وعليه أظن أنك تذكر التفسيرات، فيكفي أن ألمّح إليها لتتذكرها. أُذكر جيداً ما كتب بوضوح في المزامير : "صعد الله بهتاف الفرح" (مز 46/6).

أُذكر ما كانت السلاطين الإلهية تقول فيما بينها : "أيها الرؤساء إرفعوا أبوابكم..." (مز 23/7). أُذكر المزمور الذي يقول : "صعد الى العلي وسبي سبياً" (مز 67/19). أُذكر النبي

الذي يقول : "وهو الذي يشيد في السماء علاليه" (عاموس 9/6)، وكل ما قيل بالأمس، لتدحض اعتراضات اليهود.

25 – مقارنة بين صعود المسيح وعلاماته في العهد القديم

وإذا أعترض أحد عليك بقوله : ان صعود المخلّص مستحيل، فأذكر عندئذ ما قيل في صدد نقل حبقوق. لأنه اذا كان ملاك نقل حبقوق، قابضاً على شعر رأسه، فكم بالحري ربّ الأنبياء والملائكة، الذي هو أقوى، يستطيع بقوّته الذاتية أن يصعد من جبل الزيتون الى السماء على سحابة. واذكر المعجزات الأخرى المماثلة، واحفظ للرب، صانع هذه المعجزات، سمّوه. لأن هؤلاء رُفعوا، أما هو فارتفع فوق كل شيء (عبر 1/3). واذكر أن أخنوخ نُقل (تك 5/25) وأن يسوع صعد. أذكر ما قلنا بالأمس عن إيليا أنه نقل على مركبة نارية (4 ملوك 2/11)، أما "مركبة المسيح فربوتان، ألوف مضاعفة" (مز 67/18). نقل إيليا من شرق الأردن، وصعد المسيح من مشرق وادي قدرون ؛ ذاك نقل الى السماء، ولكن يسوع صعد الى السماء.

قال إيليا : "يُعطى لتلميذ نصيب مضاعف في الروح القدس" (4 ملوك 2/9)، ومنح المسيح تلاميذه مشاركة في نعمة الروح القدس، بحيث ألا تكون وقفاً عليهم دون سواهم، بل أن يُشركوا معهم المؤمنين، بوضع الأيدي.

26 – الرسل لا يقلّون قيمة عن موسى والأنبياء

وعندما تُناقش اليهود بهذه الكيفية وتقنعهم بهذه المقارنة، عندئذ حدّثهم عن سمّو المخلّص، فهؤلاء خدّام، أما هو فابن الله.

وهكذا سوف تتذّكر أن خادم المسيح اختطف الى السماء الثالثة.

لأنه اذا كان إيليا بلغ السماء الأولى، فإن بولس اختطف الى الثالثة (2 كور 12/2) فحصل على كرامة أعظم. لا تخجل من رسلك ؛ إنهم لا يقلّون قدراً عن موسى أو الأنبياء، بل هم أخيار بين الأخيار. لأن إيليا نقل الى السماء، لكن بطرس أُعطي مفاتيح ملكوت السماوات، كما سمعت : "ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السماوات" (متى 16/19). إيليا نقل الى السماء فقط، لكن بولس إختطف الى السماء والى الفردوس، (لأنه كان من اللائق أن يتلقّى تلاميذ المسيح نعمة أوفر)، "وسمع كلمات تفوق الوصف، لا يحلّ لإنسان أن ينطق بها" (2 كور 12/4)، ثم نزل من فوق، لا لأنه لا يستحقّ الإقامة في السماء الثالثة، ولكنه إذ تلقّى ما يفوق القوى البشرية، نزل مكرَّما، لكيما بعد أن يكرز بالمسيح ويموت من أجله، ينال إكليل الشهادة. أما باقي الحجج، فقد قيلت بالأمس في قداس الأحد. وعموماً تكفي المستمعين الأذكياء إشارةٌ واحدة لتعليمهم.

27 – الجلوس عن يمين الآب

واذكر أيضاً ما قلته مراراً في صدد جلوس الابن عن يمين الآب. بسبب قانون الإيمان الذي يقول : "صعد الى السماء وجلس

عن يمين الآب". لا نحاول أن نعرف الطابع الخاص لهذا العرض، لأنه لا يُدرك. ولا يقتفي كذلك إثر الذين يقولون خطأ إن الابن لم يجلس عن يمين الآب إلاّ بعد صلبه وقيامته وصعوده الى السماء. لأنه لم يحصل على العرش تدرجياً، بل هو يجلس مع الآب، لأنه كائن ومولود منذ الأزل. وقد سبق للنبي أشعيا، قبل مجيء المخلص في الجسد، أن رأى هذا العرش، عندما قال : "رأيت الرب جالساً على عرش عالٍ ومرتفع" (أشعيا 6/1). "الآب لم يره أحد قط" (يو 1/18)، فالذي ظهر للنبي كان الابن. ويقول صاحب المزامير : "عرشك ثابت منذ البدء، منذ الأزل أنت" (مز 92/2). وهناك شهادات كثيرة في هذا الصدد، ولكن نظراً للوقت يكفي ما قلنا.

28 – الكتاب المقدس يعلّم الجلوس عن اليمين

والآن سأذكّركم ببعض الشهادات العديدة التي قيلت في صدد جلوس الابن عن يمين الآب. فالمزمور المئة والتاسع، يقول بوضوح : "قال الرب لربي : اجلس عن يميني، حتى أجعل اعداءك موطئاً لقدميك" (مز 109/1). وتأييداً لهذه العبارة، قال المخلّص في الإنجيل : "إن داود لم يقل ذلك من نفسه، بل بوحيٍ من الروح القدس ؛ "فكيف يدعوه داود بالروح ربًّا، إذ قال : قال الرب لربي اجلس عن يميني ..." (متى 22/43). وعندما وقف بطرس مع الأحد عشر، في يوم العنصرة، ورفع صوته مخاطباً الإسرائيليين، إستشهد بهذه الآية الواردة في المزمور التاسع بعد المئة (أعمال 2/34).

29 – (تابع)

وعلى سبيل التذكير، سنعطي بعض الشهادات الخاصة بجلوس الابن عن يمين الآب. فقد جاء في إنجيل متي : "وأيضاً أقول لكم، إنكم منذ الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة ..." (متى 26/64). وإلحاقاً لذلك، كتب الرسول بطرس : "... سيخلّصكم الآن بقيامة يسوع المسيح الذي هو عن يمين الله منذ انطلق الى السماء". (1 بطرس 3/21 – 22). أما الرسول بولس، فيقول في رسالته الى أهل رومه : "... المسيح الذي مات، بل بالحري قام، وهو عن يمين الله" (رومه 8/34) ؛ ويقول في رسالته إلى أهل أفسس : "... فرط عظمة قدرته المتجلّية في عزّة قوّته التي بسطها في المسيح، اذ أنهضه من بين الأموات وأجلسه عن يمينه في السماوات" (أفسس 1/19 – 20). وجاء في تعليمه إلى أهل كولسي : "لقد قمتم مع المسيح، فاطلبوا إذن ما هو فوق حيث يقيم المسيح، جالساً عن يمين الله" (كولسي 3/1).

وقال في رسالته الى العبرانيين : "... الذي بعد أن طهّرنا من خطايانا، جلس عن يمين الجلال في الأعالي". وأيضاً : "لمن من الملائكة قال قط : اجلس عن يميني حتى أجعل أعدائك موطئاً لقدميك"؟ (عبر 1/3 - 13). وبعد ذلك : "أما هو، فإذ قرّب عن الخطايا ذبيحة وحيدة، جلس عن يمين الله إلى الأبد، منتظراً من بعد أن يوضَع اعداؤه موطئاً لقدميه" (عبر 10/12 – 13).

وأيضاً : "... شاخصين بأبصارنا الى مبدئ الإيمان ومكمّله، "الى يسوع الذي، بدل السرور الموضوع أمامه، تحمّل الصليب

" – هازئاً بعاره – وجلس عن يمين عرش الله" (عبر 12/2).

30 – المشاركة في انتصار يسوع

وهناك شهادات أخرى في صدد جلوس الابن الوحيد على عرش الله. ولكن ما أوردناه منها يكفي الآن. وعلاوة على ذلك، يجب أن نذكّركم، أنه ليس بعد مجيئه في الجسد حصل على كرامة العرش هذه، ولكن ابن الله الوحيد، ربنا يسوع المسيح، له عرشه الى الأبد عن يمين الله الآب، قبل كل الدهور. ليحرس اللهُ الآب، أبو المسيح، وربنا يسوع المسيح، الذي كان قد نزل ثم صعد (أفسس 4/10) وجلس مع الآب، فليحرسا نفوسكم، ويحفظا لكم رجاء ثابتاً لا يتزعزع في الذي قام. إنه سوف يقيمكم من خطاياكم المميتة الى عطيته السماوية، ويحفظكم جميعاً لملاقاة المسيح في الجوّ (1 تسا 4/17) في حينه. وحتى ذلك الوقت لمجيئه الثاني، فليسجّل أسماءكم جميعاً في سفر الأحياء ولا يمحيها بعد تسجيلها (لأن أسماء الكثيرين ممن يسقطون تُمحى) وليهبكم جميعاً أن تؤمنوا بالذي قام، وأن تنتظروا الذي صعد وسيأتي (لأنه لن يأتي من الأرض. احترس لنفسك بسبب الهراطقة الذين سيأتون) ويرى كرامة كل واحد وثبات إيمانه. لا تظّن أنه، لغيابه عنّا بالجسد، غائب بالروح. إنه هنا في وسطنا يستمع الى ما نقول عنه، ويتطلّع الى أفكارك الباطنية، فأحصلاً الكُلى والقلوب. وهو على استعداد لأن يقدّم الى أبيه المُقدِمين على العماد، وأنتم جميعاً في الروح القدس، وأن يقول : "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله" (أشعيا 8/18) فله المجد أبد الدهور. آمين.

العظة الخامسة عشرة

" ... وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء"

" ... وبينما كنت أرى، إذ نصبت عروش فجلس القديم
الأيام ... ورأيت في رؤى الليل، فإذا بمثل ابن الإنسان
آتياً على سحاب السماء، فبلغ الى القديم الأيام وقُرّب الى
أمامه. وأوتي سلطاناً ومجداً ومُلكاً. فجميع الشعوب والأمم
والألسنة يعبدونه، وسلطانه سلطان أبدي لا يزول،
ومُلكه لا ينقرض ..." (دانيال 7/9 – 14)

1 – مقارنة بين مجيئين

إننا نعلن مجيء المسيح، ليس فقط الأول، بل الثاني أيضاً، وهو أجمل من الأول بكثير. كان الأول يحمل طابع المحنة، ويحمل الثاني تاج الملك الإلهي. لأن كل شيء مزدوج عند ربنا يسوع المسيح : ولادة مزدوجة، إحداها من الله قبل كل الدهور، والأخرى من العذراء في ملء الأزمنة (غلا 4/4). نزول مزدوج، أحدهما مستتر "كنزول المطر على الجزّة" (مز 71/5)، والثاني باهر وهو مجيئه المنتظر ؛ في مجيئه الأول كان ملفوفاً فأقمطة ومَّضجعا في مذود (لو 2/7)، وفي الثاني يظهر "لابساً النور كالثوب" (مز 103/2).

في الأول "تحمّل الصليب هازئاً بعاره" (عبر 12/2)، وفي الثاني يأتي مجده "وجميع الملائكة معه" (متى 25/31). فنحن لا نقف إذن عند مجيئه الأول، بل ننتظر مجيئه الثاني. لقد قلنا في الأول : "مبارك الآتي باسم الرب" (متى 21/9)، وفي الثاني نردّد نفس الهتاف، حتى عندما نذهب مع الملائكة لملاقاة الرب (1 تسا 4/16)، نعبَده قائلين : "مبارك الآتي باسم الرب". ويأتي المخلّص لا لُيحاكم من جديد، بل ليُحاكِم الذين حكموا عليه. هذا الذي، أثناء محاكمته، التزم الصمت (متى 26/62 – 63 ؛ 27/12 – 14) سيقول للطغاة الذين عاملوه بوقاحة على الصليب : "صنعتَ هذا فصمتُّ" (مز 49/21). كان قد جاء يعلّم الناس بإقناع، لخلاصهم، ولكن عندئذ سيخضعون حتماً لسلطانه، شاؤوا أم أبوا.

2 – المجيئان في ملاخي وفي بولس

في صدد هذين المجيئين، يقول النبي ملاخي : "وللوقت يأتي الى هيكله السيّد الذي تلتمسونه" (ملا 3/1). هذا بخصوص المجئ الأول. أما عن المجئ الثاني، فيقول : "... ملاك العهد الذي ترتضون به، ها انه آتٍ الرب المتسلّط، فمن يحتمل يوم مجيئه، ومن يقوم عند ظهوره، فإنه مثل نار الممحّص وكأُشنان القصّارين، فيجلس ممحَّصا ومنقياً ..." (ملا 3/2 – 3). وبعد هذا يقول المخلّص نفسه : "وأتقرّب منكم للحكم، وأكون شاهداً شريعاً على المتفائلين والفاسقين والحالفين زوراً ..." (ملا

3/1 – 2 ، 5). ولذلك يحذّر بولس قائلاً : "فإن بَنى أحد على هذا الأساس بذهب أو فضة، أو حجارة كريمة، أو خشب أو حشيش أو تبن، فإن عمل كل واحد سيكون بيّنًا، لأن يوم الرب سيظهره، إذ أنه سيعتلن بالنار" (1 كور 3/12 – 13). وقد أعلن بولس عن هذَين المجيئين في رسالته الى تيطس، حيث قال : "قد تجلّت نعمة الله المخلّصة لجميع الناس، مهذّبة إيانا لننبذ النفاق والشهوات الدنيوية، فنحيا في الدهر الحاضر على مقتضى التعقّل والعدل والتقوى، في انتظار الرجاء السعيد، وتجلّي مجد إلهنا العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح" (تيطس 2/11 –ـ 13). أترى كيف يتحدّث عن المجيء الأول الذي من أجله يقدّم الشكر، وعن الثاني الذي ننتظره. ولهذا يُعلن الآن الإيمان الذي نجاهر به، لكي نؤمن "بالذي صعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب، وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات ولن يكون لملكه انقضاء"ـ (لو 1/33).

3 – زعزة أركان العالم عند المجيء الثاني

إذن سيأتي ربنا يسوع المسيح في السماء، وسيأتي بمجد في نهاية هذا العالم، في اليوم الأخير، لأنه ستكون نهاية لهذا العالم. وهذا العالم المخلوق سيتجدّد بعد ذلك. لأنه بما أن الفساد والسرقة والزنى وكل أنواع الخطايا قد فاضت على الأرض، ويتعاقب القتل في هذا العالم، ولكي لا يبقى هذا المسكن العجيب مليئاً بالمعاصي، سيزول هذا العالم ليأتي عالم أفضل. هل تريد دليلاً على هذه الأقوال، إسمع ما يقول أشعيا : "تُطوى السماوات

كدرج، وتسقط نجومها كافة سقوط الورق من الكرم والسقّاط من التين" (أشعيا 34/4).

ويقول الإنجيل : "تظلم الشمس ويحبس القمر ضوءه وتتساقط الكواكب من السماء" (متى 24/29). فلا نحزن كما لو كنا وحدنا سنموت، فالنجوم أيضاً ستسقط، ولكنها ستنهض كذلك.

سيطوي الرب السماوات لا ليمحقها، بل ليعيدها أجمل مما كانت عليه. إسمع داود النبي يقول : "أيها الرب، في البدء أسّست الأرض، "والسماوات هي صنع يديك، هي تزول وأنت تبقى"

(مز 101/26 ـ 27). قد يقول قائل : انظر، انه يقول انها تزول ! ولكن إسمع كيف يفسّر كلمة "ستزول" في ما يلي : "كلها تبلى كالثوب وتطويها كالرداء فتتغير" (مز 101/27 ـ 28). لأنه كما يقال عن الإنسان إنه "هلك". كما هو وارد في هذه الجملة : "هلك الصدّيق ولم يكن من تأ/ل في قلبه" (أشعيا 57/1)، وذلك على الرغم من إنتظار القيامة، كذلك نحن ننتظر قيامة السماوات ذاتها : "وستنقلب الشمس ظلاماً والقمر دماً" (يوئيل 3/4). فليتعلّم أولئك الذين إنحرفوا الى المانيين، ولا يجعلوا من هذه الكواكب آلهة لهم. ولا يظنّوا أن الشمس التي تظلم هي المسيح. فاسمع مرّة أخرى ما يقول الرب : السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول" (متى 24/35)، لأن الخلائق أقل كرامة من كلام السيد.

4 – تاريخ آخر الزمن غير متوّقع. المسيح الدجّال

إذن ستزول الأشياء المنظورة، وتأتي الأشياء المنتظرة أجمل منها. ولكن لا يشغل أحد باله في زمن مجيئها : "لأنه ليس لكم أن تعرفوا الأوقات والأزمنة التي جعلها الآب في سلطانه" (أعمال 1/7). ولا تذهب بل الجرأة في تحديد زمانها، ولا تهمل نفسك وتستسلم للنوم ؛ إذ يقول الرب : "كونوا إذن مستعدّين، لأن ابن الإنسان يأتي في ساعة لا تظنونها" (متى 24/44). ولكن بما أنه كان يقتضي علينا أن نعرف علامات آخر الزمن، وبما أننا ننتظر المسيح، وخوفاً من أن نموت مخدوعين ويضّلنا المسيح الدجّال، لذلك إقترب الرسل من السيد الحقيقي، بدافع من الوحي الإلهي وبحسب تصميم الخلاص، وسألوه : "قل لنا متى يكون هذا، وما يكون علامة مجيئك ومنتهى العالم" ؟ (متى 24/3). إننا ننتظر مجيئك الثاني، لكن إبليس يغيّر شكله الى ملاك نور (2 كور 11/14). فطمئنّا حتى لا نعبد أحداً بدلاً منك. ففتح فمه الإلهي الطوباوي، وقال : "إحذروا من أن يضّلكم أحد" (متى 24/4). وأنتم أيضاً، أيها السامعون، إفتحوا الآن أعين أذهانكم كأنكم تريدون رؤيته، واسمعوه يعيد عليكم أنتم أيضاً هذه الأمور : "إحذروا أن يضلكم أحد". هذه العبارة تحثكم على التمسّك بما يقال لكم ؛ لأنه ليس تاريخ الماضي، إنما نبوءة ما سيحدث أكيداً. لسنا نحن الذين نتنبأ (لأننا غير أهل لذلك)، ولكننا نجاهر بما هو مكتوب، ونخبر بعلامات منتهى الدهر. فلاحظ أنت إذن ما تحقق منها وما لم تتحقق، وأحرص على نفسك.

5 – عدم تصديق المضلِّين

"إحذروا أن يضلّكم أحد ! "فسوف يأتي كثير من الناس منتحلين اسمي، يقولون : "أنا هو المسيح، ويضلّون أناساً كثيرين" (متى 24/4 – 5)، هذه الأمور حدثت جزئياً : فإن سيمون الساحر ومينذر، وآخرون من قادة الهرطقات، قالوا بهذا، وسيتحدّثون هكذا في زماننا، وغيرهم سيتحدّثون بعدنا.

6 – علامات الحروب

العلامة الثانية : "وستسمعون بحروب وبأخبار حروب" (متى 24/6). أليست الحرب قائمة الآن بين الرومان والفُرس لأجل بلاد "ما بين النهرين"؟ ألا "تنهض أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وزلازل في أماكن شتى" ؟ (متى 24/7). كل هذا حدث. "وتكون ظهورات مخيفة في السماء، وعواصف عظيمة. "فاسهروا إذن لأنكم لا تعلمون في أي يوم يأتي ربنا" (متى 24/42).

7 – علامة فتور المحبة

ولكننا نبحث عن علامة لمجيئنا ؛ نحن رجال الكنيسة، نبحث عن علامة في الكنيسة، يقول المخلّص : "فيرتدّ عن الإيمان أناس كثيرون، ويسلّم بعضهم بعضاً، ويتباغضون" (متى 24/10).

عندما تسمع أن الانقسامات بين الأساقفة ورجال الأكليروس

والشعوب بلغت حتى الدّم، فلا تقلق، لأنه سبق وكُتب عن ذلك، لا تهتّم بما سيحدث بل بما كتب. حينئذ حتى إن هلكتُ أنا الذي يعلّمك، لا تهلك أنت أيضاً معي. إذ من المحتمل أن يصبح المستمع أفضل من معلّمه، والأخير أفضل من الأول (متى 20/16)، بما أن الرب يقبل أيضاً من يأتون في الساعة الحادية عشرة (متى 20/7). لقد وُجدت الخيانة بين الرسل، فلا تعجب أن تجد الكراهية بين الأساقفة، بين الأخوة. ولكن هذه العلامة لا تكون بين القادة فحسب، بل وبين الشعوب أيضاً ؛ إذ يقول الرب : "ويتفاقم الفِسق فتفتر المحبة في أكثر الناس" (متى 24/12). هل في استطاعة أحد الحاضرين هنا أن يفخر بصداقة خالصة نحو القريب ؟ في غالب الأحيان أليست الشفاه هي التي تقبّل، والوجه يبتسم، والعيون تضحك، بينما القلب يخدع ويعدّ الشر، وهو يتحدّث عن السلام؟

8 – علامة بشارة الملكوت في العالم

وإليك أيضاً هذه العلامة : "... وبشارة الملكوت هذه ستعلن في المعمور كلّه، لدى الأمم أجمعين، وحينئذ تأتي الآخرة" (متى 24/14). وها العالم كله، كما نرى، قد امتلأ تقريباً بتعاليم المسيح.

9 – علامة المسيح الدجال

وماذا يحدث بعد ذلك ؟ يتابع يسوع : "فاذا رأيتم أشنع الخراب

الذي تكلّم عنه النبي دانيال" (9/27 ؛ 11/31 ؛ 12/11)، "نازلاً في البيت المقدس (ليفهم القارئ) ... حينئذ إن قال لكم قائل : هوذا المسيح هنا وهناك فلا تصدّقوه" (متى 24/15 ،- 23). ان الكراهية بين الإخوة تمهّد السبيل للمسيح الدجّال. لأن الشيطان يبذر بذور الشقاق بين الشعوب ليحسنوا إستقباله عندما يأتي. لا يذهب الى العدّو أحد من الحاضرين هنا أو من خدّام المسيح المقيمين في مكان آخر. وفي هذا الصدد، أعطى الرسول علامةً واضحة، غذ كتب يقول : "لا يخدعنّكم أحد بشكل من الأشكال ؛ فلا بدّ قبل ذلك أن يكون ارتداد عن الدين وأن يظهروا أخو الإلحاد، ابن الهلاك، والخصم الذي يناصب كل ما يحمل اسم الله أو ما كان معبوداً حتى أنه يجلس في هيكل الله ويُظهر نفسه أنه إله. أما تذكرون أني لما كنت عندكم قلت لكم ذلك مراراً؟ وتعرفون الآن ما يعوقه عن الظهور غلاً في حينه. أن سرّ الإلحاد قد أخذ في العمل. فاذا أزيل العائق إنكشف الملحد، ذاك الذي يُبيده الرب بنَفَس من فمه ويمحقه بضياء مجيئه. ويكون مجيء الملحد بقدرة من الشيطان على جميع المعجزات والآيات والأعاجيب الكاذبة، وعلى جميع مَغَاوي الباطل للذين يسلكون سبيل الهلاك" (2 تسا 2/3 –- 10). هذه الأقوال من بولس. إن الارتداد عن الدين منتشر الآن، إذ أن هناك أناساً كثيرين قد ارتدّوا عن الإيمان القويم. فالبعض يعلّم أن الابن هو نفس الآب، والبعض الآخر يجسر فيقول أن المسيح خُلق من العدم. من قبل كان الهراطقة ظاهرين ؛ أما اليوم فالكنيسة ملأى بالهراطقة

المستترين ؛ إذ تخلى الناس عن الحق وصمّوا آذانهم (2 تيمو 4/3 ـ 5). إن كانت هنا عظة دوغماطية، فالجميع يستمعون عن طيبة خاطر، وان كانت أخلاقية، إصلاحية، فالجميع ينصرفون عنها. لقد ابتعد السواد الأعظم عن كلمات الحق، واختاروا الشرّ بدلاً من الخير.

هذا هو الإرتداد عن الدين. وفي غضون ذلك، يجب أن نستعّد للعدّو، فقد بدأ يبعث بعض رسله ليكون على استعداد لمطاردة الفريسة. فانتبه أنت وضع نفسك في أمان. فتناشدك الكنيسة الآن "بحضور الله الحي" (1 تيمو 6/13)، وتحدّثك أولاً عما يخصّ المسيح الكذّاب قبل أن يأتي. هل هو سيأتي في أيامك أو بعدك ؟ هذا ما لا نعرفه. على أنه الأفضل لك، وأنت على بيّنة، أن تكون على حذر.

10 – المسيح يأتي بغتة من السماء

إن المسيح الحق، ابن الله الوحيد، لم يعد يأتي من الأرض. إن جاء أحد في البراري يخدع الناس بالأعاجيب، فلا تخرج. "فإذا قال لكم قائل : هوذا المسيح هنا أو هناك، فلا تصدّقوه" (متى 24/23). لا تنتظر إلى أسفل نحو الأرض، لأنه من السماء يأتي الرب. ولن يأتي وحده كما فعل من قبل، بل سيأتي محاطاً بربوات من الملائكة. ولا بطريقة مستترة "كالمطر على الجزّة" (مز 71/6)، بل لامعاً كالبرق. ويقول هو نفسه : "وكما أن البرق يُومض من المشرق ويتألق في المغرب، فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان ... ويرى الناس ابن الإنسان آتياً على غمام

السماء، وله العزّة والجلال، ويرسل ملائكته بالبوق العظيم ..." (متى 24/27 ، 30 – 31).

المجيء الثاني تسبقه علامات كاذبة

ولكن كما أنه كان يجب من قبل أن يصبح إنساناً، وكان منتظراً أن يولد إله من عذراء، فقد هاجم الشيطان عملية الخلاص مختلقاً عن سوء نيّة قِصصاً عن آلهة كذبة تلد وتولد من نساء، كما هي الحال في الميتولوجية، لكيما بإذاعة الأكاذيب لا يصدّق الحق. وهكذا عند المجيء الثاني للمسيح الحق، يستغلّ العدّو فرصة إنتظار البسطاء، وخاصة الذين من أهل الختان، فيأتي برجل ساحر خبير في أعمال السحر والعرافة، يستولي لمصلحته على سلطة الإمبراطورية الرومانية، ويدّعي كِذباً بأنه المسيح. وتحت هذه التسمية يخدع اليهود الذين ينتظرون المسيح، ويُغوي الأمم بأضاليله السحرية.

12 – مُلك المسيح الدجّال ونهايته

سيأتي هذا المسيح الدجال المكتوب عنه، عند انتهاء أزمنة الإمبراطورية الرومانية، وظهور علامات نهاية العالم. سيقوم عشرة ملوك رومانيون معاً، في أماكن مختلفة، ويحكمون في زمن واحد.

وبعد هؤلاء يأتي الحادي عشر. وهو المسيح الدجّال. فيغتصب السلطة الرومانية بأعماله السحرية، ويذّل ثلاثة ممن حكموا قبله (دانيال 7/24) ويُخضع السبعة الآخرين لسلطانه. وبما أنه عالم وذكي، فسيتظاهر في البداية باللياقة والاعتدال والميل الى

الإحسان، وبعلاقات وأعاجيب سحرية كاذبة، يُخدع اليهود بادعائه أنه المسيح المنتظر. ثم تنسب إليه جميع أنواع الشرور بسبب وحشيته وجوره الذي يبلغ حداً يفوق معه جميع الظالمين والملحدين الذين سبقوه. تحدوه روح متعطشة للدماء، قاسية، لا تعرف سبيلاً الى الرحمة، مليئة بالخداع والمكر ضد الجميع، ولاسيما ضدنا نحن المسيحيين. وبعد اقترافه شتى الجرائم زهاء ثلاث سنوات وستة شهور، سيهلكه ابن الله الوحيد، ربنا يسوع المسيح، المسيح الحقّ، بنَفَس فمه، ويبطله بسنى مجيئه المجيد من السماء، ويلقيه في نار جهنم (2 تسا 2/8).

13 – الكتب المقدسة، لاسيما دانيال، تصف نهاية العالم

نعلّم هذه الأشياء لا لأننا اختلقناها، بل تلعّمناها في الكتب المقدسة التي تقرّها الكنيسة، وخاصة في نبوءة دانيال التي تليت عليكم من قليل، كما فسرّها رئيس الملائكة جبرائيل بهذه الكلمات : "ان الحيوان الرابع يكون مملكة رابعة على الأرض، تسيطر على جميع الممالك الأخرى" (دانيال 7/23). ويقول المفسّرون الكنسيون إنها المملكة الرومانية. لأن المملكة الأولى التي ذاع صيتها، هي مملكة الآشوريين. والثانية مملكة الميديين والفرس، والثالثة مملكة المقدونيين، والرابعة إمبراطورية الرومان الحالية. ثم استمّر الملاك جبرائيل في تفسيره قائلاً : "والقرون العشرة التي من هذه المملكة، هم عشرة ملوك يقومون، ويقوم بعدهم آخر يفوق في الشرّ كل من سبقه" (دانيال 7/24). انه لا يتحدّث عن

العشرة فقط، بل عن جميع الذين سبقوه. ويذّل ثلاثة ملوك من العشرة الباقين ؛ وإذا هو سيقهر ثلاثة، سيكون هو الثامن. وأضاف : "وينطق بأقوال ذد العلي" (دانيال 7/25). هذا المجدّف الأثيم لن يأخذ المالك عن آبائه، بل يغتصب القيادة بأعاجيب سحرية.

14 – المسيح الدجّال أداة الشيطان

من هو هذا؟ وبأي سلطان يعمل؟ فسرّ لنا يا بولس : "ويكون مجيء الملحد بقدرة من الشيطان على جميع المعجزات والآيات والأعاجيب الكاذبة" (2 تسا 2/9). يريد أن يقول بذلك إن الشيطان يستخدمه كأداة يعمل هو شخصياً بواسطته. لأنه يعلم أن دينونته لن تتأخر. ولذلك فهو لن يحارب بواسطة خدّامه، بل بنفسه وعلانية "مستخدماً آيات وأعاجيب كاذبة". لأن أبا الكذب يعمل أعمال الكذب ليوهم الجماهير بأنها ترى الميت يقوم من الموت، بينما لم يقم، والعرج يمشون والعمي يبصرون، بينما لم يحدث هناك أي شفاء.

15 – المسيح الدجّال ضد الهيكل

ويقول بولس أيضاً : "يناصب كل ما يحمل اسم الله أو ما كان معبوداً (ان المسيح الدجّال يكره الأصنام بدون شك) "وحتى أنه يجلس في هيكل الله ويظهر نفسه أنه إله" (2 تسا 2/4). أي هيكل هذا؟ هيكل اليهود الذي دمرّ. حاشا لله أن يُقصد الهيكل الذي نحن فيه ! ولِمَ نحن نقول ذلك ؟ حتى لا تبدو أننا نستسلم

لهم. لأنه إذا جاء اليهود كمسيح، فذلك لأنه يريد أن يعبده اليهود لكي يخدعهم. كما أنه سيبدي إهتماماً كبيراً بالهيكل ليحمل على الاعتقاد بأنه هو ذاته من نسل داود، وإن عليه أن يجدّد الهيكل الذي شيدّه سليمان. سيأتي المسيح الدجّال عندما لا يترك في الهيكل حجر على حجر، حسب قول المخلّص (متى 24/2). فعندما تُنقض جميع الأحجار – أني لا أقول أحجار السور الخارجي، إنما أحجار داخل الهيكل حيث الكروبيم – سواء لإنهيارها من القدم أو لتدميرها بحجة استرجاع بنائها، أو لأي سبب آخر، عندئذٍ يأتي المسيح الدجّال "بآيات وأعاجيب كاذبة". فيثور على الأصنام كلها، متظاهراً بادئ الأمر بالرحمة. ثم لا يلبث أن يظهر وحشية عظيمة، لا سيما ضد قدّيسي الله. إذ يقول دانيال : "كنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين" (دانيال 7/21). إنه لحيوان مرعب، وتنين هائل لا يُهزمه إنسان، مستعّد للإفتراس. ولدينا ما نقوله عنه الشيء الكثير، بناء على مختلف الكتب المقدسة، بل نكتفي لما قلناه لكي نظلّ في حدودنا.

16 – مدّة حكم المسيح الدجّال

وإذ يعلم الرب قوّة العدو، فقد منح عذراً للأبرار بقوله : "فليهرب الى الجبال من كان يومئذ في اليهودية" (متى 24/16).

ومن كان يثق بقوّته العظيمة لمقاومة الشيطان، فليبقَ، (لأني لا أيأس من قوى الكنيسة) وليقل : "من يفصلنا عن محبة المسيح ..."؟ (رومه 8/35). ولكن اذا كنا نخاف، فلنجد لنا مكاناً أميناً ؛

وإذا كنا واثقين من أنفسنا، فلنصمد، لأنه "ستنزل إذ ذاك نازلة لم يحدث مثلها منذ إنشاء الكون الى اليوم، ولن يحدث" (متى 24/21). ولكن لنشكر الله الذي حدّ من عظمة الكارثة باقتصارها على أيام قليلة إذ قال : "ولكن من أجل المختارين ستقّصر تلك الأيام" (متى 24/22). سيحكم الرجال ثلاث سنين ونص السنة. إننا لا نقول ذلك نقلاً عن الكتب المنحولة، بل على ما جاء في سفر دانيال حيث يقول : "وسيدفعون الى يده الى زمان وزمانين ونصف زمان" (دانيال 7/25). والزمان هو السنة التي يتوطد خلالها مجيئه، والزمانان هما السنتان الأخريان لجوره، فيصبح المجموع ثلاث سنوات. أما نصف الزمان فهو الستة شهور. وفي موضع آخر يقول دانيال نفس الشيء : "وحلف بالحيّ الى الأبد أنه الى زمان وزمانين ونصف زمان" (دانيال 12/7).

ولعلّ البعض فسرّوا ذلك بما يلي : "سينقضي ألف ومئتان وتسعون يوماً" ، و "طوبى لمن ينتظر ويبلغ الى ألف وثلاثمئة وخمسة وثلاثين يوماً" (دانيال 12/11 – 12) ؛ لذلك يجب أن نختبئ ونهرب، لعلّنا "لن نَنهو التجوال في مدن اسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان" (متى 10/23).

17 – ثواب شهداء الأزمنة الأخيرة

فمن يكون السعيد الذي سيشهد للمسيح بتقوى في ذلك الوقت؟ لأني أقول إن شهداء ذلك الوقت سيفوقون جميع الشهداء. إذ أن هؤلاء لم يكافحوا إلا بشراً، أما أولئك فسيكافحون المسيح الدجال

الشـيطان الـدجال، الشـيطان بعينـه. إن الأبـاطرة المضـطهدين السالفين كانوا يقتلون فقط، ولكنهم لم يتظـاهروا بإقامـة المـوتى، ولم يُظهروا علامات وأعاجيب. أمـا في ذلـك الـوقت، فستسـتخدم وسائل التهديد والخداع "حـتى لـو اسـتطاعوا لأضـلّوا المختـارين أنفسهم" (متى 24/24). فلا تطرأ على ذهن أحـد ممن سـيكونون في ذلك الـوقت (مثـل هـذه الفكـرة) : مـاذا فعـل المسـيح أكـثر من ذلك؟ بأية قوة يفعـل هـذا مثـل هـذه الأعمـال؟ إن لم تكن هي إرادة الله لَمَا سمح له بذلك ! إن الرسول يقوّيك ويحـذّرك مقدَّما بقولـه : "لذلك يرسل الله إليهم ما يعمل على ضلالهم" – ولكمـة "يرسـل" هذه وُضـعت بمعـنى "يسـمح بـأن يحـدث – "لا ليـبرّروا بـل لكي يدانوا... ولماذا؟ "ليـدين جميـع الـذين أبـوا أن يؤمنـوا بـالحق (أي المسيح الحق) "ورغبوا في الباطل (أي المسيح الدجّال)" (2 تسـا 2/11 – 12). يسمح الله بذلك في زمن الاضطهاد، لا لأنه عاجز عن منعه، ولكن لأنه يريد، بطولِ أناته، كما هي عادتـه، أن يكلّـل أبطاله كما فعل مع أنبيائه ورسله ؛ لكيما يرثوا. بعـد وقت وجـيز من العـذاب، ملكـوتَ السـماوات. كمـا يقـول دانيـال : "في ذلـك الزمان ينجو شعبك، كل من يوجد مكتوباً في الكتاب (كتاب الحياة طبعـاً)، وكثـيرون من الراقـدين في تـراب الأرض، يسـتيقظون، بعضهم للحياة الأبدية، وبعضهم للعـار والـرذل الأبـدي، ويضـيء العقلاء كضياء الجَلَـد، والـذين جعلـوا كثـيرين أبـراراً، كـالكواكب الى الدهر والأبد" (دانيال 12/1 – 3).

18 – لنقف على أُهبة الاستعداد

إحترس إذن يا إنسان ؛ لديك علامات المسيح الدجّال، فلا تذكرها لنفسك فقط، بل أخبر بها الآخرين كذلك. وإن كان لديك ولد بحسب الجسد، فلقّنه هذه الأمور. وإن كنت وَلدت أحداً بحسب الإيمان، فحذّره كذلك، لكي لا يقبل الكذب على أساس أنه الحق. "لأن سرّ الإثم أخذ في العمل" (2 تسا 2/7).

الحروب بين الأمم تخيفني : الانقسامات بين الكنائس تخيفني، والكراهية بين الإخوة تخيفني. لابدّ من توعيتكم، ولكن معاذ الله أن تحدث في أيامنا، فالأجدر بنا أن نحترس. وما قلنا عن المسيح الدجّال فيه الكفاية.

19 – الظروف المحيطة بعودة الرب

لنتطلّع ونترّقب مجيء الرب من السماء على سحابة. عندئذٍ تدوي أصوات الأبواق الملائكية : "فيقوم أولاً الذين ماتوا في المسيح، "ثم نُرفع معهم في الغمام نحن الأحياء الباقين". (1 تسا 4/16 – 17)، لينالوا مقابل جهادهم الذي يفوق القوى الطبيعية كرامةً أفضل من الكرامة البشرية، كما يقول بولس الرسول في رسائله : "إن الرب نفسه، عند الصيحة وصوت رئيس الملائكة والنفخ في بوق الله، سينزل من السماء، فيقوم أولاً الذين ماتوا في المسيح، ثم نُرفع معهم في الغمام نحن الأحياء الباقين، لملاقاة المسيح في الجوّ، فنكون مع الرب دائماً أبداً" (1 تسا 4/16 – 17).

20 – سِفر الجامعة يحذّر من تفسير الأيام العسيرة

وقد رأى سفر الجامعة مجيء الرب ومنتهى العالم، فقال : "إفرح أيها الشاب في صبائك، وليطب قلبك في أيام شبابك ؛ واقصِ الغمّ عن قلبك وباعد السوء عن جسدك ؛ وأذكر خالقك قبل أن تأتي أيام السوء، قبل أن تُظلم الشمس والنور والقمر والكواكب ... وتظلم النواظر من الكوى (يقصد بذلك قوة بصرنا)، وقبل أن يُحلّ حبل الفضة (يعني بذلك تشابك النجوم، إذ يشبه منظرها الفضة)، وتنسحق زهرة الذهب (يعني الشمس التي تشبه الذهب، لأن نبات البابونج المعروف، له أوراق كثيرة مثل الأشعة تخرج منه وتحيط به)، ويقوم الإنسان عند صوت العصفور، ويرى من العلّو ويتخوّف في الطريق" (الجامعة 11/9 – 12/6). وماذا يرى؟_ "يَرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء" (متى 24/30)، "وتنوح الأرض كل عشيرة على حدتها" (زكريا 12/11). وماذا يحدث عند مجيء ابن الإنسان؟ "يزهر اللوز ويضخم الجراد وينشقّ قشر الأصف" (الجامعة 12/5). وكما يقول المفسّرون : اللوزة المزدهرة تدّل على رحيل الشتاء (أي أن أجسادنا يتزدهر بعد الشتاء بزهرة سماوية ويضخم الجراد (أي أن الروح المجنّحة تلبس الجسد)، وينشقّ قشر الأصف (ومعنى ذلك أن الأئمة الذين هم أشبه بالشوك، سيتبدّدون).

21 – مجيء الرب من خلال الكتاب المقدس

هل ترى كيف تنبأ الجميع بمجيء الرب؟ هل ترى كيف يعرفون صوت العصفور؟ أيّ صوت هذا؟ لنرى : "الرب نفسه، عند الصيحة ورئيس الملائكة والنفخ في بوق الله، سينزل من السماء"

(1 تسا 4/16) ؛ سيعلن رئيس الملائكة ويقول للجميع : "استيقظوا، اخرجوا للقاء الرب!" (متى 25/6). رهيب هو مجيء السيّد. يقول داود : "إلهنا يأتي ولا يصمت. قدّامه نار تأكل، وحوله عاصفة شديدة" (مز 49/3). تقول القراءة التي تُليت عليكم : "يأتي ابن الإنسان على سحاب السماء ويدنو من الآب ؛ ويجري من جواره نهر من نار لاختبار أعمال البشر ؛ فإن وُجدت أعمال أحد ذهباً لمع، وإن كانت قشاً التهمتها النار. ويجلس الآب مرتدياً لباساً أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي" (دانيال 7/9). لقد صيغ هذا بقالب بشري. لماذا؟ لأنه يملك على الذين لم تلوّثهم الخطيئة، إذ يقول : "سأجعل خطاياكم بيضاء كالثلج والصوف" (أشعيا 1/18)، وهو الدلالة على مغفرة الخطايا أو البراءة. إن الربّ الذي صعد على السحاب سيأتي على السحاب.

لأنه هو نفسه سبق وقال : "ويرى الناس ابن الإنسان آتياً على غمام السماء وله العزّة والجلال" (متى 24/30).

22 – علامة الصليب في السماء دليل على مجيء الرب

ولكن ما هي علامة مجيئه التي لا تستطيع أيّة قوّة أن تقلدّها؟ يقول الرب : "وتظهر عندئذٍ في السماء آية ابن الإنسان" (متى

24/30) ؛ وعلامة المسيح الحقيقية الخاصّة به هي الصليب.

علامة الصليب الوضّاءة تسبق الملك، لكي تظهر الذي صُلب، بحيث اذا ما رآها اليهود الذين طعنوه وتآمروا عليه، ينوحون عشيرة إثر عشيرة بقولهم : هذا الذي ضرب بالقصبة، هذا الذي بصقنا في وجهه، هذا الذي أوثقناه بالسلاسل واحتقرناه بعد أن صلبناه. إلى أين نهرب من وجه غضبه؟ ان الجيوش الملائكية ترابط حولهم، فمن أنّى لهم الفرار؟ علامة الصليب رهيبة لأعدائه وفرح لأصدقائه الذين آمنوا به وبشّروا به، وتألّموا لأجله. فكم يكون سعيداً ذلك الذي يوجد صديقاً للمسيح ! إن الملك الممجّد الذي تحفّ به الملائكة، والجالس مع الآب، لن يحتقر خدّامه الأخصّاء. ولكي لا يختلط المختارون مع الأعداء : "ويرسل ملائكته بالبوق العظيم ليجمعوا مختاريه من جهات الرياح الأربع" (متى 24/31). إنه لم يتخلَّ عن لوط الذي كان وحيداً، فكيف يتخلّى عن أبرار كثيرين ؟ أنه سيقول للذين يجمعهم الملائكة في مركبات السحاب : "تعالوا يا مباركي أبي" (متى 25/34).

23 – الخوف من نسيان الرب

ولكن قد يقول أحد الحاضرين : "أنا مسكين، أو لربما أكون عندئذٍ مريضاً على فراشي ؛ أو أنا امرأة قد أكون عندئذٍ أطحن الحبوب، فهل نُزدرى؟". ثق أيها الإنسان، إن الديان لا يستثني أحداً : "لا

يحكم بحسب الظاهر ولا بحسب سمع أذنيه" (أشعيا 11/3) إنه لن يفضّل العلماءَ على البسطاء، والأغنياءَ على الفقراء.

وحتى إذا كنت في الحقل ستأخذك الملائكة. لا تظن أنه سيأخذ الملاّك ويتركك أنت الفلاّح. وحتى اذا كنت عبداً أو فقيراً، فلا تقلّق. هذا الذي أخذ صورة عبد (فيلبي 2/7) لن يحتقر العبيد.

وحتى اذا كنت مريضاً طريح الفراش، إذ قد كتب : "يكون إثنان على فراش واحد فيؤخذ الواحد ويترك الآخر" (لو 17/34).

وحتى إذا كنت مشغولاً في الطاحون بدافع الضرورة، سواء كنت رجلاً أن امرأة، وحتى إذا كان لديك أولاد وتكون جالساً تطحن، فهو لن يهملك. "هو الذي يطلق سراح الأسرى بقوته" (مز 67/7)، والذي قاد يوسف من العبودية والسجن إلى المُلك ينقذك من الضيق وينتقل بك إلى ملكوت السماوات. المهم أن تثق وتعمل وتكافح بشجاعة. لأنه لن يضيع شيء. فكل صلواتك وترانيمك، وكل إحسان وصوم، وزواج مصون، وكبح شهوات النفس لأجل الله، هي مسجّلة عنده. البتولية والاستقامة تحظيان بالأكاليل الأولى من بين الأشياء المسجّلة، فتضيء كالملاك. وكما أنك إستمعت بغبطة الى هذه الأشياء الجميلة، فاستمع كذلك الى عكسها : كل طمع يسجّل عليك وكل زنى وقَسَم كاذب، وتجديف وشعوذة، وسرقة وقتل. كل هذه الأشياء تسجّل عليك إن كنت ترتكبها بعد العماد، لأن التي سبقته قد إمّحت.

24 – حضور العدد العديد من الملائكة

يقول الـرب : "مـتى جـاء ابن الإنسـان وجميـع ملائكتـه معـه ..." (متى 25/31). فأنظر أيها الإنسان أمام كم ستُدان : الجنس

البشري بأسره سيكون حاضـراً في ذلـك الـوقت. تصـوّركم يبلـغ عدد الأمّة الرومانية، والأمم البربرية التي تعيش اليـوم، وكم عـدد الذين ماتوا منذ مئة سنة ؛ وفكّـر في الـذين دُفنـوا منـذ ألـف سـنة، والذين عاشوا منذ آدم حتى اليوم؟ إن عددهم أعظيم، ومع ذلك انـه ضئيل، لأن الملائكة أكـثر عـدداً. إنهم يؤلفـون التسـعة والتسـعين خروفاً، والبشرية هي الخروف البـاقي (مـتى 18/12 ؛ لـو 15/3 – 7 ؛ حز 34/1)، لأنه يجب التفكير في عدد السكان بحجم جميع الأمـاكن. الأرض المسـكونة أشـبه بنقطـة في وسـط السـماء، والسماء التي تحيطهـا تحـوي عـدد يتناسـب وإتسـاعها، وسـموات السماوات فيها عدد يفوق الخيال، إذ هـو مكتـوب : "ألـوف ألـوف تخدمـه، وربـوات وقـوف قدّامـه" (دانيـال 7/10). لا لأن هـذا عددهم، ولكن لأنـه لم يكن في اسـتطاعة النـبيّ أن يقـول أكـثر من ذلك. هكـذا سـيكون حاضـراً في يـوم الدينونـة : اللهُ أبـو الجميـع، ويسوعُ المسيح جالساً معه، والروح القدس. وسيجمعنا كلّنا البوُق الملائكي ومعنـا أعمالنـا. ألا يجب علينـا أن نخشـى من الآن؟ لا تظن، أيهـا الإنسـان، أنـه عقـاب بسـيط، حـتى بغضّ النظـر عن العقاب الأبدي، أن تجري الدينونة أمام مثل هـذا العـدد الغفـير من الشهود؟ أما نفضّل غالباً أن نموت على أن يديننا أصدقاؤنا؟

25 – لا يمكن خدع الدّيان العادل

فلنخشَ إذن، أيها الإخـوة، خوفـاً من أن يـديننا الله، هـو الـذي ليس بحاجة إلى تحقيقات ولا الى أدّلة. لا تقل : لقد ارتكبت الفسق

وقمت بأعمـال السـحر أو أي عمـل آخـر، بـدون أن يكـون أحـد حاضراً. إن ضمائركم تدينكم وأفكاركم تشكو أو تحتّجّ فيمـا بينهـا يوم يدين الله سرائر الناس" (رومه 2/15 – 16). إن وجه الديان الرهيب سيجبرك على قـول الحـق. وحـتى اذا لم تقـل شـيئاً فهـو سيفحمك. إنـه سـيحي وينشـر خطايـاك أو أعمالـك الصـالحة. إذ الدّيان صـرّح بـذلك (لأن المسـيح هـو الـذي يـدين) : "إن الآب لا يدين أحداً، بل جعل القضاء كلّه للإبن" (يو 5/22)، لا لأنه تجـرّد من سـلطانه، ولكن لأنـه يـدين بواسـطة الابن. فـالإبن يـدين إذن بإرادة الآب. لأن إرادة الآب والابن واحدة. مـاذا سـيقول الـديان عن أعمالك؟ هل يجب أن نتحمّل مسؤوليتها أم لا؟ "وتحشـر لديـه جميع الأمم" (متى 25/32)، "كيما تجثـو لإسم يسـوع كـل ركبـة في السـماء وفي الأرض وفي الجحيم". (فيلـبي 2/10)، "فيفصـل بعضهم عن بعض، كما يفصل الراعي النعاج عن الكباش" (مـتى 25/32). كيف يفصل الراعي؟ هـل هـو يسـتعين بكتـاب ليعـرف النعجـة من الكبش؟ أو هـل هـو يحكم بحسـب الظـاهر؟ أليس هـو الصوف الذي يظهر النعجة، والجلـد الخشـن الـذي يظهـر الكبش؟ وهكـذا أنت، إذا تطهّـرت من خطايـاك، فسـتكون أعمالـك بمثابـة الصـوف النقي، ويظـلّ ثوبـك بلا دنس، وتـردد الى الأبـد : "قـد نزعت قميصي فكيف ألبسـه؟" (نشـيد 5/3). أنت تعـرف النعجـة من جلدها، فإذا وجدتها مشعرة – مثل عيسـو الـذي كـان لـه شـعر

كثيف وعقل شرِّير، وباع حق بكريته مقابل طعام، وفَقَد كرامته – فضعها إلى يسارك. لا سمح الله أن يفقد النعمة أحدُ الحاضرين

هنا أو أن يوجد، بسبب أعماله الشريرة، بين صفوف الخطأة الى اليسار.

26 – ما جاء في الإنجيل عن الدينونة

إن الدينونة لَرهيبة فعلاً، والخوف مما سيُعلن : فإما ملكوت السماوات المقترح، وإما النار الأبدية المعدّة. قد يقول قائل : ما السبيل إذن للنجاة من النار ودخول الملكوت؟ فيجيب الرب : "لقد جعت فأطعمتموني..." (متى 25/35). تعلّم الطريق ؛ لا حاجة الآن لاستعمال الاستعارة في الكلام، بل القيام بما هو مكتوب : "جعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني وكنت غريباً فآويتموني، وعرياناً فكسوتموني، ومريضاً فعدتموني، وسجيناً فزرتموني" (متى 25/35 – 36). إن فعلت ذلك فستملك معه، وإلاّ فستدان. فابدأ إذن بالعمل من الآن، ودوام على الإيمان. وعليك ألاّ تذهب لشراء الزيت كالعذارى الجاهلات، وإلاّ أُلقيت خارجاً (متى 25/10 – 11). لا تكتفِ بأنك تحمل المصباح، بل احتفظ به مشتعِلاً، وليضيء نور أعمالك للناس (متى 5/16). ولا تجعل إسم المسيح يجدِّف عليه بسببك (رومه 2/24). إلبس ثوب عدم الفساد (1 كور 15/53)، وتميّز بأعمالك الصالحة (1 تيمو 2/10) والوزنة التي تلقيتها من العناية الإلهية استثمرها

بفائدة (متى 25/27 ؛ لو 19/23). وإذا اؤتمنت على مال فأحسن إدارته ؛ وان كلّفت بكلمة تعليم فوزّعها بإحكام (2 تيمو 2/15). اذا استطعت أن تكسب نفوس المستمعين فلا تتأخر. كثيرة هي

أبواب أعمال البّر. والمهم ألاّ يدان أحد منا ويُطرد خارجاً، حتى يتسنى لنا أن نقترب بثقة من المسيح الملك الأزلي الذي يملك أبد الدهور. لأنه يملك أبد الدهور هذا الذي يدين الأحياء والأموات، والذي ذُبح لأجل الأحياء والأموات.

وكما يقول بولس : "قد مات المسيح ودعا الى الحياة ليكون ربَّ الأموات والأحياء"ـ (رومه 14/9).

27 – بدعة جديدة عن انتهاء مُلك المسيح

اذا سمعت أحياناً أحداً يقول إن ملكوت المسيح له نهاية فابغض هذه الهراطقة ؛ إنها رأس التنين الذي ظهر أخيراً في غلاطية. فقد تجرّأ أحد على القول بأن المسيح لن يملك بعد نهاية العالم. كما تجرّأ وقال إن الكلمة الذي خرج من الآب، بعدما يعود الى الآب، لن يكون، مجدًّفا بذلك عليه. إذ لم يسمع الربَ يقول : "الابن يُقيم للأبد" (يو 8/35)، ولم يسمع جبرائيل يقول : "ويملك على بيت يعقوب أبد الدهور، ولن يكون لملكه انقضاء" (لو 1/33). تأمّل جيداً ما قيل : رجال هراطقة ينشرون الآن تعاليم ضد المسيح، في حين أن جبرائيل رئيس الملائكة كان قد علّم أزلية المخلّص. فمن يجب تصديقه؟ أليس جبرائيل؟ إسمع الآن

شهادة دانيال : "ورأيت في رؤى الليل، فإذا بمثل ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء، فبلغ الى القديم الأيام وقرّب أمامه ؛ وأوتى سلطاناً ومجداً ومُلكاً. فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه وسلطانه سلطان أبدي، وملكه لا ينقرض" (دانيال 7/13 – 14).

فالأحرى بك أن تتمسّك بهذه الأقوال وتؤمن بها، وأن تطرح عنك عقائد الهراطقة، لأنه سمعت بكل وضوح أن مُلك المسيح لا نهاية له.

28 – الكتاب المقدس يعلن أبدية ملكوت المسيح

لديك شهادة أخرى في تفسير الحجر الذي انقطع من الجبل لا باليدين (دانيال 2/34). إنه المسيح بحسب الجسد "ومُلكه لا يترك لشعب آخر" (دانيال 2/44). ويقول داود كذلك : "عرشك يا الله الى الأبد" (مز 45/7) ؛ وفي موضع آخر : "في البدء أسسّت الأرض، والسماوات هي صنع يديك، هي تزول وأنت تبقى ... وأنت أنت وسنوك لن تفنى" (مز 101/26 – 28). ينسب بولس هذه الآيات الى الابن في رسالته الى العبرانيين (1/8 – 10).

29 – نشأة البدعة الجديدة

هل تريد أن تعرف كيف بلغ هذا الحدّ من الجنون هؤلاء الذين يعلّمون العكس ؟ إنهم لن يحسنوا قراءة ما قاله الرسول : "فلا بدّ

لـه أن يملـك، حـتى يضـع جميـع أعدائـه تحت قدميـه" (1 كـور 15/25)، إذ هم يقولون : انه لن يعود يملك بعد أن يصبح اعـداؤه تحت قدميه. إنـه لمن الخطـأ والحماقـة بمكـان أن يقـال ذلـك، لأن الذي كان يملك قبل أن يقاتل اعداءه، كيـف لا يعـود يملـك بعـد أن يُخضعهم؟

30 – ادّعاء الهراطقة باضمحلال الابن في الآب

وقد ذهبت بهم الجرأة الى القول بأن هذه الآية : "ومتى أخضع لـه كل شيء، فحينئذ الابن نفسه لذاك الذي أخضع لـه كـل شـيء" (1 كور 15/28)، تعني أن الابن سيضمحلّ في الآب ! وهكذا تبقـون أنتم، يا خلائق المسيح، يـا أشـدّ النـاس كفراً، والمسيح الـذي بـه خلقتم، وبه صنعت كل المخلوقات، يزول؟ هذا الكلام تجـديف. إذ كيف "يخضع له كل شيء"، الأشـياء الـتي تـزول والأشـياء الـتي تبقى ! وهكـذا الاشـياء الـتي تخضـع للابن تبقى، والابنُ الـذي أخضـعها للآب يـزول؟ انـه سيخضـع للآب لا بمعـنى أنـه سـيبدأ عنندئذ بالخضوع – لأنه "يعمل أبداً ما يرضي الآب" (يو 8/29) – ولكن بمعنى أنه سيطيع لا طاعة "جبرية" بل طاعة "إختياريـة حرّة"، لأنـه ليس عبـداً ليُكـره على الطاعـة، بـل ابنـاً يُطيـع بفعـل حرّية وحب.

31 – دحض هذه البدعة من الكتاب المقدس

ولكن فلنسألهم : مـا معـنى "حـتى"؟ لأني سأناقضـهم وأظهـر لهم خطأهم. بما أنهم تجرأوا على القـول "حـتى يضـع جميـع أعدائـه

تحت قدميه" تعني نهايته ؛ كما أنهم تجرأوا على تحديد ملكوت المسيح الأبدي، وإبطال كرامة لا تبطل. فلنقرأ العبارات المماثلة في كتابات الرسول : "فقد ساد الموت من عهد آدم حتى عهد موسى" (رومه 5/14). هل يعني ذلك أن الناس كانوا يموتون قبل ذلك، ولكن بعد موسى لم يمت أحد البتة؟ أو هل لم يكن موت

بعد موسى؟– أنت ترى إذن أن كلمة "حتى" لا تضع حداً للزمن. بل بالعكس أراد بولس أن يظهر أنه على الرغم من أن موسى كان رجلاً بارًّا وجليلاً، فإن حكم الموت الذي صدر بحق آدم، كان يتناوله هو ونسله. ذلك وإن لم يخطئوا جميعاً مثل آدم عندما أكل من شجرة الحياة، مخالفاً بذلك أمر الله.

32 – (تابع)

وإليك أيضاً جملة أخرى مماثلة : "فإن ذلك القناع لا يزال حتى اليوم غير مكشوف عندما يُقرأ العهد القديم" (2 كور 3/14). هل عبارة "حتى اليوم" تعني الى أيام بولس فقط؟ ألا تعني الى يومنا والى النهاية ! اذا كان بولس يقول للكورنثيين : "فقد بلغنا إليكم حقاً ومعنا بشارة المسيح ... ونرجو إذا إزداد إيمانكم ... أن نحمل البشارة الى أبعد منكم" (2 كور 10/14 – 16)، أترى بوضوح أن كلمة "بلغنا إليكم" ليست النهاية، بل هي مرحلة من كرازة بولس ! فكيف إذن يجب أن تفهم عبارة "حتى يضع جميع أعدائه تحت قدميه"؟ بالكيفية نفسها التي يقول بها بولس في موضع

آخر : "ليشدّد بعضكم بعضاً كل يوم، ما دام لكم هذا اليوم" (عبر 3/13) أي باستمرار. وكما أنه لا يمكن القول بأن المسيح له بداية أيام (عبر 7/3)، كذلك لا يمكن القول بأنّ له نهاية مُلك، لأنه مكتوب : "مُلكه ملك أبدي" (دانيال 3/100).

33 – إختيار الحقيقة والإلتزام بها

ولديّ شهادات كثيرة مستخرجة من الكتب المقدسة، عن ملكوت المسيح الأبدي، الذي لا ينتهي أبداً. ولكني أكتفي بما قلت، لأن النهار قد مضى. أما أنت أيها السامع، فاعبد فقط هذا الملك، واهرب من خلال الهراطقة. وإذا سمحت نعمة الله، فإن عقائد الإيمان ستفسّر لك في حينه. فليحفظكم إله الكون. تذكّروا علامات النهاية، غير مباليين بالمسيح الدجال. لقد عرفت علامات الضلال الذي سينتشر، وتلقّنت الأدلّة على المجيء الأكيد للمسيح الحق من السماوات، فاهرب من كل ما هو كاذب، وانتظر الحق. لقد أرشدتَ الى الطريق الذي سيؤدّي بك الى اليمين في يوم الدين.

فاحفظ الوديعة التي للمسيح (1 تيمو 6/20) وتحلّ بأعمال البّر، لكي تقف بكل ثقة أمام الديّان وترث ملكوت السماوات. فبالمسيح ومعه، ليكن التمجيد للآب مع الروح القدس أبد الدهور. آمين.

العظة السادسة عشرة

" ... وبالروح القدس، المعزّي، الناطق في الأنبياء"

"أما المواهب الروحية، أيها الأخوة، فلا أريد أن تجهلوا
أمرها ... ولذلك أقول لكم : ما من أحد اذا تلكّم بإلهام
من روح الله، يقول : ملعون يسوع، ولا يستطيع أحد أن
يقول : يسوع ربّ، إلاّ بإلهام من الروح القدس".

(1 كور 12/1 – 4)

1 – التحدّث عن الروح القدس محفوف بالأخطار

نحن بحاجة إلى النعمة الروحية للتحدث عن الروح القدس، لا لكي نتكلّم عنه بجدارة، فهذا مستحيل، بل لكي يتسنّى لنا، بدون خطر، أن نقول ما يتضّح من الكتب الإلهية. في الواقع ان ما جاء في الإنجيل في هذا الصدد لمخيف جداً، عندما قال المسيح بوضوح : "أما من قال كلمة على الروح القدس فلن يُغفر له، لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة" (متى 12/32). ومما يخشى غالباً هو أن يقول أحد عنه ما لا يجب أن يقول، عن جهل أو بتقوى غير نيّرة، فيقه بذلك تحت طائلة هذا الحكم. لقد صرّح ديّان الأحياء والأموات، يسوع المسيح، بأنه لا غفران له ؛ فأي رجاء إذن يكون لمن يسقط؟

2 – التمسّك بالكتاب المقدس

فمن الضروريّ إذن أن يمنحنا يسوع المسيح نعمته، لنا نحن للتحدّث بدون خوف من الخطأ، ولكم أنتم للسماع بفهم. لأن الفهم ضروريّ ليس فقط للوعّاظ، بل للمستمعين أيضاً ؛ لئلا يسمعوا شيئاً ويفهمونه شيئاً آخر في ذهنهم. فلا نقل إذن عن الروح القدس إلاّ ما كتب، أما ما لم يُكتب فلا شأن لنا به. إن الروح القدس نفسه هو الذي تكلّم في الكتب، وهو الذي قال عن نفسه ما أراد، أو ما نستطيع نحن أن نفهمه. فلنقل إذن ما قاله. أما ما لم يقله، فلا نتجاسر التحدث عنه.

3 – واحد هو الروح القدس

واحد هو الروح القدس المعزّي، كما أن الله الآب واحد وليس هناك أب آخر ؛ كما أن الابن الوحيد واحد، كلمة الله، وليس له أخ ؛ كذلك الروح القدس واحد، وليس هناك روح قدس آخر مساوٍ له

في الكرامة ؛ فالروح القدس هو كليّ القدرة، ذاتٌ إلهية فائقة الإدراك. هو حيّ وذاتٌ روحية، يقدّس كل الأشياء التي خلقها الله في المسيح. هو الذي ينير نفوس الأبرار ؛ هو الذي تكلّم في الأنبياء والرسل في العهد الجديد. فلنمقت الذين يجرأون على نقسيم نشاط الروح القدس. إله واحد الآب سيُّد العهدّين القديم والجديد ؛ وربّ واحد، يسوع المسيح، الذي تنبأ عنه العهد القديم، وظهر في العهد الجديد ؛ وروح واحد قدوس، بشّر بواسطة

الأنبياء ما يخصّ المسيح. ولما جاء المسيح نزل عليه وأعلنه (متى 3/16).

4 – هذه الكنيسة هي أفضل مكان للتحدث عن الروح القدس

فلا يفصلنّ أحد إذن العهد القديم عن العهد الجديد. ولا يقل أحد : الروح هو غير الروح في العهد الجديد، لأنه يهين الروح القدس نفسه المكرَّم مع الآب والابن، والمسمّى معهما في الثالوث الأقدس عند العماد المقدس. فقد قال ابن الله الوحيد للرسل بوضوح : "إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدّوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى 28/19). رجاؤنا هو في الآب والابن والروح القدس. إننا لا نبشّر ثلاثة آلهة. فليسكت إذن اتباع مرقيون. ولكننا نبشّر بإله واحد مع الروح القدس بالابن الوحيد.

الإيمان لا يتجزّأ والتقوى لا تقسّم. إننا لا نفصل الثالوث الأقدس، كما يفعل البعض، ولا نجعل منه خليطاً غانمضاً مثل سابيليوس.

ولكننا نعترف بتقوى بآب واحد أرسل إلينا ابنه كمخلّص. ونعترف بابن واحد وعد بإرسال المعزّي من لدن الآب (يو 15/26).

هنا في القدس، في كنيسة الرسل العليا. لأنه عندنا توجد الإمتيازات الفائقة على الجميع. فهنا نزل المسيح من السماء، وهنا نزل الروح القدس من السماء. وكما أن ما يخصّ المسيح والجلجلة نقول على هذه الجلجلة، فمن اللائق أن نقول في الكنيسة

العليا ما يخصّ الروح القدس. ولكن بما أن الذي نزل هناك يشترك في مجد الذي صُلب هنا، فإننا نتحدّث هنا عن الذي نزل هناك، لأن التقوى لا تتجزّأ.

5 – عرض البدع ضد الروح القدس

نودّ على الأقل أن نقول شيئاً بخصوص الروح القدس، لا لكي نوضح جوهره اذ هو مستحيل، بل لنبسط مختلف أضاليل الذين تكلّموا عنه، حتى لا ننساق وراءهم من جرّاء جهلنا ؛ ولكي نسدّ طرق الضلال ونسير في الطريق الملكي الأوحد. وإذا كنا من باب الحرص نعطي تفسيرات للبدع، فلترتدّ أقوالهم الى نحورهم. إننا أبرياء، نحن الذين نتكلّم، وأنتم الذين يسمعون.

6 – سيمون الساحر، الغنوسطيون، الفالنتينيون، ماني

في الواقع أن الهراطقة كفرة من كل الوجوه. لقد سنّوا ألسنتهم حتى ضد الروح المقدس، وتجرّأوا على قول أشياء غير جائزة، كما نوّه بذلك المفسّر (القديس) ايريناوس في كتبه "ضد الهراطقة".

ذهب البعض الى القول بأنهم الروح القدس، ورئيسهم سيمون الذي يُدعى الساحر في أعمال الرسل (أعمال 8/9) ، لأنه حيث طُرد أخذ ينشر هذه التعاليم. وقال الغنوسطيون الكفرة أشياء أخرى ضد الروح. وعلّم الفالنتينيون الأشرار أضاليل اخرى كذلك. أما الكافر "ماني" فقد تجرّأ وقال إنه هو المعزّي الذي أرسله المسيح.

وادّعى آخرون ان الروح في الأنبياء غير الروح في العهد الجديد.

عديدة هي أضاليلهم، أو بالحري تجديفهم. فامقت إذن مثل هؤلاء الناس الذي يجدّفون على الروح القدس، ولا غفران لهم. أية شركة بينك وبين هؤلاء اليائسين، أنت الذي سيعمّد قريباً في الروح القدس؟ إن كان الذي يتحدّ مع لص ويسير معه يقع تحت طائلة العقاب، فأي رجاء لمن يقاوم الروح القدس؟

7 – المرقيّون

ليكن أتباع "مرقيون" الذين يجذفون من العهد الجديد آيات العهد القديم، ممقوتين أيضاً. لأن مرقيون، زعيم الملحدين، كان أول من قال إن هناك ثلاثة آلهة. لما رأى شهادات الأنبياء الخاصة

بالمسيح في العهد الجديد، حذفوها من العهد القديم، ليظلّ الملك بلا شهود. ليكن الغنوسطيون السابق ذكرهم، الذين يدّعون المعرفة وهم مملوءون جهلاً، ممقوتين أيضاً، إذ تجاسروا وقالوا عن الروح القدس أشياء لا اجروء على التلفّظ بها.

8 – الكتافريجيون والمونتانيون

ليُمقِت الكتافريجيون ومونتان، زعيم هؤلاء الأشرار، ونبيّتاه مكسميليا وبرسكيلا. لأن مونتان هذا، الذي كان مجنوناً ثائراً، (لأنه لو لم يكن مجنوناً لما قال هذه الأقوال)، تجرّأ وقال إنه هو الروح القدس، هو هذا التعيس المملوء نجاسة وقحة. ويكفي التلميح بذلك، احتراماً للنساء الحاضرات هنا. وإذا أقام في

"بيبوزا"، وهي ضيعة صغيرة في فريجيا، دعاها كذباً "أورشليم" حيث كان يذبح أطفال النساء البائسين ويقدّمهم كطعام اجرامي بمناسبة أسرارهم المزعومة. (ولذلك كنا في هذه الأيام الأخيرة، خلال الاضطهاد، نُتَّهم بهذه الأعمال، لأن هؤلاء المونتانيين كانوا يسمّون أنفسهم كذباً مسيحيين). لقد تجرّأ وقال إنه الروح القدس، هو الذي كان بلا تقوى ولا إنسانية، ويستحق الإدانة بلا مردّ.

9 – إدّعاء ماني بأنه الروح القدس

وقد أعقبه في الاضطهاد، كما سبق وقلنا، ذلك الكافر ماني الذي جمع كل ما في الهرطقات من خبث. وإذ أصبح هاوية الهلاك الأقصى، جمع أضاليل كل البدع وخرج منها بضلال جديد عمِل

على نشره. وقد تجاسر على القول بأنه المعزّي الذي وعد المسيح بإرساله. ولكن المسيح عندما وعد به، قال للرسل : "أما أنتم فامكثوا في المدينة الى أن تنزل عليكم القوّة من العلى" (لو 24/49). ماذا إذن؟ هلاّ يزال الرسل الذين ماتوا منذ مئتي عام، ينتظرون ماني لتنزل عليهم القوّة؟ هل يجسر أحد فيقول إنهم منذ ذلك الحين لم يمتلئوا من الروح القدس؟ ألم يُكتب : "إنهما (بطرس ويوحنا) وضعا حينئذ أيديهما عليهم فنالوا الروح القدس"؟ (أعمال 8/17) ألم يحدث ذلك قبل ماني بسنوات كثيرة، عندما نزل الروح القدس في يوم العنصرة؟

10 – جريمة سيمون الساحر

لماذا حكم على سيمون الساحر؟ أليس لأنه إقترب من الرسولين

وقال لهما : "أعطياني أنا أيضاً السلطان لكي ينال الروحَ القدس مَن أضع عليه يديّ"؟ (أعمال 8/19). إنه لم يقل : "أعطياني أنا أيضاً أن أشترك في الروح القدس، بل "السلطان"، لكي يبيع للآخرين هذه الوديعة التي لا تُقدّر بثمن، ولم يكن هو يملكها.

عرض المال على الذين لم يكونوا يملكون شيئاً. إذ هو لما رأى الذينيأتون بأثمان مبيعاتهم ويلقونها عند أقدام الرسل، لم يفكّر في أن هؤلاء الذين يدوسون بأقدامهم الأموال المقدّسة لإعالة الفقراء، لن يعطوا سلطان الروح القدّس مقابل المال. لوكن ماذا أجاب على سيمون؟ "تباً لك ولمالِكَ، لأنك يهوذا الثاني، إذ ظننت أن تبيع بالنقود نعمة الروح القدس. إذا كان سيمون الذي أراد أن يحصل على السلطان بالشراء، قد سُلّم الى الهلاك، فكم عظيم كفر ماني الذي قال عن نفسه إنه الروح القدس ؟ إننا نكره إذن من يستحقون الكراهية، وننبذ عنا من ينبذهم الله. وسنقول نحن لله

بكل ثقة، متحدّثين عن الهراطقة : "ألم أُبغض مبغضيك يا رب، ألم أمقت مقاوميك"؟ (مز 138/21). إنها لعداوة حسنة كما هو مكتوب : "سأضع عداوة بينك وبين نسلها" (تك 3/15)، لأن الصداقة مع الحيّة عداوة مع الله "تولّد الموت" (يعقوب 1/15).

11 – العودة الى الكتب المقدسة

هذا ما كان يجب قوله عن المنبوذين. ولكن لنرجع الى الكتب الإلهية، ولنشرب من مياه أحواضنا الآباء، ومن ينبوع آبارنا.

لنشرب من الماء الحي "المتفجّر حياة أبدية ..." (يو 4/14).

"أراد بذلك المخلُّص الروحَ الذي سيتلقّاه المؤمنون به" (يو 7/38). إليك ما يقول : "مَن آمن بي، فكما ورد في الآية (إنه يحيلك إلى العهد القديم)، "ستجري من جوفه أنهار مادية تروي الحي" (يو 7/38 ؛ أشعيا 55/1 ،ـ 3)، لا أنهار تنير النفس. ويقول في موضع آخر : "فالماء الذي أعطيه إياه يصير فيه عين ماء يتفجّر حياة أبدية" (يو 4/14). نوع جديد من الماء الحي يتفجّر على مَن يستحقونه.

12 – كيف ترمز المياه الى الروح القدس؟

ولمذا دعا النعمةَ الروحية ماءً؟ لأنه من الماء تأخذ جميع الأشياء كيانها : الماء يُنبت النبات والحيوان، لأنه من السماء يهطل ماء

المطـر ويـنزل بشـكل واحـد، ولكنـه ينتج أشـكالاً كثيرة متنوعـة. عين واحدة تروي الفردوس كلّه، ومطر واحد يسقي العالم بأسره، فيصـير أبيض في الزنبقـة، وأحمـر في الـوردة، وأرجوانيـاً في البنفسـج والياسـمين، ويتنـوّع بتنـوّع الأشـكال. وهـو في النخلـة يختلف عنه في الكرمة وفي كل الأشـياء، على أن طبيعتـه واحـدة في حدّ ذاتها. فالمطر هو هو لا ينزل تـارة بشـكل وطـوراً بشـكل آخر، ولكنه يتكيّف بتكيّف العناصر الـتي تتقبّلـه، فيـأتي لكـل منهـا بما يلائمه. هكذا الروح القدس، فهو واحد بسيط لا يتجزّأ، يـوزّع النعمة على كـل واحـد كمـا يشـاء. وكمـا أن الخشـب الجـاف، اذا ارتوى بالماء، أزهر، كذلك النفس الخاطئة، بنعمة التوبة التي

يمنحها الروح القدس، تُنبت فروع برّ.

ومع أنه بسيط، إلا أنه يأتي بأشياء كثيرة حسنة، بـإرادة الله وباسـم المسـيح : فيسـتخدم لسـان إنسـان للحكمـة، وينـير نفس الآخـر في النبـوءة ؛ يمنح هـذا سـلطاناً لطـرد الشـياطين، ويعطي ذاك هبـة تفسير الكتب الإلهية ؛ يقوّي القناعـة في هـذا، ويعلّم ذاك الرأفـة ؛ يعلّم الواحد الصوم والزهد، والآخر إحتقار أفعـال الجسـد، ويهيء الآخر الى الاستشهاد. إنه يختلف في الآخرين ويظلّ هـو هـو في ذاته بدون اختلاف، كما هو مكتوب : "كل واحد يتلقى من تجليّات الروح لأجل الخير العام. فأحدهم يتلقّى من الـروح كلامَ الحكمـة، والآخر يتلقّى وفقاً للروح نفسه كلامَ المعرفـة، وسـواه الإيمـان في الروح نفسه، والآخر هبةَ الشفاء بهذا الروح الأحد. وسواه القدرة على الإتيان بالمعجزات، والآخر النبـوءة، وسـواه التميـيزَ مـا بين الأرواح، والآخر التكلّم بمختلف اللغات، وسـواه ترجمتهـا. وهـذا

كلّه يعمله الروح الأحد، موزِّعاً مواهبَه على كل واحد كما يشـاء" (1 كور 12/8 – 11).

13 – مختلف معاني كلمة "روح"

وإذا جـاءت كلمـة "روح" عامـة في الكتب الإلهيـة تحمـل معـاني كثيرة، فهناك خوف من أن يقع أحد في الالتبـاس عن جهـل، لعـدم إدراك أي روح هو المقصود ؛ لذلك يحسن بنا أن نوضّــح عن أي روح يقول الكتاب إنه "قدس". لأنه كما أن هرون يُـدعى مسـيحاً (أحبار 4/5)، وكذلك داود (مز 131/10) وشاوول (1 ملوك

24/7) وجميع الآخرين الذين دُعوا مسـحاء، مـع أنـه لا يوجـد إلاّ مسيح واحد حق، كذلك هي الحال مـع تسـمية "روح" الـتي تُطلـق على أشياء مختلفة. فمن المستحسن أن نرى أيّ روح هـو الـروح القدس. لأن هناك كثيرين يُدعون روحاً : فـالملاك يـدعى روحـاً، ونفسنا تدعى روحاً. والريح الـتي تهبّ تـدعى روحـاً، والشـيطان عدونا يدعى روحاً. فاحذر إذن لدى سماعك هذه الأشـياء أن تقـع في الإلتبـاس لسـبب مجانسـة اللفـظ ؛ إلاّ أنهـا تختلـف تمامـاً في المعنى. فبخصوص نفسنا يقـول الكتـاب : "تخـرج روحـه فيعـود إلى ترابه" (مز 145/4). ويقـول كـذلك عن ذات النفس : "جُبـل روح الإنسان فيه" (زكريا 12/1). وبخصـوص الملائكـة، يقـول سفر المزامير : "الصانع ملائكته أرواحاً وخدّامه لهيب نار" (مـز 103/4) ؛ ويقـول عن الـريح : "... بـروح عاصـف تكسـر سـفن ترشيش" (مز 47/8) ؛ وأيضـاً : "النـار والبَـرد، الثلج والضـباب والرياح العاصـفة" (مـز 148/8). ومـا يخصّ التعليم الصـحيح،

يقول الرب نفسه : "الكلام الذي كلّمتكم به روح وحياة" (يو 6/36)، أي أنه كلام روحي. أما الروح القدس فلا ينطق به اللسان، إنما هو روح حيّ يتكلّم ويفعل، ويمنحنا أن نتكلّم بحكمة.

14 – الروح يتكلّم

هل تريد أن تعرف أنه يتكلم ويفعل؟ لقد نزل فيلبس بوحي من الملاك الى الطريق المنحدرة الى غزّة، في حين كان الخصيّ قادماً. فقال الروح لفيليبس : "تقدَّم والحق هذه المركبة" (أعمال 8/29). أترى كيف يتكلّم الروح الى الذي يسمع؟ وإليك ما يقول حزقيال : "وحلّ عليّ روح الرب، وقال لي : "هكذا يقول الرب ..." (حز 11/5). وأيضاً : "قال لهم الروح القدس : افردوا شاول وبرنابا لأمر ندبتهما إليه" (أعمال 13/2 – 3). أنت ترى كيف أن الروح الحيّ يختار ويدعو ويُرسل بسلطان. ويقول بولس : "... على أن الروح القدس ينبئني في كل مدينة بأن القيود والشدائد تتربصّ بي" (أعمال 20/23) : إنه صالح هذا الذي يقدّس الكنيسة ويعينها ويعلّمها، الروح القدس المعزّي، الذي قال عنه المخلّص : فيعلّمكم جميع الأشياء، (لم يقل فقط سيعلّمكم، بل أضاف) ويذكرّكم جميع ما قلته لكم" (يو 14/26).

لأن تعـاليم المسـيح لا تختلـف عن تعـاليم الـروح القـدس، بـل هي ذاتها. لقـد أنـبئت الحـوادث سـلفاً لبـولس، لكي يتشـجّع بمعرفتهـا. وقد قيلت لك هذه الأمور بسبب هذه العبارة : "الكلام الذي كلّمتكم به روح وحيـاة" (يـو 6/63)، حـتى لا تظنّ أن مـا نقولـه ثرثـرة، وإنما هو التعليم الصحيح.

15 – كيف يتّضح إستخدام كلمة روح

والخطيئة أيضاً تُسمَّى روحاً، كما قلنا، ولكن بشكل آخر وبمعنى

مضاد، كما قال : "روح الزنى أضلّهم" (هوشع 4/12). ويسـمّى روحـاً، الـرّوح النجس، الشـيطان (لـو 11/24)، إذ يلحـق دائمـاً بكلمة روح صفة تميّزه وتحدّد طبيعته. فإذا أريـد الكلام عن نفس الإنسان، قيل : "روح الإنسان" (1 كور 2/11)، وإذا أريـد الكلام عن الـريح، قيـل : "ريح عاصـف" (مـز 106/25)، وإذا أريـد الكلام عن الخطيئـة، قيـل : "روح الـزنى"، وإذا أريـد الكلام عن الشيطان، قيل : "الروح النجس" ليعـرف أي روح هـو المقصـود. ولا تظن أنه الروح القدس، معـاذ الله، لأن اسـم "روح" مشـترك، وكل ما ليس له جسم كثيف يُدعى على وجه العموم روحـاً. وبمـا أنه ليست للشياطين مثل هـذه الأجسـام، فهي تُـدعى أرواحـاً. لكن الفـارق عظيم جـداً، لأن الـروح النجس، عنـدما يـدخل في نفس إنسـان، (ليحفـظ اللهُ من هـذا الشـرّ السـامعين والغـائبين)، يـأتي

كالـذئب المتعطّش الى الـدم وعلى اسـتعداد للفتـك بالنعجـة. أن مجيئه لمّريع، والشعور به مؤلم للغاية، فيظلم العقل.

هـذا الهجـوم ظـالم، إذ أنـه يـرمي الى اغتصـاب مُلـك الغـير، إذ يسـتحوذ على جسـمه وإمكاناتـه، فيصـرع على الأرض من كـان واقفاً، (لأنـه خـادم مَن هـوى من السـماوات) فينعقد لسـانه ويقلب شفتيه، ويُزيـد شـيئاً من خلال عينـه المفتوحـة. والإنسـان اليـائس يتمرّغ ويرتجف أمام الموت. أن الشياطين هم أعداء البشـر حقـاً، إذ يستغلونهم بلا شفقة ولا رحمة.

16 – تأثير الروح في النفس

إن الروح القدس ليس كذلك. حاشا ! بل بالعكس يعمل كـل شـيء للخير وللخلاص. ان مجيئه لطيف، والشعور الذي يثـيره عـذب، ونيره خفيف. تسبق مجيئه أشعةٌ من النـور والمعرفـة. انـه يـأتي بأحشاء مؤيدٍ حق، لأنه يأتي ليخلّص ويشفي، ليعلّم ويحذّر، ليقّوي ويعزّي، لينير العقل. انه ينـير عقـل من يتقبّلـه، وبواسـطته عقـولَ الآخرين. وكما أن الذي يكون في الظلام ويفتح عينيـه فجـأة على ضوء الشمس، يرى بوضوح ما لم يكن يراه من قبل، كـذلك الـذي يسكن فيه الروح القدس تستضـيء نفسه ويرى أشياء تفـوق مـرأى الإنسـان، ولم يكن يعرفهـا. إن جسـده على الأرض، لكن نفسـه تعكس السماوات، ولم يكن يعرفهـا. إن جسـدّه على الأرض، لكن

نفسه تعكس السماوات كالمرآة، فترى كما رأى اشعيا : "الرب جالساً على عرش عال" (اشعيا 6/1)، وكما رأى حزقيال : "الذي على رؤوس الكيروبيم" (حز 10/1)، وكما رأى دانيال : "ربوات ربوات وألوف ألوف" (دانيال 7/10). والإنسان، هذا الكائن المتناهي، الصغير، يرى بداية العالم ونهايته، والأوقات التي تتوسّطهما، ويعرف تعاقب الممالك. وهي كُلّها أشياء لم يتعلّمها، لأن المنير الحق حاضر فيه. تحيط الأسوارُ بالإنسان، لكن عقله يذهب به الى بعيد، فيرى ما يحدث عند الآخرين.

17 – أمثلة بطرس وأليشاع

لم يكن بطرس مع حننيا وسفيرة عندما باعا ممتلكاتهما، ولكنه كان حاضراً بالروحِ، اذ قال : "يا حننيا، لماذا استحوذ الشيطان

على قلبك فكذبت على الروح القدس"؟ (أعمال 5/3). لم يكن هناك متّهم ولا شاهد، فكيف عرف ما حدث؟ "أما كان يبقى لك لو تُرِكَ على حاله؟ أما كان لك عند بيعه أن تحتفظ بثمنه؟ فكيف طويت قلبك على هذا الأمر"؟ (أعمال 5/4).

لقد عرف بطرس الأُمِّيُّ بنعمة الروج القدس ما لم يعرفه حكماء اليونان أنفسهم؟ ولديك مثل يشابهه عند اليشاع. لأنه عندما شفى نعمان مجاناً من برصه، أخذ جيحزي أجراً ؛ تلقّى أجر عمل خير صنعه آخر. ولما أخذ المال من نعمان أخفاه (4 ملوك 5/24 – 27). ولكن "الظلمة لا تُظلِم لدى القدّيسين" (مز 138/12).

فلما عاد سأله إليشاع، كما سأل بطرس : "قال لي : أبهذا الثمن بِعتما الضيعة"؟ (أعمال 5/8)، إذ قال : "من أين أتيت يا جيحزي"؟ (4 ملوك 5/25). لم يكن يجهل، ولكنه كان في منتهى الأسف : من الظلام أتيت والى الظلام تذهب. لقد بعث شفاء الأبرص وسترت برصه. كأن به يقول : أنا نفذّت أمر القائل : "أخذتم مجًّانا فمجًّانا أعطوا" (متى 10/8) ؛ ولكن أنت بعت النعمة، فتلقَّ أجر بيعك. ولكن ماذا قال أليشاع؟ – "ألم يكن قلبي معك"؟ (4 ملوك 5/26) ؛ لقد كنت هنا بالجسد، ولكن الروح الذي أعطاني الرب رأى ما كان بعيداً ؛ وأراني بوضوح ما كان يحدث في مكان آخر. هل ترى كيف أن الروح لايبدّد ظلمات الجهل فحسب، بل يمنح المعرفة أيضاً؟ هل ترى كيف أن الروح القدس ينير النفوس !

18 – ومثل اشعيا

كان اشعيا يعيش منذ ألف سنة، وقد رأى صهيون كخيمة، تلك التي كانت مدينة حصينة تزّينها الساحات العامة، متسربلة بالجلال. وإليك ما قاله : "إن صهيون ستُحرث كحقل" (ارميا 26/18 ؛ ميخا 3/12)، معلنا بذلك ما حدث في أيامنا. وانظر الى دقّة النبوءة، اذ يقول : "تبقى ابنة صهيون كمظلّة في كرم، كمبيت في مقثأة" (اشعيا 1/8). وها هو المكان ممتلئ اليوم بحقول الخيار. هل ترى كيف الروح القدس ينير القديسين؟ فلا تنسَق إذن الى آخرين بسبب تشابه اللفظ، بل تمسّك بما هو صحيح.

19 – الروح يُوعز بالمشورات الإنجيلية ...

واذا طرأت على خاطرك فكرةٌ عن الطهارة أو البتولية، وأنت جالس، فهي من وحيه. ألا يحدث غالباً أن تهرب عذراء، وهي على عتبة الزواج، بوحي منه عن جمال البتولية ! ألا يحدث غالباً أن رجلاً ذا نفوذ في البلاط المكلي، يحتقر الغِنى والجاه بوحي من الروح القدس؟ ألا يحدث غالباً أن يغضّ الشاب الطرفَ عن رؤية فتاة جميلة خوفاً من الدنس؟ هل تبحث عن سبب ذلك؟– هو الروح القدس الذي علّم نفس الشاب. العالم مليء بالجشع، ويفضّل المسيحيون الفقر، لماذا؟– بسبب تعليم الروح القدس. في الواقع يستحّق الروح القدس كل إكرام واجلال. فبحق نحن معمدّون باسم الآب والابن والروح القدس. يكافح الإنسان في الجسد ضد شياطين كثيرة شريرة ؛ والشيطان الذي كثيراً ما لا

تخضعه السلاسل الحديدية، تقهره صلاة الإنسان بقوّة الروح القدس الحالّ فيه، وتصبح نفخة "المعزّم" البسيطة ناراً محرقة للشيطان غير المنظور. لدينا إذن، من لدن الله، مؤيِّد عظيم، وقائد ومعلّم كبير للكنيسة وحارس لها. فلا خوف علينا من الأبالسة ولا من الشيطان، لأن يؤيدنا أقوى. فلنفتح له أبوابنا "لأنه يجول في طلب الذين هم أهل له" (حكمة 6/17) ليمنحهم عطاياه.

20 - ... ويعزّينا ويشجّعنا ويعضدنا ...

إنه يُدعى المعزّي لأنه يعزّينا ويشجّعنا ويعضد ضعفنا. "اننا لا نحسن الصلاة كما يجب، ولكن الروح يشفع فينا بأنات لا توصف" (رومه 8/26) أي عند الله. كثيراً ما يحدث أن يُهان الإنسان ظلماً لأجل المسيح، ويُشرف على الاستشهاد، وتُحيق به جميع ضروب العذاب من كل جانب : النار والسيف، والوحوش الضارية، والهاوية. ولكن الروح القدس يهمس له بلطف : "تشدّد وليتشجّع قلبك، وارجُ الرب" (مز 26/14). إن ما يصيبك الآن، أيها الإنسان، لَشيء تافه بالنسبة للمكافأة العظيمة التي ستحصل عليها.

تعذَب قليلاً من الوقت، وسوف تصبح مع الملائكة للأبد. "لأن آلام هذه الدنيا لا توازي المجد الذي سيتجلّى فينا" (رومه 8/18). انه يصف للإنسان ملكوتَ السماوات ويريه فردوس النعيم. والشهداء الذين كانوا بحكم الضرورة يعرضون أجسادهم أمام القضاة، كانوا يحتقرون الآلام الظاهرية، اذ كانت أنفسهم متّجهة الى لفردوس.

21 - ... هو قوّة الشهداء ونورهم

هل تريد أن تعرف أن الشهداء يؤدّون شهادتهم بقوّة الروح القدس؟ قال المخلّص لتلاميذه : "عندما تساقون الى المجامع والحكّام وذوي السلطة، "فلا يهمنّكم كيف تحتجّون أو ماذا تقولون"؟ (لأن الروح القدس يُلهمكم في ذلك الحين ما ينبغي أن تقولوا" (لو 12/11 ـ 12). في الواقع يستحيل على الإنسان أن يشهد للمسيح إن لم يشهد بالروح القدس. لأنه اذا كان "لا يستطيع

أحد أن يقول : يسوع ربّ، إلاّ بإلهام من الروح القدس" (1 كور 12/3)، فمن يبذل حياته لأجل المسيح إن لم يكن بالروح القدس؟

22 – الروح يساعد الجميع بحسب رغبتهم

الروح القدس عظيم وكليّ القدرة، وعجيب في هباته. تصوّروا كم عددنا الآن هنا، وكم عدد أنفسنا ؛ انه يعمل في كل واحد منا بحسب ما يلائمه. وبما أنه في وسطنا، فهو يرى تصرّف كل واحد وأفكاره وضميره، وما نقوله وما نفكّر فيه. في الحقيقةأن ما أقول لشيءٌ عظيم، ولكنه مع ذلك ليس بشيء. أرجوك أن تنظر إلى العقل الذي استضاء بنوره. أُنظر الى عدد المسيحيين الذين يؤُلفون هذه الجماعة، وعددهم في ابرشية فلسطين بأسرها. وانتقل بذهنك من هذه الأبرشية الى الإمبراطورية الرومانية كلها، واعتبر من هناك العالم بأسره : أمّة الفُرس وشعوب الهند، الغوط والسرماط، الغاليون والأسبانيون، المغاربة والليبيون، الأحباش

وجميع الذين لا نعرف أسماءهم. لأنها عديدة هي الشعوب التي نجهل حتى اسماءها. اعتبر الأساقفة والكهنة والشماسة، والرهبان والهذارى والعلمانيين من كل شعب. وانظر الى رائدهم الأعظم وموّزع الهبات عليهم، كيف أنه في العالم أجمع يهب للواحد الحشمة وللآخر البتولية المؤبدة، لهذا الرحمة ولذاك حبّ الفقر، ولسواه موهبة إخراج الشياطين. وكما أن النور بفيضٍ من أشعته ينير كل شيء، كذلك الروح القدس ينير من لهم

أعين. واذا أحد أعمى لا يستحق النعمة، فلا يلُمُ الروح القدس بل عدم ايمانه.

23 – الروح القدس وحده يفحص عن أعماق الله

لقد رأيت قدرته في العالم أجمع، فلا تظلّ متمسكاً بالأرض، بل اصعد إلى العُلى. إرتفع بالروح حتى السماء الأولى، وانظر إلى ربوات الملائكة التي لا عدّ لها. إرتفع إلى أعلى وانظر الى رؤساء الملائكة والأرواح والقوّات والعروش والسلاطين ... فالمعزّي هو الذي أقامه الله رئيساً عليهم جميعاً، وهو سيّدهم ومقدّسهم. إن ايليا وأليشاع واشعيا في حاجة إليه من بين البشر، كما أن ميخائيل وجبرائيل في حاجة إليه من بين الملائكة. لا شيء من الأشياء المخلوقة يعادله في الكرامة ؛ فطغمات الملائكة وجيوشهم مجتمعين معاً لا يستطيعون مساواة الروح القدس. ان قدرة المعزّي الكلية الصلاح تظّللهم جميعاً. هم مرسلون للخدمة، أما هو فيفحص حتى أعماق الله، كما يقول الرسول : "إن الروح يفحص عن كل شيء حتى عن أعماق الله" ؛ "فمن ذا الذي يعرف أسرار الإنسان غير الروح الذي في الإنسان"؟ "وكذلك ما من

أحد يعرف أسرار الله غير روح الله" (1 كور 2/10 – 11).

24 – التمسّك بالوحي

لقد كَرَز بالمسيح في الأنبياء، وعمِل في الرسل ؛ وحتى اليوم هو الذي يختم الأنفس في العماد. الآب يعطي الابن، والابن يُشرك

الروح القدس. ولست أنا الذي يقول ذلك، إنما المسيح نفسه : "قد أولاني أبي كل شيء" (متى 11/27)، كما أنه يقول عن الروح القدس : "فمتى جاء روح الحق ... سيمجّدني لأنه يأخذ مما لي ما يُطلعكم عليه" (يو 16/13 – 14). الآب يمنح كل شيء بالابن مع الروح القدس. هبات الآب لا تختلف عن هبات الابن والروح القدس. لأنّ الخلاص واحد والقدرة واحدة، والإيمان واحد، وإله واحد الآب، وربّ واحد الابن الوحيد، وروح قدس واحد المعزّي. يكفي أن نعرف ذلك، فلا نبحث عن الطبيعة أو الجوهر. لأنه لو كان ذلك مكتوباً لقُلناه. أما ما هو غير مكتوب فلا نجرؤ على قوله. يكفينا أن نعرف لخلاصنا أنه يوجد آب وابن وروح قدس.

25 – مثَل ألداد وميداد

لقد نزل هذا الروح على البعين شيخاً في أيام موسى (عدد 11/25). (ولكن أرجو يا أحبائي، ألاّ تولّد إطالتنا في الكلام الضجّر في نفوسكم. فليمنح الذي نتحدّث عنه كلاً منا القوة، لي

أنا الذي أتكلّم، ولكم أنتم الذين يسمعون). لقد نزل هذا الروح، كما كنت أقول، على السبعين شيخاً في أيام موسى.

– أقول لك هذه الأشياء لكي أُرسّخ في ذهنك الآن أنه يعرف كل شيء ويعمل كما يشاء – لقد اختير السبعون شيخاً : "ونزل الرب في الغمام ... وأخذ من الروح الذي كان على موسى وأحلّ على

السبعين رجلاً الشيوخ" (عدد 11/25). لم يقسّم الروح، ولكن النعمة هي التي قسّمت بحسب الذين يتلقونها وبحسب أهليتهم. وهؤلاء الثمانية والستون الذين كانوا حاضرين تنبأوا، ولم يكن ألداد وميداد حاضرين. ولكن أُظهر لك أنه ليس موسى الذي كان يُعطي، إنما هو الروح الذي كان يعمل، فإن ألداد وميداد اللذَين دُعيا ولم يحضرا، قد تنبأ أيضاً.

26 – منح الروح بوضع الأيدي

وقد دهش يشوع بن نون، خليفةُ موسى، فاقترب من موسى وقال له : "هل سمعت أن ألداد وميداد يتنبآن؟ لقد دُعيا ولم يحضرا ؛ يا سيدي، يا موسى، كفّهما" (عدد 11/28). أجابه موسى : لا أستطيع أن أمنعهما، لأن النعمة آتية من السماء. أنا أمتنع عن ردعهما، لأني تلقّيت هذه النعمة بفضل الله. ولا أظن أنك قلت هذا عن حسد. لا تغر لي، لأن هؤلاء قد تنبأوا في حين أنك أنت لا تتنبَّأ. إنتظر الوقت المناسب. "ليت جميع أمّة الرب أنبياء يجعل الرب روحه عليهم" (عدد 11/28). لقد كان يتنبّأ بقوله : "حين يجعل الرب روحه عليهم". في الواقع إنه لم يكن قد أعطاه

للجميع حتى ذلك الوقت. ألم يُعطه لإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف؟ والذين كانوا قبل موسى ألم يتقبلوه؟ ولكن العبارة "حين يجعل الربُّ روحه عليهم" تعني بوضوح "على الجميع". عندئذ كانت النعمة خاصة، أما الآن فهي غزيرة، كانت تعني ما سيحدث في العنصرة عندما نزل عندنا. كان قبل ذلك قد نزل على بضعة

أشخاص، كما كتب : "أما يشوع بن نون فملئ روحَ حكمة لأن موسى وضع يديه عليه" (تثنية 34/9). أنت ترى في كل مكان، في العهد القديم والجديد، نفسَ الصورة. في أيام موسى كان الروح يُعطي بوضع الأيدي. وأعطى بطرسُ الروحَ بوضع الأيدي. وعليك أنت أيضاً يتنزل النعمة عندما تتلقّى العماد. أما الكيفية فلا أذكرها، لأني لا أريد أن أسبق الوقت.

27 – أمثلة أخرى من العهد القديم

وهو الذي حلّ على جميع الأبرار والأنبياء : على أنوش وأخنوخ ونوح وجميع الآخرين، على إبراهيم وإسحق ويعقوب. ولاحظَ فرعون أن يوسف كان رجلاً فيه روح الله (تك 41/39). وكثيراً ما سمعت الكلام عن موسى وعن الأعمال العظيمة التي كان يعملها بقوة الروح القدس. وهو الذي امتلك على أيوب الشجاع، وحصل عليه جميع القديسين وإن كنا لا نذكر أسماءهم. والروح القدس الذي أُرسِل لصناعة الخيمة، هو الذي ملأ بصلائيل ورفاقه حكمة.

28 – كان الروح يدفع القضاة والملوك والأنبياء

وبقوّة الروح القدس – كما نقرأ في سفر القضاة – حكم عتنئيل واشتدّ ساعد جدعون، وانتصر يفتاح، وحاربت دّبورة المرأة. أما

عن صموئيل وداود، فإنّا نعلم بوضوح مما جاء في أسفار الملوك كيف كانا يتنبآن بالروح القدس، وكيف كانا يتقدّمان سائر الأنبياء.

فكان صموئيل يُسّمى "الرائي" (1 ملوك 9/9 – 11). ويقول داود بوضوح : "روح الرب تكلّم فيّ" (2 ملوك 23/2). وفي المزامير : "وروحك القدوس لا تنزعه مني" (مز 50/13).

وأيضاً : "إن روحك صالح يهديني في أرض الاستقامة" (مز 142/11). ونعرف من سفر أخبار الأيام أن زكريا أخذ الروح القدس في عهد الملك آساف، ويجزئيل في أيام يوشافاط، وزكريا آخر الذي رُجم بالحجارة (2 أخبار 24/20). ويقول عزرا : "وآتيتهم روحك الصالح ليعلّمهم" (نحميا 9/20). أما عن إيليا الذي رُفع الى السماء وأليشاع، وهما من "حاملي الروح" وصانعي العجائب، فمن الواضح أنهما كانا ممتلئين من الروح القدس حتى ولو لم نتكلّم عنهما.

29 – أمثلة من الكتب النبوية

وإذا تصفّح أحد أسفارَ الأنبياء الإثنى عشر، والأنبياء الآخرين، فسيجد شهادات كثيرة عن الروح القدس : ويقول الرب على لسان ميخا : "قد امتلأت قوّة بروح الرب" (ميخا 3/8). ويصرخ يوئيل : "ويكون بعد ذلك، يقول الرب، أني أسكب روحي على

كل بشر" (يوئيل 3/1). ويقول حجاي : "لأني أنا معكم، يقول رب الجنود ... وروحي يقيم فيما بينكم" (حجاي 3/5 – 6).

ويقول زكريا كذلك : "لكن اقبلوا أقوالي ورسومي التي أمرت بها عبيدي الأنبياء بروحي" (زكريا 1/6)، وكذلك في موضع آخر.

30 – الروح في سِفري أشعيا وحزقيال

ويقول أشعيا بأسلوبه الرائع : "ويستقّر عليه روح الرب، روحُ الحكمة والفهم، روح العلم وتقوى الرب، ويملأه بروح مخافة الرب" (أشعيا 11/2 – 3)، ليُظهر أن الروح واحد لا يتجزّأ، ولكنّ أعماله متنوعة. ويقول أيضاً : "هوذا يعقوب عبدي ... لقد جعلت روحي عليه" (أشعيا 42/1). وأيضاً : "أُفيض روحي على ذريتك" (أشعيا 44/3). وأيضاً : "والآن السيد الرب أرسلني هو وروحه" (أشعيا 48/16). وفي موضع آخر : "وأنا فهذا عهدي معهم، قال الرب، روحي الذي عليك ..." (أشعيا 59/21).

وأيضاً : "ان روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني ..." (أشعيا 61/1). وفي موضع آخر، في الشهادات ضد اليهود : "لكنّهم تمرّدوا وحزنوا روحه القدوس" (أشعيا 63/10)، و "أين الذي جعل في داخله روحه القدوس" ؟ (أشعيا 63/11). ولديك عند حزقيال (اذا كنت لم تتعب من الاستماع) هذه العبارة التي ورد ذكرها : "ووقع عليّ روح الرب وقال لي : قل هكذا قال الرب ..." (حز 11/5) ؛ وهذا التعبير "وقع عليّ" يجب أن نفهمه

بمعنى ينطوي على المحبة، كما لما التقى يعقوبُ بيوسف "ألقى بنفسه على عنقه" (تك 46/29). وكما في الإنجيل، عندما رأى

الأب المحبّ إبنــه عائـداً من سـفره : "فاشـفق عليـه وأسـرع إليـه. فـألقى بنفسـه على عنقـه وقبلـه طـويلاً" (لـو 15/20). وجـاء في حزقيال كـذلك : "ورفعـني الـروح وأتى بي إلى أرض الكلـدانيين، الى الجلاء، في الرؤيـا، بـروح الله" (حـز 11/24). وهنـاك شهادات أخرى سمعتها في المواعـظ عن العمـاد : "وأنضـح عليكم مـاءً طـاهراً ... وأُعطيكم قلبـاً جديـداً، وأجعـل في أحشـائكم" (حـز 36/25 ـ 27). وجاء أيضاً : "وكانت علي يد الرب، فاخرجني الرب بالروح" (حز 37/1).

31 – قوّة الروح كما ظهرت في سفر دانيال

وهو الذي ملأ نفس دانيـال حكمـة لكي يصـبح هـذا الشـاب الحـدث قاضيَ الشيوخ. كان قد حُكم على سوسنة العفيفة كزانيـة، ولم يكن مَن يـدافع عنهـا ؛ لأنــه من يقـدر أن ينتزعهـا من قبضـة الحكّـام؟ فسيقت الى الموت، وكانت بين أيـدي الـراجمين. لكن المؤّيـد كـان حاضراً، المعزّي، الـروحُ الـذي يقـدّس كـل طبيعـة عاقلـة، إذ قـال لـدانيال : هيّـا أيهـا الشـاب، وبّخ هـذَين الشـيخين المريضـين على خطايا الشباب. لأنه مكتوب : "نبّه الله روحاً مقدساً لشـاب حـدث" (دانيـال 13/45). ومختصـر الكلام أُنقِـذت سوسـنة العفيفـة بحكم دانيال. لقد نقلنا هذه الأشياء لِما فيها من الشهادات. ولكن الوقت

يضيق بنا للشرح. واعـترف نبوكدنصّـر، هـو كـذلك، بـأن الـروح القدس كان في دانيـال، إذ قـال : "يـا بلشصّـر رئيس السـحرة، إني

أعرف أن روح الله القدوس فيك" (دانيـال 4/6). لقـد كـان في مـا قال شيء من الصحة وشيء من الخطأ : صحيح أن الروح القـدس كان معـه، ولكنـه لم يكن رئيس السحرة، لأنـه لم يكن مجوسياً، إذ كانت حكمته من الروح القدس. وكان قبل ذلك قد فسّر لـه رؤيـة التمثال التي لم يكن قد فهمها، إذ قـال لـه : "أخـبرني بـرؤى حلمي الذي رأيته وبتعبيره" (دانيال 4/6). هل ترى قدرة الروح القدس؟ إن الذين يَرون لا يفهمون، والذين لم يروا يفهمون ويفسّرون.

32 – الدعوة الى استماع العظة المقبلة

إنه لَمن السهل حقاً أن نجمع شهادات كثيرة من العهد القديم، وان نفسّر بإسهاب أكثر ما يخصّ الروح القدس. ولكن الوقت قصير ولا يجب أن نتجاوز الحدود مراعاة للمستمعين. ولذلك سنكتفي الآن بالشهادات المقتطفة من العهد القديم ؛ وفيما بعد، ان شاء الله، سنأتي في العظة القادمة الى الشهادات المستخرجة من العهد الجديد. ليمنحكم إله السلام جميعاً الخيرات الروحية والسماوية، بربنا يسوع المسيح ومحبة الروح القدس. له المجد والملك أبد الدهور. آمين.

العظة السابعة عشرة

في الروح القدس (تابع)

"كل واحد يتلّقى من تجليّات الروح لأجل الخير العام.
فأحدهم يتلّقى من الروح كلام الحكمة، والآخر يتلّقى وفقاً
للروح نفسه كلام المعرفة، وسواه الإيمان في الروح
نفسه ... وهذا كلّه يعمله الروح الأحد نفسه، مُوزعاً
مواهبه على كل واحد كما يشاء".

(1 كور 12/7 – 11)

1 – الروح القدس في العهد الجديد

لقد قدّمنا الى محبتكم في عظتنا السابقة، بقدر استطاعتنا، جزءاً يسيراً من الشهادات عن الروح القدس. وفي هذه العظة، سنعالج، على قدر الإمكان، الشهادات الأخرى المستخرجة من العهد الجديد، إن شاء الله. وكما في عظتنا السابقة لم نحاول الاسهاب (اذ الكلام عن الروح القدس لا ينفد) لعدم تجاوز الحدود مع مستمعينا، كذلك لن نقول، هذه المرّة أيضاً، إلا اليسير مما تبقّى قوله، لأننا نعترف بكل صراحة الآن، مع ما نحن عليه من ضعف، بحيرتنا إزاء عظمة أمور الكتاب المقدس. واليوم كذلك، لن نستشهد بالحجج البشرية (اذ لا فائدة منها) على حد قول

الطوباوي بولس الرسول : "اننا لا نتكلّم على المواهب بكلام مأخوذ من الحكمة البشرية، بل بكلام مأخوذ عن الروح، فنعبّر عن الأمور الروحانية بعبارات روحانية" (1 كور 2/13). سنفعل كالمسافرين برًّا أو بحراً الذين يقصدون بلداً نائياً، انهم يسعون اليه بكل همّة ونشاط ؛ ولكنّهم اعتادوا أن يحطّوا رحالهم في المُدن، أو يُلقوا مراسيهم في الموانئ.

2 – الروح القدس لا يتجزأ

نحن ولا شك نقسّم تعاليمنا عن الروح القدس ؛ أما هو فيظلّ واحداً، لا يتجزّأ ولا يتغيّر. نفي عظاتنا السابقة عن الآب، تكلّمنا مرّة عن ملكيته، ومرّة أخرى قلنا كيف أنه يدعى أبا ضابط الكل، ومرّة ثالثة كيف أنه خالق كل شيء. فكوننا قسّمنا العظات لا يعني اننا جزّأنا الإيمان، لأنه كان ولا يزال موضوع عبادتنا الوحيد. وكما ان في عظاتنا عن ابن الله الوحيد، علّمنا مرّة ألوهيته، ومرّة أخرى طبيعته البشرية، مقسّمين الى عدة عظات منفصلة ما يخصّ ربّنا يسوع المسيح، مع المجاهرة بأن إيماننا به لا ينقسم، كذلك نحن نقسّم الآن عظاتنا عن الروح القدس، ولكننا نبشّر بايمان لا يتجزّأ في أقنومه ؛ "لأن هذا كلّه يعمله الروح الأحد نفسه، موَّزعا مواهبه على كل واحد كما يشاء" (1 كور 12/11)، بينما يظلّ هو نفسه غير منقسم. لأنّ المعزّي ليس كائناً آخر يختلف عن الروح القدس، بل هو نفس الكائن الأحد الذي ندعوه بأسماء مختلفة : الكائن الحيّ القائم بذاته، المتكلّم والعامل ؛ وهو الذي يقدّس جميع

الكائنات (الملائكة والبشر) التي خلقها الله بالمسيح.

3 – أسماؤه كثيرة وهو واحد

وخوفاً من أن يظنَ البعض عن جهل أن هناك هدّة أرواح، بسبب تعدّد أسماء الروح القدس – وأنه ليس واحداً وليس هو الروح عينه، في حين أنه واحد – أدرجت الكنيسةُ الجامعة في قانون الإيمان، حرصاً على سلامتك، أن تؤمن "بالروح القدس المعزّي الأحد الذي تكلّم في الأنبياء"، لكي تعرف أن هناك تسميات عديدة، ولكن الروح القدس أحد. ومن هذه التسميات العديدة نحن لن نتناول الاّ بعضها الآن.

4 – مختلف أسماء الروح القدس

إنه يدعى "روحاً" بحسب ما تُلي عليكم الآن : "فاحدكم يتلّقى من الروح كلام الحكمة" (1 كور 12/8)، ويدعى "روح الحق" وفقاً لقول المخلّص : "فمتى جاء روح الحقّ ..." (يو 16/13)، ويدعى "المعزّي أو المؤّيد" (يو 16/7). وتدّل هذه الآيات بوضوح على أن نفس الكائن الأحد يُسمى بأسماء مختلفة.

أما عن كون الروح القدس والمعزّي هما أقنوم واحد، فقد جاء : "ولكن المعزّي، الروح القدس ..." (يو 14/26) ؛ كما أنه جاء من وحدة المعزّي وروح الحق : "وأنا أسأل أبي فيهب لكم معزًّيا آخر يبقى معكم الى الأبد، روح الحق ..." (يو 14/16).

وأيضاً : "ومتى جاء المعزّي الذي أرسله إليكم من لدن أبي، روحَ الحق ..." (يو 15/26)، ويُدعى "روح الله" كما هو مكتوب : "رأيت روح الله ينزل ..." (يو 1/32). وأيضاً : "إن الذين ينقادون الى روح الله يكونون حقاً أبناء الله" (رومه 8/14).

ويُدعى "روح الآب" على حدّ قول المخلّص : "فلستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم ينطق بلسانكم" (متى 10/20).

وبولس كذلك : "لهذا أجثوا على ركبتي للآب ... وأسأله أن يؤيدكم بروحه" (أفسس 3/14 – 16). ويُدعى "روح الربّ" كما يقول بطرس : "لماذا اتفقتما على تجربة روح الرب"؟ (أعمال 5/9). ويُدعى "روح الله والمسيح" كما يكتب بولس : "أما أنتم فلا تسلكون سبيل الجسد، بل سبيل الروح، لأن روح الله حال فيكم. ومَن لم يكن فيه روح المسيح فما هو من خاصّته" (رومه 8/9). ويُدعى "روح ابن الله" وفقاً لهذا النص : "والدليل على كونكم أبناء أن الله أرسل روح ابنه في قلوبنا" (غلا 4/6).

ويُدعى "روح المسيح" كما هو مكتوب : "وَسَعوا الى الكشف عن الزمان والأحوال التي دلّ عليها روح المسيح" (1 بطرس 1/11).

وأيضاً : "... لأني أعلم أنه يؤول الى خلاصي، ويعود الفضل الى دعائكم والى معونة روح يسوع المسيح" (فيلبي 1/19).

5 – أسماء أخرى

وعلاوة على هذه الأسماء، تجد أسماء أخرى للروح القدس، اذ هو يُدعى "روح القداسة" كما هو مكتوب : "من حيث أنه روح

القداسة" (رومه 1/4)، ويدعى "روح التبنّي" على حدّ قول بولس : "لم تتلقّوا روحاً يستعبدكم ويردّكم الى الخوف، بل روحاً يجعلكم أبناء، وبه تنادي يا ابتا" (رومه 8/15). ويُدعى "روح الوحي" كما هو مكتوب : "... ان يهب لكم روح حكمة يكشف لكم عنه تعالى" (افسس 1/17). ويُدعى "روح الموعد" كما يقول بولس ذاته في الرسالة نفسها : "وفيه آمنتم أيضاً وقد سمعتم كلام الحق أي بشارة خلاصكم وآمنتم، خُتمتم بروح القدس الموعود" (أفسس 1/13)، ويُدعى "روح النعمة" كما يقول بولسُ أيضاً : "... وازدرى روح النعمة" (عبر 10/29).

ويُدعى بأسماء أخرى كثيرة مماثلة. فقد سمعتَ، ولا شكّ، في العظة السابقة، أنه يُدعى أحياناً في المزامير "قدّوسا" وأحياناً "رئاسياً" (مز 5/13)، ويُدعى في اشعيا "روح الحكمة والفهم، ولمشورة والقوة، والعلم والتقوى، ومخافة الرب". (اشعيا 11/2 – 3). ويتّضح من جميع هذه الألقاب التي عدّدناها، سواء من قبل أو الآن، أن هناك تسميات كثيرة، ولكنّ الروح القدس هو نفس الروح الأحد، الحيّ القائم بذاته، والحاضر دائماً مع الآب والابن. إنه ليس فقط اسماً يتلفّظ به الآب والابن، وليس منتشراً في الهواء، بل هو كائن جوهري، وهو ذاته الذي يعمل ويتكلّم ويدّبر ويقدّس، بما أن تصميم الخلاص فينا مستمّر منسجم ووحيد. هذا التصميم المنحدر من الآب بالابن في الروح القدس، كما سبق وقلنا، وأوّد أن تتذكّروا ما قلنا سابقاً وأن تعرفوا بوضوح أنه ليس هناك روح في الناموس والأنبياء، وروح آخر في الأناجيل والرسل، ولكنّه

هو الروح القدس الأحد ذاته الذي تكلّم في الكتب الإلهيـة في العهـد القديم والجديد.

6 – الروح القدس والتجسّد

هذا الروح القدس هو الذي حلّ على مريم العذراء، لأنـه، بمـا أن المسيح المزمع أن يولد كان الابن الوحيد، فقد ظللتهـا قـدرة العليّ، وحلّ عليها الروح القدس وقدّسها كل تستطيع أن تتقبّل ذاك الـذي "به كان كل شـيء" (يـو 1/3). اني لست بحاجة الى كلام كثير لأعلّمك أن هذا الميلاد كان بلا دنس ولا عيب، إذ قد سبق وتعلّمت ذلك ؛ فقد قال لها جبرائيل : أنا لست سوى البشير لِما سيحدث، ولكنّي لست معاونـاً فيه ؛ لأني وان كنت رئيس ملائكـة، إلاّ أني أعرف منزلتي. أنا أُبشرّك بالفرح، أما الكيفية التي بها يتلدين، فليست نعمة مني. "ان الروح القدس يحلّ بك وقدرة العليّ تظللّك"، "لذلك يكون المولود قدوساً، وابن العلي يُدعى" (لو 1/35).

7 – عمل الروح القدس في اليصابات وزكريا وسمعان ...

وكان هذا الروح قد عمل في اليصابات ؛ لأنه يعرف العذارى، وهو صديق المتزوجين أيضاً، إن كان زواجهم شرعياً. "وامتلأت اليصابات من الروح القدس" (لو 1/41)، وتنبأت فقالت الأمَة النبيلة عن ربّها : "أنّي لي أن تأتيني أم ربي"؟ (لو 1/43)، إذ حسبت اليصاباتُ نفسها سعيدة. وكان زكريّا أب يوحنا ممتلئاً بهذا

الروح القدس عينه عندما تحدّث عن الخير العظيم الذي سيفعله الابن الوحيد، وعن يوحنا الذي سيكون سابقه بالعماد. وبهذا الروح القدس نفسه، أُوحي الى سمعان الصديق أنه لا يذوق الموت قبل أن يرى مسيح الرب. وشهد بكل وضوح في الهيكل عما سيحدث له عندما حمله على ذراعيه (لو 2/26 ، 28).

8 - ... وفي يوحنا المعمدان

ويوحنا، اذا امتلأ من الروح القدس في بطن أمه (لو 1/41 ، 44)، تقدّيس لكي يعمّد الرب. انه لم يكن يمنح الروح، ولكنّه كان يبشّر بالذي يمنح الروح، اذ كان يقول : "أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، "أما الذي يأتي بعدي ... فهو يعمّدكم في الروح القدس والنار" (متى 3/11). لماذا بالنار؟ لأن الروح القدس نزل بشكل ألسنة كأنها من نار (أعمال 2/3). وبهذا الخصوص قال الرب بفرح : "جئت لألقي على الأرض ناراً وكم أرجو أن تكون قد اشتعلت"! (لو 12/49).

9 – الروح القدس في عماد المسيح

وهذا الروح القدس هو الذي نزل في عماد يسوع، حتى لا تخفى كرامة مَن كان يُعمَّد. ولذلك قال يوحنا : "إن الذي أرسلني أعمّد في الماء قال لي : " إن الذي ترى الروح ينزل عليه فيستقرّ، هو ذاك الذي يعمّد في الروح القدس" (يو 1/33). وإليك ما يقول الإنجيل : "فإذا السماوات قد إنفتحت – إنفتحت لأجل كرامة الذي

كان نازلاً – إذ يقول : فـإذا السـماوات قـد انفتحت، فرأى روح الله يهبط كأنـه حمامـة ويـنزل عليـه" (مـتى 3/16)، ليُظهـر أنـه نـزل طوعاً، لأنه كان لا بدّ – كما يفسّر البعض – مِن أن تُعطى بـاكورة وأولى هبات الروح القدس التي تُمنح للمعمدين، لناسـوت المخلّص الذي يَمنح مثل هذه النعمة.

10 – حمامة نوح نفس الحمامة عند العماد

ويرى البعض أن حمامة نوح (تك 8/8) كانت جزئياً صـورةً لهـذه الحمامـة. فكمـا أنـه في زمن نـوح أتى الخلاص بالخشبة والمـاء، وبدأ جيل جديد، وأن الحمامة عادت إليـه في المسـاء حاملـةً ورقـة زيتون، كذلك _ على حدّ قـولهم – نـزل الـروح القـدس على نـوح الحقيقي منشئ الجيـل الثـاني الـذي جمـع في واحـد عناصـرَ جميـع الشـعوب الـتي كـانت ترمـز إليهـا مختلـف أنـواع الحيوانـات في السفينة.

فبعد مجيئه سترعى الذئاب الروحيـة مـع النعـاج، وتحـوي كنيسـتُه العجل والثور والأسد التي ترعى معاً (أشعيا 11/6 ؛ 65/26).

وكما نراه اليوم، كـذلك ينقـاد الأمـراءُ الزمـنيون ويُرشـدهم رجـالُ الكنيسـة. فقـد نـزلت الحمامـة – كمـا يفسّـر البعض – الحمامـة الروحية وقت العماد لتظهر أنه ذاك الذي يخلّص المؤمـنين بخشـبة صليبه ؛ هو الذي كان عند المساء سيمنح الخلاص بموته.

11 – أقوال المخلّص عن الروح القدس

يمكن أيضاً تفسير هذه النصوص تفسيراً آخر. ولكن يحسن بنا

الآن أن نستمع الى ما يقوله المخلّص عن الروح القدس، إذ يقول : "ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت الله إلاّ إذا وُلد، وكان مولده من الماء والروح" (يو 3/5). ويقول إن النعمة تأتي من الآب :

"... أولى أباكم السماوي بأن يمنح سائليه الروح القدس" (لو 11/13). ويقول أيضاً إنه يجب عبادة الله بالروح : "ستأتي ساعة – بل أتت الآن – يعبد فيها العبُّاد الصادقون الآبَ بالروح والحق ؛ لأن الآب يريد مثل هؤلاء العبّاد. إن الله روح فيجب على العبّاد أن يعبدوه بالروح والحق" (يو 4/23 – 24). وأيضاً : أما اذا كنتُ بروح الله أطرد الشياطين ... (ثم يستطرد فيقول) : لذلك أقول لكم : كل خطيئة وكفر يُغفر للناس، وأما الكفر بالروح فلن يُغفر. ومن قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له، أما من قال على الروح القدس فلن يغفر له، لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة" (متى 12/28 ، 31 – 32). ويقول كذلك : "وأنا أسأل أبي، فيهب لكم مؤيداً آخر يبقى معكم الى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يتلقّاه، لأنه لا يراه ولا يعرفه. أما أنتم فتعرفونه، لأنه يقيم معكم وهو فيكم" (يو 14/16 – 18). ويقول أيضاً : "قلت لكم هذا الكلام وأنا مقيم معكم، ولكن المؤيِّد الروح القدس يُرسله الآب باسمي، فليعلّمكم جميع الأشياء ويذكّركم جميع ما قلته لكم" (يو 14/25 – 26). ويقول أيضاً : "ومتى جاء المؤيِّد الذي أرسله إليكم من لدن أبي، روح الحق المنبثق من الآب، فهو يشهد لي" (يو 15/26). ويعود المخلّص فيقول : "إن لم أمضِ فلا يأتكم المؤيِّد، أما إذا مضيت فأُرسله إليكم.

ومتى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبّر والحكم" (يو 16/7 – 8). ثم يستطرد فيقول : "لا يزال لديّ أشياء كثيرة أقولها لكم، ولكنّكم لا تطيقون الآن حملها. فمتى جاء روح الحق أرشدكم الى الحق كلّه، لأنه لا يتكلّم بشيء من عنده بل يتكلّم بما يسمع وينبئكم بما يحدث. سيمجّدني لأنه يأخذ مما لي ما يطلعكم عليه" (يو 16/12 – 15). لقد تلوثُ عليك كلام الابن الوحيد نفسه لكي لا تتمسّك بكلام البشر.

12 – المسيح يعد الرسل بالروح ويمنحه لهم

وقد مُنح الرسل شركة هذا الروح القدس، اذ كنت : "قال هذا، ونفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس، من غفرتم له خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم عليه الغفران يمسك عليه" (يو 20/22 – 23). وهذه هي المرّة الثانية التي نفخ فيها، إذ أن المرّة الأولى (تك 2/7) أظلمت بسبب الخطايا الإختيارية، لكي يتمّ ما كُتب : "وصعد نافخاً في وجهك ومنجيًّا إياك من الحزن" (ناحوم 2/1 سبعينية). ومن أين صعد؟ - من الجحيم، لأنه هكذا يروي الإنجيل : إنه نفخ فيهم بعد قيامته. ولكنّه الآن يُعطي النعمة ويهبها بغزارة، ويقول لهم : أنا الآن على استعداد لأن أُعطيها، ولكنّ الإناء لا يستطيع أن يحويها بعد ؛ فتتقبّلوا الآن النعمة بحسب استطاعتكم وانتظروا نعمة أوفر. "أما أنتم فامثكوا في مدينة أورشليم الى أن تنزل عليكم القوّة من العلاء" (لو 24/49).

تقبّلوا الآن جزءاً ولكن عندئذ ستحملونها كاملة، لأن الذي يتقبّل

لا ينل غالباً إلا قليلاً مما يعطى، ولكن الـذي يلبس الثـوب، فـالثوب يكسوه كلّه. إنه يقول : لا تخـافوا أسـلحة الشـيطان وسـهامه، لأنكم ستلبسون قوّة الروح القدس. (تذكروا ما قلنا أخـيراً من أن الـروح لا يتجزأ بل النعمة التي يمنحها).

13 – العنصرة

صعد يسوع الى السماوات ووفي بوعده، لأنـه سبق وقـال : "وأنـا أسأل أبي فيهب لكم مؤيداً آخـر" (يـو 14/16). فمكثـوا ينتظـرون مجيء الـروح القـدس. ولمّـا أتى يـوم العنصـرة _ هنـا في مدينـة أورشليم هذه، ممـا يشّـرفنا، إذ نحن لا نتكلّم عن أُمـور وقعت عنـد الآخـرين، ولكن عن تلـك الـتي حـدثت عنـدنا – فلمـا أتى يـوم العنصـر، كـانوا جالسـين، ونـزل المعـزّي من السـماء، حـارسُ الكنيسة ومقدّسها، مدّبر النفوس وربّان الذين تعصـف بهم الريـاح، حاملُ النور للتائهين، وحَكَم الذين يناضلون، ومكلّل الظافرين.

14 – العماد في الروح القدس

نـزل ليُلبِس الرسـل القـوّة ويعمـدّهم، لأن الـرب قـال : "أمـا أنتم فتعمَّدون في الروح القدس بعـد أيـام قليلـة" (أعمـال 1/5). ليسـت هذه نعمة جزئية بل هي القدرة بأكملها، لأنه، كمـا أن الـذي يغطس في المياه ويُعمَّد، يغمره الماء من كل جـانب، كـذلك هم عُمـدّوا في الروح القدس كاملاً. ولكن بينما المـاء يغمـر الجسـم من الخـارج، فإن الروح يعمّد النفس من الداخل دون أن يترك فراغاً.

ولماذا تستغرب؟ خذ مثلاً مادياً صغيراً متواضعاً، مفيداً للناس البسطاء ؛ اذا اخترقت النار سِمكَ الحديد حتى باطنه، حوّلت الكلّ الى نار. فما كان بارداً يصبح محرقاً، وما كان قاتماً يصبح لامعاً. فاذا كانت النار، وهي جسم، باختراقها جسم الحديد، قامت بهذا العمل من دون عائق، فلماذا تستغرب من قدرة الروح القدس على الدخول الى باطن النفس؟

15 – صوت من السماء وألسنة نارية

وحتى لا تجهل عظمة النعمة النازلة، حدث صوت أشبه ببوق سماوي. "فانطلق بغتة دويٌّ كريح عاصفة" (أعمال 2/2)، معلناً مجيء الذي يمنح البشر قوّة اغتصاب ملكوت الله (متى 11/12).

وذلك لكي ترى الأعينُ الألسنة النارية، وتسمع الآذان الصوت.

"وملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه" (أعمال 2/2)، وأصبح البيت أشبه بوعاء للماء الروحي. فامتلأ التلاميذ الذين كانوا جالسين فيه، وامتلأ البيت كلّه. وهكذا عُمدّوا بأكملهم وفقاً للوعد ؛ وأُلبسوا في الجسد وفي النفس ثوباً إلهياً خلاصياً. "وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار قد انقسمت، فوقف على كل منهم لسان، فامتلأوا جميعاً من الروح القدس" (أعمال 2/3 – 4). تلقّوا ناراً لا تحرق، ولكنّها نار خلاصية تحرق أشواك الخطايا وتنير النفس. وهو الذي سيأتي إليكم الآن ويقتلع خطاياكم التي هي أشبه بأشواك ويحرقها. ويجعل كنز نفسكم أكثر لمعاناً ويمنحكم النعمة، لأنه سبق ومنحها للرسل. لقد استقّر عليهم بشكل ألسنة نارية، لكي

تتوّج رؤوسهم بتيجان روحية من نوع جديد. في الماضي كان سيف من نار يحول دون اجتياز أبواب الفردوس؛ واليوم لسانٌ من نار خلاصي يستعيد النعمة.

16 – هبة اللغات

"وأخذوا يتكلّمون بلغات غير لغتهم، على ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا" (أعمال 2/4). فكان بطرس واندراوس الجليليّين يتكلّمان الفارسية والمادية، وكان يوحنا والرسل والآخرون يتكلّمون كلّ لغة مستعملة بين الشعوب. لأنه ليس في أيامنا بدأت جماهير الغرباء تجتمع هنا، بل منذ ذلك الوقت. أيّ معلّم كبير في استطاعته أن يعلّم حشداً كبيراً أشياء لم يسبق أن تعلّموها؟ لابد من دراسة قواعد اللغة والفنون سنوات طويلة حتى يمكن إجادة التحدث باللغة اليونانية، وليس الكلّ يجيدون الحديث بها. فاذا كان الخطيب يُجيد الحديث بها، فإن معلم قواعد اللغة لا يجيدها أحياناً. والذي يعرف قواعد اللغة يجهل العلوم الفلسفية. ولكن الروح القدس يُعلّم في آن واحد عدّة لغات، كان يستحيل على هؤلاء الرجال أن يتعلّموها، وإن خصّصوا لها طيلة حياتهم. هذه هي الحكمة العظمى، هذه هي القدرة الإلهية. أيّ وجه للمقارنة بين جهل أُولئك الذي قضوا معظم حياتهم في الدرس، وهذا التدّفق الفجائي العام المذهل لشتى اللغات فجأة؟

17 – دهشة الشهود

فوقعت بلبلة في جمهور المستمعين (أعمال 2/6). وهذه ثاني بلبلة تحدث، مضادة للأولى الشريرة التي حدثت في بابل (تك 11/1 – 9). وهناك بلبل اللهُ ألسنتهم لأنّ نيتهم كانت شريرة ضد الله ؛ أما هنا، فكان المقصود منها توحيد الأفكار، إذ كان الدافع إليها صالحاً. وحيث حصلت المعصية هناك حصل التجديد.

فدهش الناس وقالوا : "كيف يسمعهم كلّ منا يتكلّم بلغة بلده"؟ (أعمال 2/8). لا عجب إن كنتم لا تعلمون، لأن نيقودمس نفسه كان يجهل مجيء الروح ؛ وقد قيل له : "الريح تهبّ حيث تشاء فتسمع هزيزها، و لا تدري من أين تأتي والى أين تذهب" (يو 3/8). إن كنت حين أسمع صوته لا أعرف من أين يأتي، فكيف لي أن أُفسِّر ما هو جوهره؟

18 – نشوة الخمرة الجديدة

"وكان آخرون يقولون ساخرين : قد ارتوّوا من خمر جديدة" (أعمال 2/13). كانوا يقولون الحق ولكن على سبيل السخرية. فقد كانت فعلاً خمرةً نعمةُ العهد الجديد. ولكن هذه الخمرة الجديدة كانت من كرمة روحية قد أثمرت في الأنبياء وأنبتت في العهد الجديد. لأنه كما أن الكرمة، في النظام الطبيعي، تبقى دائماً على ما هو وتحمل ثماراً جديدة وفقاً للفصول، كذلك الروح يظلّ كما هو : لقد عمل في الأنبياء مراراً، وظهر اليوم بشكل جديد عجيب. إن النعمة قد حلّت على الأجداد، ولكنها هنا فاضت. هناك حصلوا

على المشاركة فيالروح القدس، أما هنا فعُمِّدوا فيه تماماً.

19 – النشوة الروحية

ولكنّ بطرس الذي كان يملك الروح القدس ويعرف ما كـان يملـك، قال : "أيهـا اليهـود – الـذين يكـرزون بيوئيـل ولا يفهمـون مـا هـو مكتوب – ليس هؤلاء سكارى، كما حسبتم ؛ إنهم سـكارى فعلاً، لا كما تظّنون، بل كمـا هـو مكتـوب : يرتُـوون من فيض بيتـك، ومن نهر لذّاتك تسقيهم" (مز 35/9). إنهم ثملون بنشوة تُميت الخطيئـة وتحيي القلب وتقاوم نشـوة الجسـد. فهـذه تنسـينا مـا نعـرف وتلـك تمنحنـا معرفـة مـا لا نعـرف نعم إنهم سـكارى بخمـرة الكرمـة الروحية ؛ فقد قال : "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" (يو 15/5).

"وإن كنتم لا تصدّقونني، فافهموا ما أقول بحسب الوقت، إنما نحن في الساعة الثالثة من النهار". (أعمـال 2/15). "فالـذي صـلب في الساعة الثالثة – بحسب مرقس (15/25) – أرسل إلينا الآن نعمتّـه في الساعة الثالثة ؛ ونعمة هذا لا تختلف عن نعمة ذاك.

فالذي صُلب عندئـذ يعـني بالوعـد الـذي عهـده. وإذا أردتم شـهادة فاسـمعوا : ومـا ذلـك إلا الـذي أوحى الى النـبي يوئيـل : قـال الله : سيكون في الأيـــام الأخـيرة فيض من روحي" (أعمـال 2/16 – 17). وهذه الكلمـة "فيض" تعـني عطيـة غزيـرة. "لأن الله وهب له الروح بغير حسـاب ؛ أن الأب يحبّ الابن فجعـل كـل شـيء في يده" (يو 3/34 ـ 35)، "وأعطاه السلطان أن يمنح الروح القدس لمن يشـاء. فيض من روحي أُفيضـه على النـاس أجمعين، فينـبئ بنوهم

زبنـاتهم. أجـل، في تلـك الأيـام، أُفيض من روحي على عبـادي وعابداتي فيُنبئون" (أعمال 2/17 – 18).

إن الروح القدس لا يستثني أحداً. إنـه لا يبحث عن الكرامـات بـل عن النفوس التقيّة. فلا يتكبّر الاغنياء ولا يتواضـع الفقـراء، ولكن فليستعدّ كلّ واحد لتقبّل النعمة السماوية.

20 – الروح القدس في الأعمال والرسائل

لقد تكلّمنا اليوم كثيراً، ولعلّ آذانكم تعبت. ومـع ذلـك هنـاك أشـياء كثيرة للقـول. وفي الحقيقـة لا بـدّ من عظـة ثالثـة، بـل من عظـات أخرى لمعاجلة العقيدة الخاصـة بـالروح القـدس. وأرجـو المعـذرة لهاتين العظّتين. إن عيد الفصح قد اقـترب، وقـد أطلنـا في عظتنـا اليوم ؛ ومع ذلك لم نستطع أن نضع في متناولكم كلّ شهادات العهد الجديد. إذ لا تزال هنـاك أشـياء كثـيرة نقولهـا عن أعمـال الرسـل حيث نعمـة الـروح القـدس عملت في بطـرس وفي سـائر الرسـل. هنـاك أشـياء كثـيرة نقولهـا عن الرسـائل الجامعـة ورسـائل بـولس الأربـع عشــرة. ولــذلك ســنحاول الآن أن نقتطــف بعض هــذه الشهادات كما تقتطف الزهور في مـروج واسـعة، حـتى تحفظوهـا في ذاكرتكم.

21 – أعمال الروح القدس في بداية الكنيسة

لأنه بقدرة الروح القـدس وبـإرادة الآب والابن، وقـف بطـرس مـع الأحد عشر، ورفع صوته كما هو مكتوب : "إرفعي صوتك بقوّة

يا مبشّرة أُورشليم" (أشعيا 40/9). وبشبكة كلماته الروحية اصطاد ثلاثة آلاف نفس. وقد عملت هذه النعمة أيضاً في جميع الرسل معاً، بحيث أن عدداً كبيراً من هؤلاء اليهود الذين صلبوا المسيح، آمنوا واعتمدوا باسم المسيح، "وكانوا يتابعون تعليم الرسل ... والصلاة" (أعمال 2/42). وبذات قوّة الروح القدس، شفى بطرس ويوحنا باسم يسوع – عندما صعدا الى الهيكل معاً للصلاة في الساعة التاسعة – الرجلَ الذي كان مضَّجعا عند الباب الحسن، وهو مقعد منذ مولده، منذ أربعين سنة، ليتمّ ما هو مكتوب : "حينئذٍ يطفر الأعرج كالأيل" (أشعيا 35/6).

وبشبكة التعليم الروحية إصطادا خمسة آلاف مؤمن، وأثبتا الضلال على شيوخ الشعب ورؤساء الكهنة، وذلك ليس بحكمتهما (لأنهما كانا أميين وغير مثقفين)، ولكن بقدرة الروح القدس" (أعمال 4/8).

ونعمة الروح القدس التي أثمرت على أيدي الرسل الإثنى عشر في جميع الذين آمنوا، بلغت حدًّا بحيث أنهم لم يكونوا يؤّلفون "الاّ قلباً واحداً ونفساً واحدة ... وكان كل شيء لهم مشتركاً بينهم" (أعمال 4/32) ؛ "وكان كلّ مَن يملك الحقول أو البيوت يبيعها ويأتي بثمن المبيع، ولم يكن فيهم محتاج"! (أعمال 4/34). أما حننيا وسفيرة اللذان كذبا على الروح القدس، فقد نالا العقاب الذي استحقاه.

22 – عجائب بقوة الروح القدس

"وكان يجري على أيدي الرسل بين الشعب كثير من الآيات و

الأعاجيب" (أعمال 5/12). وكانت النعمة الروحية فائضة على الرسل، بحيث كانوا يبدون مخيفين هم الودعاء ("ولم يجرؤ أحد أن يخالطهم، بل كان الشعب يعظّم شأنهم") (أعمال 5/13).

"وأخذ عدد المؤمنين بالرب يزداد بانضواء جماعات من الرجال والنساء، حتى أنهم كانوا يخرجون بالمرضى في الشوارع فيجعلونهم على الأسرّة، لعلّ ظلّ بطرس عند مروره يقع على أحد منهم.

وكانت الجماعات تبادر من المدن المجاورة الى أُورشليم هذه المقدسة، تحمل المرضى والذين بهم مَسّ من الأرواح النجسة فيشفون جميعاً" (أعمال 5/14 – 16)، بقوّة الروح القدس ذاتها.

23 – الروح القدس يعضد الرسل أمام الحكّام

وألقى رؤساء الكهنة الرسل الأثنى عشر في السجن مرّة أخرى، لكرازتهم بالمسيح. بيد أن ملاك الرب فتح أبواب السجن ليلاً، وأخرجهم بشكل لا يُصدّق (أعمال 5/18 – 19). ومن الهيكل جاؤوا الى المحفل أمام الرؤساء. فاستخدموا الحجج بلا خجل للرّد عليهم فيما يخصّ المسيح. وأضافوا هذا : "وهب اللهُ الروحَ القدس لمن يطيعه" (أعمال 5/32). "فجلدوهم ... أمّا هم فانصرفوا من المجلس مسرورين ... وكانوا يواظبون على التعليم والتبشير بيسوع المسيح" (أعمال 5/40 – 42).

24 – عمل الروح القدس في الشمامسة الأولين وخاصة اسطفانوس

ولكنّ نعمة الروح القدس لم تثمر فقط في الرسل الاثنى عشر،

بل كذلك في الأنباء الأبكار لهذه الكنيسة التي كانت فيما مضى عاقراً، وأعنى بهم الشمامسة السبعة. لأن هؤلاء اختيروا كما هو مكتوب : "ممتلئين من الروح القدس والحكمة" (أعمال 6/3).

ومن بينهم اسطفانوس الحسن الاسم "رجل مملوء من الإيمان والروح القدس، يأتي بأعاجيب وآيات مبينة بين الشعب" (أعمال 6/8). فتصدّى له مجادلوه ؛ لكّنهم "لم يستطيعوا أن يُقاوموا الحكمة والروح الذين ينطقان بلسانه" (أعمال 6/10). فرشيَ به وسيق الى المجلس ؛ وكان وجهه يشبه وجه ملاك (أعمال 6/15)، (لأن الذين كانوا في المجلس تفرّسوا فيه فرأوا وجهه يشبه وجه ملاك). وبعد أن افحم اليهود في ردّة المفعم حكمة، وأثبت عليهم أنهم "غِلاظ الرقاب وغُلف القلوب والآذان وما زالوا يقاومون الروح القدس ..."، "حدّق الى السماء ... فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله" (أعمال 7/51 ،- 55). انه لم يحدّق بقدرته الخاصّة، إذ يقول الكتاب : "وهو ممتليء من الروح القدس، حدّق الى السماء فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله" (أعمال 7/55).

25 – فيلّبس والروح القدس

وبنفس قدرة الروح القدس طرد فيلّبس، باسم المسيح، في مدينة السامرة، الأرواحَ النجسة التي كانت تصرخ بصوت عظيم.

وشفى المخلّعين والعمي، واكتسب للمسيح جميعاً غفيراً من المؤمنين. ولما نزل عندهم بطرس ويوحنا مَنحاهم، بالصلاة

ووضع الأيدي، الشركة في الروح القدس، التي استُبعد منها وبحقّ سيمونُ الساحر. ودُعي مرّة أخرى من ملاك الرب على الطريق بسبب الخصيّ الحبشي التقى. وسمع الروح القدس يقول له بوضوح : "تقدّم والحق هذه المركبة" (أعمال 8/29). فعلّم الحبشيَّ وعمدّه وأرسله الى الحبشة يبشّر بالمسيح، وفقاً لما هو مكتوب : "وتبسط كوش يديها الى الله" (مز 67/32). ولما خطفه الملاك أخذ يبشّر المدن الواحدة تلو الأخرى.

26 – عمل الروح القدس في بولس

وبهذا الروح القدس ذاته امتلأ القديس بولس بعدما دعاه ربّنا يسوع المسيح. والشاهد لنا على هذه الأقوال هو حننيا البار من سكّان دمشق، إذ قال له : "إنَّ الربّ يسوع الذي تراءى لك في الطريق التي قدمت منها قد أرسلني إليك لتبصر وتمتلئ من الروح القدس" (أعمال 9/17). وإذ قال هذا لمَس عينيه وحوّل عمى عيني بولس الى بصر، وختم نفسه بختم المعمودية، وجعل منه إناءً مختاراً يحمل اسم الرب الذي ظهر له الى الملوك وبني اسرائيل (أعمال 9/16).

والذي كان فيما مضى مضطهداً، جعله مبشراً وخادماً صالحاً. نشر الإنجيل من أورشليم حتى الإلليريكوم. وعلّم حتى رومة الإمبريالية، وأعرب عن رغبته في تبشير اسبانيا (رومه 15/24)، وتحمّل ألف مشقّة وأتى بآيات وأعاجيب. ويكفي الآن ما قلناه عنه.

27 - ... وعمل الروح القدس في بطرس

وبقدرة الروح القدس أيضاً شفى بطرس – هامةُ الرسل وحامل مفاتيح ملكوت السماوات – باسم الرب يسوع، إينياسَ المخلّع في اللّد التي تدعى الآن ذيوسبولس (أعمال 9/32 – 35). وفي يافا أقام من الأموات المحسنة طابيتا (أعمال 9/36 – 42). ولما كان على السطح رأى رؤيا، هكذا السماء مفتوحة وشيء كسماط عظيم ينحدر الى الأرض عليه من جميع أشكال وأنواع الحيوانات ... وتعلّم ألاّ يقول عن أحد إنه دنس أو نجس وان كان من عابدي الأصنام. وعندما دعاه كرنيليوس. قال له الروح القدس نفسه علنا : "هناك رجال يطلبونك، فقم وأنزل اليهم، واذهب معهم غير مردَّد فإني أنا أرسلتهم" (أعمال 10-19). ولكي يظهر الله بوضوح أن المؤمنين الذين هم من الأمم يصبحون شركاء في نعمة الروح القدس – عندما وصل بطرس الى قيصيرية وعلّم ما يخصّ المسيح – يقول الكتاب عن كرنيليوس والذين كانوا حاضرين معه : "وبينما بطرس يتكلّم نزل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون العظمة" (أعمال 10/44). بحيث أن المؤمنين المختونين الذين رافقوا بطرس دهشوا، اذ رأوا هبة الروح القدس أُفيضت أيضاً على الوثنيين !

28 – بوحي الروح القدس يُسمّى التلاميذ "مسيحيين"

ولما انتشرت الكرازة بالمسيح في أنطاكية، مدينة سوريا الشهيرة، أرسل من هنا إلى أنطاكية برنابا ليساعد على عمل الخير.

"وكـان رجلاً صـالحاً ممتلئـاً من الـروح القـدس ومن الإيمـان" (أعمـال 11/24). ولمـا رأى كـثرة عـدد الـذين آمنـوا بالمسـيح، استقدم من طرسوس رفيقه بولس، فعلّما خلقـاً كثـيراً وأدخلاهم في الكنيسة.

"وفي أنطاكيـة اتخـذ التلاميـذ أول مـرّة اسـم المسـيحيين" (أعمـال 11/26). وكـان الـروح القـدس، على مـا أظن، هـو الـذي فـرض على المؤمنين الاسـم الـذي أعلنـه الـربّ من قبـل ("ويـدعو عبيـده باسـم آخـر") (أشـعيا 65/15). وأفـاض الله نعمـة الـروح القـدس بغزارة في انطاكية ؛ ولذلك قام فيها أنبياء ومعلّمون بينهم اغابُس . "وبينمـا هم يقضـون فريضـة العبـادة للـرب ويصـومون، قـال لهم الروح القدس : افردوا لي برنابا وبولس لأمر ندبتهما اليه" (أعمال 13/3). فوضـعوا عليهمـا أيـديهم، فأرسـلهم الـروح القـدس. من الواضح إذن أن الروح القدس الذي يتكلّم ويُرسل هو حيّ قائم بذاته وعامل، كما سبق وقلنا.

29 – الروح القدس يحرّر المسيحيين من الشريعة اليهودية

هذا الروح القدس الذي بالاتحاد مع الآب والابن ألف العهد الجديد في الكنيسة الجامعـة وحرّرنـا من أعبـاء النـاموس المرهقـة أعـني بذلك التقاليد الخاصة بالدنس والنجس، بالطعام، بالسبوت ورؤوس الأهلّة، بالختان والتطهيرات والذبائح ... هذه الأشياء الـتي أُعطيت لزمن، وكان لهـا ظـلّ الخـيرات المستقبلة، قـد أُلغيت بحـق عنـدما جاءت الحقيقـة. لأنـه على إثـر المشـكلة التى أثارهـا في أنطاكيـة هؤلاء الذين كانوا ينادون بضرورة الختان والتزام كل التقاليد

الموسوية، أُرسِل بولس وبرنابا، وحرّر الرسلُ الذين كانوا هنا في أورشليم الأرضَ كلّها من التقاليد الناموسية والرمزية بموجب الرسالة التي كتبوها. ومع ذلك لم يعطوا هذا القرار قوّة الالتزام من عندهم كما يعترفون بذلك في ما كتبوه : "قد رأى الروح القدس ورأينا نحن ألاّ يُلقى عليكم من الأعباء سوى ما لا بدّ منه، وهو اجتناب ذبائح الأصنام والدم والميتة والزنى" (أعمال 15/28 ـ 29). وقد اثبتوا بوضوح بما كتبوا أن المكتوب، ولو أنه صدر عن بشر، إنما هو أمر الروح القدس للعالم أجمع. وتلسّم بولس وبرنابا هذا القرار وأذاعاه في الأرض كلها.

30 – الروح القدس يقود مهمّة بولس الرسولية

الآن وقد بلغت هذا الحدّ من عظتي أطلب الصفح من محبتكم أو بالأحرى من الروح القدس الذي كان يسكن في بولس. كنت لا استطيع أن أبسط كل شيء بسبب ضعفي أولاً، ثم لما انتابكم من إعياء لسماعكم لي. لأنه مِن أني لي أن أروي بجدارة كلّ الأعمال.

التي أتى بها بولس بقدرة الروح القدس باسم يسوع ؟ الأعمال التي قام بها في قبرص وخذل بها عليم الساحر (أعمال 13/5 ـ 13). وفي لسترة عندما شفى رجلاً كسيحاً (أعمال 14/7 ـ 11)، وفي كيليكية وفريجية وغلاطية وميسية ومكدونية، أو ما حدث في فيلبّي وأعني كرازته وطرده "روح عرّاف" باسم المسيح (أعمال 16/16 ـ 18)، والخلاص الذي حصل عليه السجّان وأهل بيته بالعماد بعد الزلزال الذي زعزع أركان السجن (أعمال 16/25 - 34).

أو ما فعله في تسالونيكي، وخطابه في آثينا أمام محفل الأريوباغُس (أعمال 17/15 ـ 34)، أو تعاليمه في كورنتس وكل مقاطعة أكائية. كيف لي أن أُروي بجدارة الأعاجيب التي صنعها بولس في أفسس بفضل الروح القدس ؟ فقد كان أهل هذه المدينة لا يعرفون الروح القدس من قبل، ولكنّهم آمنوا به بعد تعليم بولس : "ووضع بولس عليهم يديه فنزل الروح القدس عليهم، وأخذوا يتكلّمون بلغات غير لغتهم ويتنبأون" (أعمال 19/6 ـ 7). وكانت نعمة الروح القدس عليه الى حدّ أنه، ليس فقط بمجرّد لمسه كان يعد الصحة، بل "ما مسّ بدنه من مناديل أو مآزر فيضعونها على المرضى فتزول الأمراض عنهم وتذهب الأرواح الخبيئة" (أعمال 19/12 ـ 13). وحتى الذين كانوا يزاولون السحر، "جاؤوا بكتبهم فاحرقوها بمحضر من الناس كلّهم" (أعمال 19/19).

31 – (تابع)

وأنا لا أذكر إلاّ عرضاً ما حدث في تراوس عندما غلب النوم على الغلام افطيخس فسقط من الطبقة الثالثة الى أسفل وحُمل ميتاً، لكن بولس أنقذه (أعمال 20/7 ـ 12). وإني أترك نبوءاته الى شيوخ الكنيسة الذين استدعاهم من أفسس الى ميليطش اذ قال لهم بصراحة : "إن الروح القدس كان ينبئني في كل مدينة بأن القيود والشدائد تتربّص بي ..." (أعمال 20/23). وبهذه العبارة "في كل مدينة" كان بولس يظهر أن الأعاجيب التي كان يصنعها في

كل مدينة كانت تتم بقوّة القدس وبموافقة الله وباسم المسيح الذي يتكلّم فيه. وبقوّة هذا الروح القدس، كان بولس يسرع الى هذه المدينة المقدسة أورشليم على الرغم من أن أغابس تنبأ له بالروح نفسه بكل ما سيحدث له. ومع ذلك، كان، وهو في طريقه، يكرز بكل ثقة ما يخصّ المسيح. ولما حضر الى قيصرية وظهر أمام المحاكم، تارة أمام فيلكس وطوراً أمام الوالي فسطُس، ثم أمام الملك أغريبّا، تلقّى بولس من الروح القدس نعمة عظيمة من الحكمة بحيث أن اغريبَّا ملك اليهود، قال : "زد قليلاً من الجهد تجعل مني مسيحياً" (أعمال 26/28). وهذا الروح القدس نفسه هو الذي وهبه ألاّ يصيبه مكروه عندما لدغته أفعى في جزيرة مالطة (أعمال 28/3 ـ 5)، وأن يشفي مرضى كثيرين. وهذا الروح القدس أيضاً هو الذي قاد إلى رومة، عاصمة الأمبراطورية، هذا المبشّر بالمسيح، الذي كان فيما مضى مضطهداً له. وهناك أقنع عدداً كبيراً من اليهود بأن يؤمنوا بالمسيح. وإلى الذين كان يعاندون وينصرفون، اكتفى بأن يقول : "صدق الروح القدس في قوله لآبائكم بلسان النبي أشعيا ..." (أعمال 28/25).

32 – تُثبت الرسائل عمل الروح القدس

أما كون بولس قد امتلأ من الروح القدس، هو وسائر الرسل الآخرين، وجميع الذين آمنوا بعدهم بالآب والابن والروح (المساوي لهما في الجوهر)، فيتّضح ذلك من رسائله عندما يقول : "ولم يعتمد كلامي وبشارتي على أسلوب الاقناع بالحكمة، بل على

ظهور الروح والقوّة" (1 كور 2/4). وكذلك : "الله هو الذي ختمنا بخاتمه وجعل في قلوبنا عربون روحه" (2 كور 1/22). وأيضاً : "... الي أقام يسوع من بين الأموات يُحيي أيضاً أجسادُكم الفانية بروحه الحالّ فيكم" (رومه 8/11). وفي رسالته الى تيموتاوس : "إحفظ الوديعة الكريمة، بعون الروح القدس الذي حلّ فينا" (2 تيمو 1/14).

33 – الروح القدس يُنبيء بالمستقبل

عن كون الروح القدس قائماً بذاته، يحيا ويتكلّم ويتنبأ، فقد سبق أن تكلّمنا عن ذلك مراراً في عظاتنا السالفة. وقد كتب بولس الي تيموتاوس بوضوح : " ... والروح يقول صريحاً إن بعضهم يرتدّون عن الإيمان في الأزمنة الأخيرة" (1 تيمو 4/1). وهذا ما نراه، ليس فقط في الأيام السالفة، بل في أيامنا، من جرَاء الانشقاقات وأضاليل الهراطقة المتنوّعة. وقال أيضاً : " ... هذا السرّ الذي لم يطلّع عليه بنو البشر في القرون الماضية، وكُشف الآن في الروح لرسله وأنبيائه الأطهار" (افسس 3/5). وأيضاً : "لذلك. كما يقول الروح القدس ..." (عبر 3/7). وأيضاً : "وذلك ما يشهد به الروح القدس أيضاً ..." (عبر 10/15). وعندما يتحدّث الى المجاهدين لأجل البّر، يقول : "إلبسوا خوذة الخلاص وتقلّدوا سيف الروح، أي كلام الله. أقيموا كلّ وقت الصلاة والابتهال في الروح" (أفسس 6/17 – 18). وأيضاً : "لا تشربوا الخمر لتسكروا، فإنها تدعو الى الفجور، بل دعوا الروح يملأكم،

ولكن حديثكم تلاوة مزامير وتسابيح وأناشيد روحانية" (أفسس 5/18 – 19). وأخيراً : "لتكن نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس معكم جميعاً" (2 كور 13/13).

34 – الكتاب المقدس يُعلّم أُلوهيّة الروح القدس

ويتّضح من كلّ هذه النصوص، ومما لم نستطع أن نُورده من نصوص أخرى أكثر منها، أن قوّة الروح القدس قائمة بذاتها ومقدّسة وعاملة. ويُعوزني الوقت اذا أردت أن أُورد ما بقي من شهادات عن الروح القدس في رسائل بولس الأربع عشرة التي ضمّنها تعليمه بشكل متنوّع كامل وديني. فلتعمل فينا قوّة الروح القدس لكي تمنحنا نحن الغفران لتركنا هذه الشهادات، بسبب قلّة الوقت، ولتتّم فيكم، أنتم يا مستمعيّ، معرفةُ ما تبقّى. وعلى الغيورين منكم أن يتعلّموا هذه الأشياء بقراءتهم المتواصلة للكتب الإلهية.

على إثر هذه العظات وما قلناه من قبل، إن إيمانكم أصبح أكثر ثباتاً "بإله واحد، آب ضابط الكلّ، وبربنا يسوع المسيح ابنه الوحيد، وبالروح القدس المعزّي". هذه الكلمة وهذه التسمية "روح" مستعملة كاسم مشترك في الكتب الإلهية إذ يقال عن الآب "الله روح"، كما هو مكتوب في انجيل القدس يوحنا (4/24) ؛ وعن الابن : "الروح أمام وجهنا، المسيح الروح" كما يقول ارميا النبي (مراثي 4/20) ؛ وعن الروح القدس : "... ولكن المؤيّد، الروح القدّس ..." (يو 14/26). ولكنه يستبعد حتى ضلال سابيليوس.

فلنعد في عظتنا الآن الى ما هو أهمّ وأكثر فائدة لنا.

35 – الإيمان بالروح القدس لقبول العماد

حذار أن تتقرّب من خدّام العماد – كما فعل سيمون قديماً – وأنت تتظاهر بمسيحيتك، على أن قلبك لا يبحث عن الحق. فما علينا نحن إلاّ أن نحذّر، وعليك أنت أن تؤمن نفسك. إن بقيت ثابتاً في الإيمان فطوبى لك. وان انكرت الإيمان فارجع إليه منذ اليوم وأرسخ فيه. وفي وقت العماد، عندما تتقدّم من الأساقفة أو الكهنة أو الشمامسة (لأن النعمة في كل مكان، في القرى والمدن، عند البسطاء والنبلاء، عند العبيد والأحرار، بما أنها ليست نعمة آتية من البشر، بل هبة يمنحها الله بواسطة البشر)، فتقدّم أنت من المعمّد دون أن تُبدي اهتماماً بالشخص الظاهر أمامك، بل اذكر الروح القدس الذي نتحدّث عنه الآن. لأنه هو الحاضر أمامك ليختم نفسك بخاتمه، هذا الختم الذي ترتعد منه الشياطين، هذا الختم السماوي الإلهي، كما هو مكتوب : "وفيه، بعد ما آمنتم، خُتمتم بالروح القدس الموعود" (أفسس 1/13).

36 – ضرورة الإستقامة للعماد في الروح القدس

انه يمتحن النفس "ولا يُلقي لؤلؤه الى الخنازير" (متى 7/6).

فإن تظاهرتَ سيعمدّك الناس، ولكن الروح لن يعمدّك. ولكن اذا أتيت بدافع الإيمان، فإن الناس يمنحونك ما هو منظور والروح القدس يعطيك ما هو غير منظور. أنت تأتي لتفتيش مهمّ وتجنيد

عظيم يفترض ساعة من الوقت. إن أضعت هذه الساعة فإن الضرر لن يُعوّض. وبالعكس اذا استحققت هذه النعمة، فإن نفسك ستستنير وتتقبّل قوّة لم تكن لديك، وتتسلّم أسلحة تُفرغ الشياطين.

واذا لم تُلق هذه الأسلحة بل حافظت على الختم في نفسك، فإن الشيطان لن يقترب لأنه سيفرغ ؛ وحتى الشياطين ستُطرَد بروح الله.

37 – لا تحزنوا الروح القدس الذي به ختمتم ...

إن آمنت لن تنال فقط غفران خطاياك، بل ستقوم بأعمال تفوق القوى البشرية وستحصل بمشيئة الله على موهبة النبوءة. لأنك سوف تتلقّى نعماً بقدر ما في طاقتك، وليس بقدر ما أقول، لأنه قد يحدث أن أقول القليل، وأنت تتلقّى الكثير، بما أن الإيمان جهاد طويل. ان المعزّي حارسك يظلّ دائماً معك ويعتني بك اعتناءه بجنديّه الخاص، في دخولك وخروجك وضدّ كل من يُضمر لك العداء. وسيعطيك هبات ونعماً من كل الأنواع، إن كنت لا تحزنه بالخطيئة. لأنه مكتوب : "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي خُتمتم ليوم الفداء" (أفسس 4/30). هل من الصعب، أيها الأحباء، أن تحافظوا على النعمة؟ كونوا على استعداد لتقبّل النعمة، وبعدما تقبّلتموها فلا تطرحوها عنكم.

38 – ثمار الروح

ليت إله كل شيء ذاته، الذي تكلّم في الروح القدس بالأنبياء، والذي أرسله على الرسل هنا يوم العنصرة، يُرسله الآن عليكم

ويحفظنا به، مانحاً إيانا جميعاً نعمـة مشـتركة، لكي نعطي في كـل حين ثمار الروح القدس : "المحبة والفرح والسـلام، وطـول الأنـاة واللطـف، ودماثـة الأخلاق والأمانــة، والوداعـة والعفـاف"! (غلا 5/22 – 23)، في المسيح يسوع ربّنا الذي به ومعه ومـع الـروح القدس نرفع التمجيد للآب الآن وإلى أبد الدهور. آمين.

العظة الثامنة عشرة

" ... وبكنيسة واحدة مقدّسة جامعة ؛ وبقيامة الجسد والحياة الأبدية"

"كانت عليّ يد الرب، فأخرجني الرب بالروح ووضعني في وسط البقعة وهي ممتلئة عظاماً. وأمرّني عليها من حولها، فإذا هي كثيرة جداً على وجه البقعة، وإذا بها يابسة جداً ... فقال لي : تنبأ على هذه العظام، وقل لها : أيتها العظام اليابسة، إسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام : هاءنذا أُدخِل فيك روحاً فتحيين"
(حز 37/1 – 6).

1 – الإيمان بالقيامة أصل كل عمل صالح

أملنا في القيامة هو أصل كل عمر صالح. فانتظار المكافأة يقوى النفس للعمل الصالح. لأن كل عامل مستعدّ لتحمّل المشاق اذا توقّع أجراً على مشاقّه. أما الذين يشتغلون بلا أجر، فإن نفوسهم تخور مع أجسادهم. فالجنديّ الذي ينتظر مكافأة مستعد للحرب.

لا يقاتل أحد ويعرّض نفسه للموت في سبيل ملك طائش لا يدفع للذين يخدمونه. ثمن أتعابهم. هكذا كل نفس تؤمن بالقيامة، تحرص بطبيعة الحال على نفسها. ولكنّ النفس التي لا تؤمن

بالقيامة تستسلم الى الهلاك. فمن يؤمن أن جسده يبقى للقيامة، يحرص على ثوبه، فلا يدّنسه بالدعارة. ولكن الذي لا يؤمن بالقيامة يستسلم للدعارة مستغلاً جسده كما لو كان غريباً عنه. فعظيم إذن تعليم الكنيسة المقدسة الجامعة، وعظيم الإيمان بقيامة الأموات. إنها لّعقيدة ضرورية يعارضها الكثيرون، ولكنها قابلة التصديق لأنها حق.

2 – اعتراضات اليونانيين والسامريين

وإليكم ما يقوله لنا اليونانيون والسامريون : الإنسان الذي يموت بنهار ويفسد، ويتحوّل كلّه الى دود، والدود يموت. فمن أنى له أن يقوم بعد أن نال من جسده مثل هذا الفساد، ومثل هذا الانحلال؟

السمك يأكل الغرقى وهو بدوره يؤكل. تفتك الدبية والأسود بالذين يقاتلونها وتسحق عظامهم وتلتهمهم. تتغذّى النسور والغربان من جثث الموتى الذين لم يُدفنوا، ثم تطير في جميع أنحاء العالم، فكيف يمكن أن يُجمع الجسد ثانية؟ وقد يحدث أن يموت بعض هذه الطيور في الهند أو في بلاد فارس، والبعض الآخر عند الغوط، وأن تلتهم النار البعض الآخر، وتنثر الأمطار والرياح رمادها، فكيف يمكن جمع الجسد بعد ذلك؟

3 – إن الله على كل شيء قدير

بالنسبة لك، أيها الإنسان الصغير الضعيف، الهند بعيدة عن بلاد الغوط، وإسبانية عن بلاد فارس ؛ ولكن بالنسبة لله الذي يُمسك

العالم في قبضة يده (أشعيا 40/12)، كل شيء قريب.

فلا تنسب العجز لله بسبب ضعفك، بل الأفضل لك أن تعمل حساب قدرته. ألا تعطي الشمس – وهي عمل صغير من أعماله – الحرارة للعالم بومضة واحدة من أشعتها؟ ألا يكتنف الهواء الذي صنعه الله كل شيء في العالم؟ أفيكون الله الذي خلق الشمس والهواء بعيداً عن العالم الى هذا الحدّ؟ إفترض معي أنك خلطت بذوراً مختلفة (لأن لك أنت الضعيف في الإيمان أعرض أمثالاً ضعيفة) ووضعت حفنة منها في قبضة يدل، أيكون من الصعب أو السهل عليك، أنت الإنسان، أن تفرز ما في قبضة يدك وأن تجمع البذور كلاً منها بحسب نوعها؟ إن كنت تستطيع أن تفرز الأشياء التي في قبضة يده ويُعيدها الى أصلها؟ إعتبر ما أقول، أليس من الكفر أن تنكره؟

4 – العدل والقيامة

إعتبر أيضاً مبدأ العدل وفكّر فيه ملياً في نفسك. لنفرض أن عندك خدماً كثيرين، بعضهم صالحون والبعض الآخر أشرار. أنت تقدّر الصالحين وتضرب الأشرار. وإن كنت قاضياً، تكافيء الصالحين وتعاقب الأشرار. وهكذا يكون الحق عندك محفوظاً، أنت الإنسان الفاني، وعند الله ملك الأشياء كلها، الذي لا يخلفه أحد، لا تكون هناك مكافأة للبرّ؟ أنه لمن الكفر أن ننكر ذلك. فكّر بهذا : هناك قتلة كثيرون ماتوا بلا عقاب على أسرّتهم، فأين هي عدالة الله؟

وكثيراً ما يكون القاتل مسؤولاً عن خمسين جريمة قتل، ولا يُقطع رأسه إلاّ مرّة واحدة، فاين ينال العقاب عن التسعة والأربعين جريمة الأخرى؟ إن لم تكن هناك دينونة ومجازاة بعد هذه الدنيا، فأنت قد تتهم الله بالظلم. ولكن لا تستغرب تأخرّ هذه الدينونة، فكل مقاتل لا يُكرم أو يهان إلاّ بعد إنتهاء الحرب.

ولم يحدث قط أن حَكَما كلّل الذين لا يزالون يتصارعون، بل هو ينتظر إنتهاء المصارعة، وبعد التحكّم يوزع الجوائز والأكاليل.

هكذا يفعل الله : ما دام الصراع لا يزال قائماً في هذا العالم، يقوم لمساندة الأبرار جزئياً، لكنه بعد ذلك يمنحهم المكافآت كاملة.

5 – إيمانٌ ضمني بالقيامة

إن لم تكن هناك قيامة الأموات، كما تظن، فلماذا تدين الذين ينتهكون حرمة القبور؟ إن كان الجسم يفنى بدون أمل القيامة، فلماذا يعاقب لصّ القبور؟ هل ترى أنك وأنت تنكر القيامة بشفتيك، لا تزال مقتنعاً بها في أعماق نفسك؟

6 – الطبيعة تلّمح الى القيامة ...

ثم إن الشجرة التي تُقطع تعود فتزدهر، والإنسان الذي يتلاشى ألا يعود فيزدهر؟ والحبوب التي تُزرع وتحصد تبقى على البيدر، والإنسان الذي يحصد في هذا العالم ألا يظل على البيدر؟ وأغصان الكرمة وغيرها من الأشجار التي تقطع وتغرس في موضع آخر، تعود فتحيا وتأتي بثمار ؛ والإنسان الذي لأجله تُوجد هذه

الأشجار، اذا سقط على الأرض، ألا يعود فيقوم من جديد؟ وإذا نحن قارنّا بين المصاعب، فأي شيء أصعب، أن نصنع تمثالاً لم يكن موجوداً، أو أن نعيد صياغته في القالب نفسه بعد تحطيمه؟ فالله الذي خلقنا من العدم، هل يعجز عن قيامتنا نحن الموجودين الساقطين؟ ولكنك لا تؤمن بالأشياء التي كتبت عنالقيامة، لأنك يوناني. أُنظر ما يحدث في طبيعة الكائنات، وفكّر في ما لا يزال يُرى الى اليوم. فمثلاً يزرع القمح أو أي نوع آخر من الحبوب ؛ تسقط الحبة، تموت وتتلاشى، وتصبح غير صالحة للغذاء. ولكن ما تلاشى ينبت عشباً، وما سقط صغيراً ينهض أكثر جمالاً. وقد خلق القمح لأجلنا، لأن القمح والحبوب لم تخلق لذاتها بل لفائدتنا. فهذه الأشياء التي صنعت لأجلنا تسترّد الحياة بعد موتها، ونحن الذين لأجلنا صنعت هذه الأشياء، ألا نقوم ثانية بعد موتنا؟

7 - ... في الحيوان وفي النبات

نحن في فصل الشتاء، كما ترى، والأشجارتبدو الآن كأنها ميتة : أين أوراق التينة، أين عناقيد الكرمة؟ ولكن ما يبدو ميتاً في الشتاء يخضّر في الربيع ؛ وعندما يحين الوقت ترجع إليه الحياة كأنما هي تعاوده بعد الموت. وإذا يرى الله عدم إيمانك، جعل هذه الكائنات الحسية تستعيض الحياة كل سنة، حتى عند رؤيتك ما يحدث في الكائنات الجامدة تؤمن به في الكائنات الحية العاقلة.

كذلك يحدث كثيراً أن الذبابة أو النحلة التي إختنقت في الماء ترجع الى الحياة بعد ساعة. وإن الضفادع التي تظلّ بلا حركة طيلة

الشتاء تدّب فيها الحياة في الصيف. (لأنك تفكّر في أمور دنيئة تعطى لك أمثال من ذات القيمة). فالذي يمنح الحياة بصورة تفوق الطبيعة للكائنات غير العاقلة والحقيرة، ألا يمنحها لنا نحن الذين خُلقت هذه الكائنات لأجلهم؟

8 – مَثَل "العنقاء"

ولكن اليونانيين يطلبون قيامة ظاهرة للأموات، ويقولون : إذا كانت هذه المخلوقات قد قامت، فلأنها لم تكن قد تلاشت تماماً، ويحاولون أن يَروا، بصفةٍ أكيدة، حيواناً قام ثانية بعد تلاشيه. وإذ كان الله يعلم عدم إيمان البشر، فقد خلق طائراً يُدعى العنقاء. وهذا الطائر، كما كتب إقليمندس (في رسالته الى الكورنثيين، فصل 25) وكما يروي كثيرون غيره، فريدٌ في نوعه. فهو عندما يبلغ السنة الخمس مئة من عمره، يأتي الى بلاد مصر ليظهر القيامة. أنه لا يأتي الى الأماكن الصحراوية خوفاً من أن يظلّ حدوث السرّ مجهولاً، بل يظهر في مدينة معروفة حتى يلمس الناس ما لا يُصدّق. ذلك أنه يبني عشاً من اللبان والمرّ والطيب، ويدخل فيه عند نهاية حياته ويموت ظاهرياً ويتلاشى. ثم تولد دودة من لحمه الفاسد، ولما تكبر هذه الدودة تتحوّل الى طائر. لا تنكر ذلك لأنك تراه عند صغار النحل التي تتكوّن من ديدان. ولقد شاهدت ريش الطيور وعظامها وأعصابها المكوّنة من بيض سائل. ثم عندما تكتسي العنقاء المذكورة بالريش وتصبح كاملة كالسالفة، تحلق في الجو كالأولى التي ماتت، مظهرة للبشر قيامة الموتى. إن العنقاء

طير عجيب، ولكنه طير غير عاقل لا يسبّح الله. فهو يخترق الجو طائراً، ولكنه لا يعرف ابن الله الوحيد. وهكذا تمنح القيامة من الموت لطائر غير عاقل لا يعرف الخالق، ولنا نحن الذين يمجّدون الله ويعلمون بوصاياه، لا تعطى القيامة؟

9 – الله الذي خلقنا من أشياء ناقصة يستطيع أن يُقيمنا

ولكن بما أن ظاهرة العنقاء نادرة وبعيدة المدى، فأنت لا تزال منكراً. إليك إذن مثل آخر في ما تراه يومياً : منذ مئة أو مئتي سنة أين كنا، أنا الذي أتكلّم وأنتم السامعون؟ ألا نعرف مبدأ الأجساد الذي يكّون قوامنا؟ ألا تعرف أننا نولد من أشياء ضعيفة بسيطة لا شكل لها؟ ومما كان بسيطاً وضعيفاً تكّون الإنسان الحيّ. وما كان ضعيفاً أصبح جسداً وتحوّل الى أعصاب متينة، وأعين منيرة، وأنف يشمّ، وآذان تسمع ولسان يتكلّم وأيد تعمل، وأرجل تركض، وأعضاء متنّوعة. وما كان ضعيفاً أصبح مهندساً يبني السفن والمنازل، وصانعاً يزاول مختلف المهن اليدوية، وجندياً وأميراً ومشترعاً وملكاً. والله الذي خلقنا من أشياء ناقصة، ألا يستطيع أن يقيمنا من الأموات؟ والذي صنع الجسد من عنصر متواضع، ألا يستطيع أن يقيمه من الأموات؟ والذي أوجد ما لم يكن موجوداً، ألا يقيم ما هو موجود ومات؟

10 – مَثَل "القمر"

ولك في السماء وفي النجوم دليل ظاهر على قيامة الأجساد، وهو

دليل يتأكّد كلَّ شهر. ذلك أن القمر يستتر بكامله، بحيث لا يرى منه شيء. ثم يعود فيهلّ ويتزايد حجمه حتى يستردّ حالته السابقة. ولإيضاح هذه الظاهرة على الوجه الأكمل وفقاً لدور السنين، ينخسف القمر ويتحوّل ظاهرياً الى دم، ثم يستردّ الجُرم ضياءه من جديد. وقد جعل الله الأمور تسير على هذا المنوال، لكي لا تكون أنت أيها الإنسان المكوّن من دم، غير مؤمن بقيامة الموتى ؛ بل تراه يحدث في القمر، آمن بأنه سيحدث لك. إستخدم إذن هذه الأمثال ضد اليونانيين، إذ يجب أن تقاتل الذين لا يقبلون الكتب المقدسة بأسلحة غير كتابية، بل بالحجج والأدّلة، إذ هم يجهلونَ مَن هم موسى وأشعيا والإنجيل وبولس.

11 – شهادة العهد القديم بالقيامة

ولننتقل الى السامريين الذين يقبلون الناموس ولا يعترفون بالأنبياء. فقراءة حزقيال التي تليت عليكم تبدو لهم بدون فائدة، لأنهم، كما قلت، لا يسلّمون بالأنبياء. كيف إذن نقنع السامريين؟ لنبحث ما كتب في الناموس. يقول الله لموسى : "أنا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب" (خر 3/6)، أي بالتأكيد إله مَن هم لا يزالون في الوجود. لأنه لو كان إبراهيم وإسحق ويعقوب زالوا من الوجود، لكان الله إله من لا وجود لهم. كيف يستطيع إنسان أن يظهر ثروة لا يملكها؟ فلا بد إذن لإبراهيم وإسحق ويعقوب أن يكونوا في الوجود، حتى يكون الله إله الموجودين. إنه لم يقل "كنت" إلههم،

بل "أنا" إلههم. ولأن في الأمر دينونة، يقول إبراهيم للرب : "أديّان الأرض كلّها لا يَدين بالعدل"؟ (تك 18/25).

12 – استحالات أقوى من القيامة

لكن السامريين الأغبياء يعترضون على ذلك بقولهم إن مِنَ المحتمل جداً أن تكون نفوس إبراهيم وإسحق ويعقوب باقية، ولكن أجسادهم لا يمكن أن تقوم ثانية. وهكذا تصبح عصا موسى البار حية ؛ ولكن لا يمكن للأجساد أن تحيا وتقوم؟ واحد تحوّل على هامش الطبيعة، وآخر لا يتلقي بحالته السابقة ! وكذلك عصا هرون التي كانت قطعت ويبست، قد أفرخت بدون أن تُروى بالماء (عدد 17/1). وإن كانت في خباء المحضر، إلاّ أنها أزهرت كما لو كانت في الحقول. ورغم أنها كانت في مكان جاف، فقد أتت في ليلة واحدة بثمار لا ينتجها النبات الذي يُروى إلاّ بعد سنين طويلة. فكأن عصا هرون قد قامت من الموت، وهرون نفسه هلاّ يقوم؟ لقد صنع الله بالعصا معجزة ليحفظ لهرون رئاسة الكهنوت، أفلا يمنح لهرون نفسه القيامة. وتحوّلت امرأة الى ملح على خلاف الطبيعة وأصبح لحمها مِلحاً (تك 19/26)، أفلا يستردّ الجسد لحمه؟ أصبحت امرأة لوط عمود ملح، وامرأة ابراهيم هلاّ تقوم؟ بأية قوّة تحوّلت يد موسى فصارت بظرفِ ساعة بيضاءَ كالثلج ثم استردّت حالتها الطبيعية (خر 4/67)، لا شكّ في أنه بأمر الله. فالأمر الذي كان يفعل عندئذ ألم تعد له قوّة اليوم؟

13 – دحض مزاعم السامريين

من أين ولد الإنسان في البدء بشكل مطلق، أيها السامريون، يا أحمق الناس ! ارجعوا الى السِفر الأول من الكتاب المقدس الذي تسلّمون به أنتم أيضاً : "خلق الله الإنسان من تراب الأرض" (تك 2/7). لقد تحوّل التراب الى جسد، فهلاّ يستردّ الجسد طبيعته مرة

ثانية؟ يجب أن نسألكم : كيف تثبت السماوات والأرض والبحار، الشمس والقمر والنجوم؟ كيف تأتي الطيور والأسماك من المياه؟ وسائر الحيوانات كيف تأتي من الأرض؟ لقد خرجت ربوات ربوات من الكائنات من العدم الى الوجود، ونحن البشر الذين خلقنا على صورته، هلاّ نقوم من الموت؟ حقاً أن موقفهم مليء بعدم الإيمان، وعظيمة هي دينونة المنكرين. عندما يقول إبراهيم للرب : "أنه ديان الأرض كلها"، لا يؤمن الذين يدرسون الناموس. وعندما يقول الكتاب : "خلق الإنسان من تراب الأرض"، لا يؤمن الذين يقرأون.

14 – مناقشة تفسيرية

هذه النصوص إذن لغير المؤمنين، أما أقوال الأنبياء فهي لنا نحن المؤمنين. لكن بعض الذين يعترفون بالأنبياء لا يؤمنون بهذه الأمور المكتوبة، إذ لهم يعارضوننا بقولهم : "لا يقوم المنافقون في الدين" (مز 1/5). وكذلك "الإنسان الهابط الى الجحيم لا يصعد" (أيوب 7/9). وكذلك "ليس الأموات يسبّحون الرب" (مز 113/17). إنهم يسيئون استخدام ما هو مكتوب بحق.

لذلك سيحين بنا الآن، والفرصة موآتية، أن ندحضهم. لأنه اذا كتب : "لا يقوم المنافقون في الدين"، فهذا يعني أنهم يقومون لا للدينونة بل للعقاب. إذ الله ليس بحاجة الى تحقيق طويل، فالعقاب سيلحق بالمنافقين بمجرّد قيامهم. وإذا قيل "ليس الأموات يسبّحون الرب"، يعني أن وقت التوبة والغفران هو في هذه الحياة.

فالذين سيستفيدون منه هم يسبّحون الرب. وبعد الموت لا يُسمح للذين ماتوا في الخطايا بأن يسبّحوه كالذين فعلوا الخير، بل عليهم أن ينوحوا على أنفسهم. لأن التسبيح يليق بالذين يؤدّون الشكر، والنحيب بالذين هم تحت العقاب. وعليه فالأبرار يسبّحون الله، أما الذين ماتوا في الخطايا، فلن يكون لهم وقت للتوبة.

15 – الأنبياء يثبتون القيامة

أما فيما يختص بالآية القائلة : "الإنسان الهابط الى الجحيم لا يصعد"، فانظر الى ما كتب بعدها : "لا يصعد ولا يعود الى بيته" (أيوب 7/10)، عندما ينتهي هذا العالم ويُدمّر كل بيت، فمن أنّى له أن يقوم ويعود الى بيته، بما أنه ستكون هناك أرض جديدة؟ (2 بطرس 3/13). كان الأحرى بهم أن يستمعوا الى ما قال أيوب : "الشجرة لها رجاء، وإذا قطعت تخلف أيضاً وفراخها لا تزول. "وإذا تعتق في الأرض أصلها ومات في التراب جذرها، "فمن استرواح الماء تفرّخ وتنبت فروعاً كالغريسة. "والإنسان الفاني، متى فاضت روحه، ألم يعد له وجود"؟ (أيوب 14/7 – 11 سبعينية). إنه يتكلّم بلهجة لا تخلو من التأنيب واللوم. يجب قراءة

العبارة "ألم يعد له وجود"؟ إذ يقول : إذا كانت الشجرة التي تقع تقوم ثانية، أفلا يقوم الإنسان الذي لأجله خلقت الأشجار؟ ولكي لا تظن أني أحرّف النص، اقرأ ما يلي، إذ هو بعد أن قال مستفهماً : "والإنسان الفاني حتى فاضت روحه ألم يعد له وجود"؟ يستطرد فيقول : "لأنه اذا مات الإنسان فسيحيا". ثم يضيف على الفور : "سأنتظر حتى يحين ابتذالي" (أيوب 14/14). وفي موضع

آخر : "الذي سيقيم من التراب جلدي الذي تحمّل ذلك" (أيوب 19/25 – 26 سبعينية).

ويقول أشعيا النبي بدوره : "ستحيا الأموات ويستيقظ الذين في القبور" (أشعيا 26/19). وإليك ما يقول النبي حزقيال بكل وضوح : "هاءنذا أفتح قبوركم وأُصعدكم من قبوركم" (حز 37/12). ودانيال : "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الأبدي" (دانيال 12/2).

16 – شهادات إيليا واليشاع

وكثيرة هي النصوص الكتابية التي تشهد للقيامة. أجل هناك نصوص كثيرة أُخرى كثيرة في هذا الصدد، ونحن نكتفي الآن على سبيل التذكير، بالإشارة الى قيامة لعازر بعد أربعة أيام من موته (يو 11/39 – 44)، كما نذكر، بسبب ضيق الوقت، قيامة ابن الأرملة (لو 7/15 – 16)، وننّوه تنويهاً عابراً بقيامة إبنة رئيس المجمع (متى 9/25). وما عليكم إلاّ أن تطالعوا في

الإنجيل كيف "تصدّعت الصخور وتفتّحت القبور فقام كثير من أجساد القديسين الراقدين" (متى 27/51 – 53). وأذكروا بوجه خاص قيامةَ المسيح من الأموات، وأترك جانباً إيليا وابن الأرملة الذي أقامه (3 ملوك 17/19 – 24)، وأليشاع الذي أقام رجلين أحدهما أثناء حياته (4 ملوك 4/33 – 37)، والثاني بعد وفاته (4 ملوك 13/21)لأنه وحيّ أتم القيامة بروحه، ولكي تكرّم ليس فقط

نفوس الأبرار، ولكن لكي يُصدَّق كذلك أنه حتى في أجساد الأبرار تكمن قوّة، فالميت الذي ألقى في قبر اليشاع ومسّ جسد النبي الميت، عاش. فقام جسد النبي الميت بعمل النفس، ذلك أن ما كان ميتاً مُنح الحياة لميت وظلّ هو بين الأموات. ولِمَ ذلك؟ خوفاً من أنه لو كان اليشاع قام لغُريت المعجزة للنفس وحدها ؛ ولكي يُبرهن على أنه عندما تكون النفس غائبة، تكمن في جسد الأبرار بعضُ القوّة بسبب النفس البارّة التي سكنت فيه مدة سنوات وكان أداة لها. فلا نكن منكرين، يا أبنائي، كأن ذلك لم يحدث. لأنه اذا كانت "المآزر والمناديل" (أعمال 19/12) التي هي من الخارج، تشفي المرضى عندما تلمسهم، فكم بالحري يستطيع جسدُ النبي نفسه أن يقيم المائت.

17 – بطرس وبولس أقاما موتى

ولدينا ما نقوله عن هذه الأمور الشيء الكثير، لو كنا نريد أن نفحص بدقة الطابع الفائق الطبيعة عن الأحداث. ولكن بالنظر الى ما انتابكم من تعب من جرّاء صيام الأسبوع العظيم، ومن جرّاء

السهر، فقد زرعت هذه التعاليم على وجه السرعة وبعدد ضئيل، لكيما تقبّلتم هذه البذور كما تتقبّلها الأرض الطيّبة يمكنكم انماءها واستثمارها. واذكروا أن الرسل كذلك أقاموا أمواتاً : فقد أقام بطرس طابيتا في يافا، وأقام بولس أفطيخس في طرواس : وهكذا فعل باقي الرسل حتى ولو كانت معجزات كل منهم لم تكتب.

واذكروا كل ما قيل في الرسالة الأولى الى أهل كورنتس التي كتبها بولس ضدّ الذين كانوا يقولون : "كيف يقوم الأموات، وفي أي جسد يعودون" ! (1 كور 15/13). اذكروا أنه قال : "إن صحّ أن الأموات لا يقومون ... فالمسيح لم يقم ايضاً"! (1 كور 15/16). وأنه سمّى "أغبياء" الذين لا يؤمنون.

واذكروا كلّ التعليم الذي بسطه في هذه الرسالة عن قيامة الأموات، وكتب الى أهل تسالونيكي : "لا نريد، أيها الأخوة، أن تجهلوا مصير الأموات لئلا تحزنوا كسائر الناس الذين لا رجاء لهم ... (وما يتبع لاسيما هذا) ... فيقوم أولاً الذين ماتوا في المسيح" (1 تسا 4/13 – 16).

18 – الذي جعل الدودة تضيء سيجعل الإنسان البار وضّاء

ولاحظوا بوجه خاص هذه الآية حيث يقول بولس كأنما يشير بأصبعه : "فلا بدّ لهذا الكائن الفاسد أن يلبس ما ليس بفاسد، ولهذا الكائن الفاني أن يلبس الخلود" (1 كور 15/53). ان هذا الجسد سيقوم دون أن يبقى ضعيفاً كما هو الآن. ولكن هذا الجسد هو نفسه الذي سيقوم. وعندما يلبس عدم الفساد سيتغيّر شكله،

كالحديد في النار يصبح ناراً، أو بالأحرى كما يعلم الرب الذي يقيمه. إذن هذا الجسد سيقوم، ولكنه لن يبقى على ما هو الآن، لأنه سيلبس الخلود. انه لن يحتاج الى طعام للعيش، ولا إلى سلّم للصعود، لأنه سيكون روحانياً (1 كور 15/44). سيكون شيئاً عجيباً لا نستطيع الكلام عنه بجدارة : "والصدّيقون يُشعون حينئذ

كالشمس والقمر وكضياء الجَلَد". (متى 13/43) ؛ دانيال 12/3).
وإذ كان الله يتوقّع عدم إيمان البشر، فقد أعطى لديدان صغيرة جداً أن تُرسل من جسمها أشعّة وضّاءة، حتى اننا مما نرى نصدّق ما يجب أن نتوقعه. لأن الذي يمنح جزءاً يمكنه أن يمنح الكل. والذي جعل الدودة تضيء، فكم بالحري سيجعل الإنسان البار وضاءً !

19 – يشترك الجسد في مصير النفس

وعليه سنقوم ويكون لجميعنا أجساد خالدة، ولكن لن نكون كلّنا بأجساد متشابهة. فإذا كان الإنسان بارًّا سيتلقى جسداً سماوياً، كي يتمكن من العيش باستحقاق مع الملائكة. وإذا كان خاطئاً فسيتلقّى جسداً خالداً يمكّنه أن يتحمّل العقاب عن خطاياه، فيحترق أبدياً في النار بدون أن يفنى. ومن العدل أن يعامل الله هاتين الفئتين بهذه الكيفية، لأننا لا نعمل شيئاً بدون الجسد. اننا بالفم نجدّف وبالفم نصلّي ؛ بالجسد نرتكب الزنى، وبالجسد نحافظ على العفة. باليد نسرق وباليد نعمل الإحسان. وهذه هي الحالة في كل شيء. فبما أن الجسد إستخدم في كل شيء، ففي المستقبل يشترك بما سيحدث.

20 – فلنعمل على أن نستحق الميراث الأبدي

فلنصف إذن أجسادنا، يا إخوتي، ولا نستهتر بها كأنها ليست لنا. ولا نقل كالهراطقة أن ثوب الجسد غريب عنا، ولكن لنعتنِ به لأنه يخصّنا، لأننا سنؤدي حساباً للرب عن كل الأشياء التي صنعناها

بالجسد (2 كور 5/10). ولا تقل : لا يراني أحد ؛ ولا تظن أنه ليس هناك شاهد على أعمالك ؛ وغالباً لن يكون هناك شاهد بشري، ولكن الله الذي خلقنا شاهد لا يخطئ، أمين، يسكن في السماء ويرى ما نعمل. وأدناس الخطأة تبقى في أجسادكم. وكما أن الجرح الذي تفشّى في الجسد، يترك آثارها في الجميع. ولن تزول إلاّ آثار الذين تلقوا العماد. فالله إذن يشفي بالعماد جروحَ النفس والجسد. ولكننا نحذّركم عموماً من الجروح المستقبلة، حتى تحفظوا طاهراً ثوبَ الجسد، ولا تنساقوا وراء الدعارة والملذات أو أية خطيئة أخرى، لكي لا نفقد الخلاص السماوي ؛ بل لنرث ملكوت الله الأبدي الذي نلتمس من الله أن يجعلكم جميعاً مستحقين له بنعمته.

21 – حفظ قانون الإيمان ...

لقد قلنا ما فيه الكفاية لإثبات قيامة الموتى. أما قانون الإيمان الذي نكرّره عليكم فيجب تلاوته بعناية فائقة وحفظه حرفياً.

22 - ... وشرح ما تبقى منه

وينطوي قانون الإيمان بعد ذلك على هذا : "... وبمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، وبكنيسة واحدة مقدّسة جامعة، وبقيامة الجسد،

وبالحيـاة الأبديـة". لقـد تحـدّثنا عن المعموديـة وعن التوبـة في العظات الأولى. أما قيامة الموتى، فقد كنا نتحدث عنها الآن لنفسّر الكلمات "وبقيامة الجسد" ... يجب علينا أن نقول كلمة عمـا تبقّى : "وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة". يمكننا الكلام عنها طويلاً، ولكننا لن نقول عنها إلا القليل.

23 – لماذا تُسمّى الكنيسة "جامعة"

إنهـا تسـمى "جامعـة" لأنهـا منتشـرة في العـالم كلّـه، من أقاصـي الأرض الى أقاصـيها ؛ ولأنهـا تعلّم تعليمـاً شـاملاً معصـوماً عن الخطأ جميعَ العقائد الـتي يجب على البشـر التوّصـل الى معرفتهـا، عن الأشـياء المنظـورة وغـير المنظـورة، السـماوية والأرضـية ؛ ولأن الجنس البشري بأسره يخضع لها في شـؤون الـدين : الحكّـام والمحكومـون، العلمـاء والجهلاء ؛ ولأنهـا تعـالج وتشـفي عمومـاً جميع أنواع الخطايا التي ترتكب بالنفس والجسد ؛ وتملك في ذاتهـا كل ما يمكن تسـميته فضـيلة، بـالقول أو بالفعـل، وجميـع المـواهب الروحية.

24 - ... و "كنيسة"

وتسـمى "كنيسـة" أي جماعـة، بمعـنى أنهـا تـدعو جميـع البشـر وتجمعهم معاً. كما يقول الرب في سفر الأحبار : "واجمع كل

الجماعة الى باب خباء المحضر" (احبار 8/3). ومما يجدر ذكره أن هذه الكلمة "اجمع" استُعملت هنا لأول مرّة في الكتـاب المقدس، عنـدما عيّن الـربُ هـرونَ في رئاسـة الكهنـوت. ثم في تثنيـة

الاشتراع عندما قال الرب لموسى : "إجمع الشعب حتى أُسمعهم كلامي لمي يتعلّموا مخافتي" (تثنية 4/10) ؛ ويُذكر اسم الكنيسة لمناسبة لوحي العهد "المكتوبين باصبع الله وعليهما مثل جميع الكلمات التي كلّم الرب بها في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع" (تثنية 9/10)، كما لو أنه قال بوضوح : في اليوم الذي فيه دعاكم الله فاجتمعتم. ويقول صاحب المزامير : "أعترف لك في مجمع حافل، وفي شعب عظيم أسبّحك" (مز 34/18).

25 – الكنيسة أُحِلَّت محلّ الجماعة الإسرائيلية

وكان صاحب المزامير قد رنّم قبلاً : "في الجماعات باركوا الله السيّد، يا من هم من ينبوع اسرائيل" (مز 67/27). ولكن بالنظر الى أن اليهود، لتآمرهم على المسيح، قد أُبعدوا من النعمة، فقد أنشأ المخلّص جماعة ثانية من الأمم، وهي كنيستنا نحن المسيحيين، التي قال لبطرس في صددها : "... وعلى هذا الصخر سأبني كنيستي، فلن تقوى عليها أبواب الجحيم". (متى 16/18).

وقد تنبأ داود عن هاتين الجماعتين : فقال بوضوح عن الأولى التي نُبذت : "أبغضت مجمع الأشرار" (مز 25/5) ؛ وقال في نفس المزمور عن الثانية التي أُنشئت : "يا رب اني أحببت محل بيتك".

وأضاف على الفور : "في الجماعات أُباركك يا رب" (مز

25/8 ، 12). ولما نبذت الجماعة الوحيدة التي كانت في اليهودية، تكاثرت كنائس المسيح في العالم اجمع، وهي التي قيل عنها في المزامير : "رنموا للرب ترنيماً جديداً، أقيموا تسبحته في

مجمع الأصفياء" (مز 149/1). وتحدّث النبي كذلك لليهود عن نتائج بنذهم : "إني لا مسّرة لي بكم، قال رب الجنود". ثم أضاف : لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الأمم" (ملاخي 1/10 — 11). وعن هذه الكنيسة المقدّسة الجامعة، كتب بولس الى تيموتاوس : "عليك أن تعلم كيف تتصرّف في بيت الله، أعني كنيسة الله الحيّ، عمود الحق وركنه" (1 تيمو 3/15).

26 – التمييز في استعمال كلمة "كنيسة"

وبما أن اسم "جماعة" "كنيسة" يستعمل في أمور مختلفة، كما هو مكتوب عن الحشد في مسرح أفسس : "وصرف الجماعة بعد هذا الكلام" (أعمال 19/40)، فيمكن القول بالمعنى الحقيقي إن هناك كنيسة الأشرار وجماعة الهراطقة، وأعني بهم اتباع مرقيون وماني وغيرهم. لذلك فإن قانون الإيمان يعلّمك ما يجب أن تؤمن به بتأكيد : "وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة"، لكي تتجّنب.

اجتماعاتهم المرذولة، وتبقى دائماً في الكنيسة المقدسة الجامعة التي وُلدت فيها من جديد. واذا سافرت يوماً الى مدن أخرى فلا تسأل فقط : أين بين الرب؟ (لأن بدع المُلحدين الأخرى تسمّي كهوفها "بيوت الرب")؛ ولا أين "الكنيسة" فقط، بل أين

"الكنيسة الجامعة"؟ لأن هذا هو اسم هذه الجماعة المقدسة التي هي أُمُّنا جميعاً، وعروس ربّنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد (لأنه

مكتوب : "كما أحَبَّ المسيح الكنيسة وضحّى بنفسه من أجلها ... (أفسس 5/25) وما يلي ...)، وهي صورة "الأورشليم العليا التي هي حرّة وهي أمنا جميعاً" (غلا 4/26). وكانت في ما مضى عاقراً وأصبح لها الآن أولاد كثيرون.

27 – ميزات الكنيسة

وعندما نُبذت الأولى، ففي الثانية، في الكنيسة الجامعة كما يقول بولس : "أقام الله ... الرسل أولاً والأنبياء ثانياً والمعلمين ثالثاً، ثم منح هبة المعجزات والقدرة على الشفاء والإسعاب وحسن الإدارة والتكلّم بمختلف اللغات" (1 كور 12/28) وكل أصناف الفضيلة، أعني بذلك : "الحكمة والفهم، القناعة والعدل، الرحمة والصلاح، وطول الأناة في الاضطهاد. هذه الكنيسة، بسلاح البرّ، سلاح الهجوم وسلاح الدفاع، بالكرامة والهوان، بسوء الذكر وحسنه" (2 كور 6/6 – 8). كللّت الشهداء القدّيسين في الاضطهادات والمخاطر بمختلف أكاليل الصبر المزدهرة. وهي تتلقّى الآن بنعمة الله، في هذه الأزمنة السلامية، الإكرام والشرف الذي تستحقّه من جانب الملوك وأصحاب المناصب، ومن كل جنس وعنصر بشري. وفي حين أن ملوك مختلف الأمم، لهم حدود لسلطتهم بحسب الأماكن، فإن الكنيسة الجامعة وحدها لها في العالم أجمع سلطة غير محددة. لأنه كما هو مكتوب : "وضع الله السلام

حداً لها" (مز 147/14). ولو كنت أُريد أن أقول عنها كل شيء لاحتجتُ لساعات كثيرة.

28 – "... وبالحياة الأبدية"

وبعد أن نتلقّى التعليم ونقضي حياة صالحة في هذه الكنيسة الجامعة، ننال ملكوت السماوات ونرث الحياة الأبدية التي من أجلها نتحمّل كل شيء للتمتع بها من قبل الله. لأن هدفنا لا يقتصر على أشياء صغيرة، إنما نحن نجاهد في سبيل الحياة الأبدية. لذلك تعلّمنا في قانون الإيمان انه بعد كلمات "وبقيامة الجسد" – أي قيامة الأموات التي تحدّثنا عنها – علينا أن نؤمن "بالحياة الأبدية" التي يجب علينا نحن المسيحيين أن نكافح في سبيلها.

29 – الحياة الأبدية في الكتب المقدسة

إذن الحياة الحقيقية الحقّة هي الآب الذي بالابن في الروح القدس فجّر للجميع ينابيعَ العطايا السماوية. وفي محبته للبشر وعدنا بخيرات الحياة الأبدية. ويجب علينا ألاّ نرفض الإيمان بأن هذا مستطاع. ويجب أن نؤمن بذلك، لا بالنظر الى ضعفنا، ولكن باعتباره قدرة الله "لأن الله على كل شيء قدير" (متى 19/26).

أما عن كون هذا الأمر مستطاعاً، وعن كوننا ننتظر الحياة الأبدية، فهذا ما يقوله دانيال : "والذين هم بين الأبرار الكثيرين سيكونون كالكواكب الى الدهر والى الأبد" (دانيال 12/3 سبعينية).

ويقول بولس : "فنكون مع الرب دائماً أبداً" (1 تسا 4/17).

وعبارة "مع الرب دائماً" معناها الحيـاة الأبديـة. ويقـول المخلّص بكـل وضـوح في الإنجيـل : "فيـذهب هـؤلاء الى العـذاب الأبـدي، والأبرارُ الى الحياة الأبدية" (متى 25/46).

30 – الطرق المؤدية الى الحياة الأبدية

كثيرة هي الأدلة على الحياة الأبديـة. أمـا نحن الـذين يرغبـون في امتلاك هـذه الحيـاة الأبديـة، فالكتـاب المقـدس يُرشـدنا الى طـرق الحصول عليها. اننا لن نبسط الاّ بعض هذه الشهادات بسبب طول العظـة، تـاركين لمن هم أكـثر اجتهـاداً عنايـة البحث عن الأدلـة الأخرى. تقول بعض النصوص إنـه بالإيمـا، لأنـه مكتـوب : "من يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية" (يو 3/36). ويقول هو نفسه أيضاً : "الحق الحق أقـول لكم : من يسـمع كلامي ويـؤمن بمن أرسـلني، فلـه الحيـاة الأبديـة" (يـو 4/36). وأحيانـاً بالاستشـهاد من جـرّاء الاعـتراف بالمسـيح، إذ يقـول : "ومن كـره حياتـه في هـذه الـدنيا حفظها للحياة الأبدية" (يو 12/25). وأيضـاً بـترك المـال والأهـل لأجل المسيح : "ومن ترك أخوة أو أخوات ... يرث الحياة الأبدية" (متى 19/29)، أو بحفظ الوصايا "لا تقتل، لا تـزنِ، لا تسـرق، لا تشهد بالزور"، كمـا ردّ يسـوع على الـذي دنـا منـه وسـأله : "أيها المعلم الصالح، ماذا اعمل لأنال الحياة الأبديـة"؟ (مـتى 19/19 ، 16). وكذلك بتجنّب الأعمال الشريرة وبخدمة الله، إذ يقول بولس : "أمـا الآن وقـد أُعتقتم من الخطيئـة وصـرتم عبيـداً لله، فـانكم تحملـون الثمـر الـذي يقـود الى القداسـة، وعاقبتـه الحيـاة الأبديـة" (رومه 6/22).

31 – رحمة الله فتحت الطريق للحياة الأبدية

وهناك طرق كثيرة أخرى للحصول على الحياة الأبدية، وقد تركتها لكثرتها. لأنه بما أن الرب صالح فهو لم يفتح فقط باباً أو بابين بل أبواباً كثيرة لدخول الحياة الأبدية، حتى يتمتع بها الجميع بدون عائق بقدر ما الأمر منوط به. هذا ما قلنا موجزاً عن الحياة الأبدية التي هي آخر تعليم قانون الإيمان وغاية الإجهار به. ليت الله بنعمته يجعلنا نتمتع بها جميعاً، أنا الذي أعلّم وأنتم الذين يسمعون.

32 – الحث على قبول الأسرار المقدسة

وفضلاً عن ذلك، أيها الأخوة الأحباء، تحثكم هذه العظة المقصود بها تعليمكم، على إعداد نفوسكم لتقبّل العطايا السماوية.

وعليه فقد سلّمنا اليكم عقائد الإيمان المقدس الجامع الذي بشرّناكم به، بنعمة الله، في عدد من العظات، بقدر المستطاع، في أيام الصيام الأربعيني المنصرمة. هذا ليس معناه أن ما قلنا كان كل ما يمكن القول فيه، اذ ان نقطاً كثيرة قد تركت جانباً من المواضيع التي كان يجب تعليمها، ولربما كان في استطاعة معلّمين آخرين ان يعالجوها بشكل أفضل. لكن يوم الفصح المقدس اقترب، وكذلك يوم استنارة محبتكم في المسيح بحميم الميلاد الثاني. فتعلّموا إذن الأشياء التي يجب معرفتها كما يريد الله : بأية تقوى وبأي نظام يجب أن تدخلوا، عندما تُستدعون لإتمام مراسيم العماد المقدس.

وبأيـة تقـوى وبـأي نظـام يجب عليكم، عنـد عـودتكم من العمـاد، التقرُّب من مذبح الله والتمتـع بالأسـرار السـماوية الروحيـة، لكيمـا تعرف نفوسكم، وقد استنارت بتعليم الكلمة، عظمة كلّ من العطايـا التي منحها الله لكم.

33 – النبأ بعظات الأسرار

وبعد يوم الفصـح المقـدس الخلاصـي، ستسـمعون في كـل يـوم من أيام الأسبوع، ابتداء من يوم الإثنين، ان شـاء الله، وقـد اجتمعتم في مكان القيامة، حالاً بعد القداس، عظات أخرى تتعلّمون فيها أسباب كل حفلة أُقيمت، والأدلة عليها مستقاة من العهدين القـديم والجديـد. أولاً كـل مـا سـبق العمـاد مباشـرة، ثم كيـف طهـرّكم الـربُ من خطاياكم "بغسل الماء وكلمة الحياة" (افسـس 5/25)، وكيـف على غرار الكهنة، أصبحتم شركاء في اسم المسيح، وكيـف أُعطيتم ختم موهبة الروح القدس. وستتعلّمون كذلك أسرارَ العهد الجديـد الـتي جـرت في المقـدس وابتـدأت من هـذا المكـان، ومـا أوردتـه الكتب الإلهية عنها، وما هي قوّتها، وكيـف يجب الاقـتراب منهـا، وكيـف ومتى يمكن تقبّلها. وفي النهاية ستتعلّمون كيف يقتضـي عليكم من الآن فصاعداً أن تتصرّفوا، سواءً في أقوالكم أو في أفعـالكم، حـتى تستحقوا النعمة، وحتى تستطيعوا جميعاً التمتع بالحياة الأبدية. كل ذلك سيقال لكم، ان شاء الله.

34 – الدعوة للاستنارة في العماد

"إذن، أيهـا الأخـوة، إفرحـوا دائمـاً في الـرب، وأقـول لكم أيضـاً : إفرحـوا" (فيلـبي 4/4)، "لأن خلاصـكم قـريب" (لـو 21/28)،

وجيش الملائكة السماوي ينتظر خلاصك، وها هوذا "صوت منادٍ في البرّية : أعدّوا طريق الرب" (متى 3/3).

ويصرح النبي : "أيها العطاش جميعاً هلمّوا الى المياه". ثم يستطرد فيقول : "إسمعوا لي سماعاً وكلوا الطيّب، ولتتلذذ بالدسم نفوسكم" (اشعيا 55/1 – 2). وبعد قليل ستسمعون هذه الآية : "إستنيري، إستنيري يا أورشليم الجديدة، فإن نورك قد وافى" (اشعيا 60/1). وقد سبق للنبي ان قال بخصوص أورشليم هذه : "وبعد ذلك تدعين مدينة العدل، القرية الأمينة صهيون" (اشعيا 1/26)، لأن من صهيون خرج الناموس، ومن أورشليم خرجت كلمة الرب وانتشرت في العالم اجمع. وإليها يتوّجه النبي متحدثاً عنكم : "إرفعي عينيك حواليك وانظري، بنورك قد اجتمعوا اليك" (اشعيا 49/18)، وهي تجيب : "مَن هؤلاء الطائرون كالسحاب وكالحمام الى كواها"؟ (اشعيا 60/8)، سحاب بالهبة الروحية، وحمام بالوداعة والبساطة. وأيضاً : "مَن سمع بمثل هذا، مَن رأى مثل هذه؟ "أتنتج أرض في يوم واحد، أم تولد أمّة في مرّة واحدة ؛ فإن صهيون أول ما تمخّضت ولدت بنيها" (اشعيا 66/8). كل الأشياء امتلأت فرحاً لا يوصف، لأن الرب قال : "هاءنذا اخلق أورشليم ابتهاجاً وشعبها سروراً" (اشعيا 65/18).

35 – مديح الثالوث الأقدس

وبودّي أن أقول عنكم الآن : "رنّمي أيتها السماوات وابتهجي أيتها الأرض، اندفعي بالترنيم، أيتها الجبال، فإن الرب قد عزّى شعبه

ورحم بائسيه" (اشعيا 49/13). إن هذه الأشياء ستحقق بصلاح الله الذي يقول لكم : "قد محوت كالسحاب معاصيك وكالغمام خطاياك" (اشعيا 44/24). وأنتم ستستحقّون اسم مؤمنين، هؤلاء المؤمنين الذين كُتب عنهم : "ويدعو عبيده باسم آخر يكون مباركاً على الارض" (اشعيا 65/15 ـ 16). فتقولون بابتهاج : "تبارك إله ربنا يسوع المسيح وأبوه، "باركنا في المسيح كل بركة روحية في السماوات ... فكان لنا منه الفداء بدمه والصفح عن الزلاّت على مقدار نعمته الوافرة" (أفسس 1/3 ، 7 - 8).

وأيضاً : "لكن الله الواسع الرحمة، وقد أحبّنا حبًّا شديداً، أحياناً مع المسيح وكنا أمواتاً من جرّاء زلاتنا" (أفسس 2/4 – 5).

وبدوركم سبّحوا الرب صانع كل خير قائلين : "فلما ظهر لطفُ الله مخلّصنا ومحبته للبشر، لم ينظر الى ما قدّمنا من أعمال البرّ، بل شاءت رحمته أن يخلّصنا بغسل الميلاد الثاني والتجديد الآتي من الروح القدس، أفاضه علينا وافراً بيسوع المسيح مخلّصنا، حتى نبّرر بنعمة المسيح ونرث في الرجاء الحياةَ الأبدية" (تيطس 3/4 – 7).

أسألأ إلهَ ربنا يسوع المسيح، أبا المجد، أن يهب لكم روحَ حكمة يكشف لكم عنه تعالى، لتعرفوه حق المعرفة، وأن يُنير بصائر قلوبكم" (أفسس 1/17 – 18). وليحفظكم دائماً في الأعمال والأقوال والأفكار الصالحة. له المجد والكرامة والملك بربنا يسوع المسيح، مع الروح القدس، الآن والى أبد الدهور. آمين.

العظات الخمس :

في الأسرار

العظة التاسعة عشرة، الأولى في الأسرار

في العماد : المراسيم الإفتتاحية

"كونوا متزّهدين أيقاظاً. إن إبليس خصمكم كالأسد
الزائر يرود في طلب فريسة له، فدافعوه راسخين في
الإيمان، عالمين أن أخوتكم المنتشرين في العالم يعانون
آلام نفسها. وإذا تألمتم قليلاً، فإن إله كل نعمة، الإله
الذي دعاكم الى مجده الأبدي في المسيح، هو الذي
يعافيكم ويثبتكم"

(1 بطرس 5/8 – 10)

1 – هلمّوا تعلّموا ما حصل فيكم يوم عمادكم

كان بوّدي، من زمن بعيد، يا أبناء الكنيسة الحقيقـيين الأعـزاء، أن أُعلّمكم هـذه الأسـرار الروحيـة السـماوية. ولكن بمـا أني كنت أعرف أن البصـر في التعليم أكـثر فائـدة من السـمع، فقد انتظـرتُ حتى الآن، وقد أصبحتم أسهل إنقيـاداً من جـرّاء مـا اكتسـبتموه من خبرة، لكي أقودكم بيدكم في المرج الأكثر شـياء، وعطـراً من هـذا الفردوس. لقد تبيّن أنكم أُهلّتم للاشتراك في أسرار أكثر قداسة، بعد أن استحققتم قبولَ العماد الإلهي المحيي. فيجب أن أُعِدَّ لكم مائـدةَ تعليم أكمل. فدعوني أُعلِّمكن بكل دقّة لكي تعلموا ما حصل فيكم

في مساء عمادكم.

2 – جحد الشيطان يرمز إليه فرعون مصر

لقـد دخلتم أولاً رواق مكـان العمـاد، ووقفتم متَجهين نحـو الغـرب وأخذتم تنصتون. فتلقّيتم الأمر ببسط أيديكم، وكفرتم بالشيطان كما لو كـان حاضـراً. يجب أن تعلمـوا أن رمـز هـذه الحفلـة نجـدُه في العهد القديم. ذلـك أنـه عنـدما كـان فرعـون، هـذا الظـالم المفـتري القاسي، يضطهد شعبَ العبرانيين الأصيل الحرّ، أرسل الله موسـى ليحـرّرهم من عبوديـة المصـريين المضـنية. وبـدم الحَمَـل دهنـوا أبـوابهم لكي يـرى ملاك الهلاك علامـةَ الـدم على بيـوتهم، فيعـبر عنها. وبطريقة تدعو الى العجب، نجا شعب العبرانـيين. فـانطلق العدو في إثر الذين استردّوا حرّيتهم. وعندما رأى البحر قد انشـقّ لهم بأعجوبة إندفع وراءهم، فغمرته فجأة مياه البحر الأحمـر (خـر 14/22 ، 30).

3 – موسى مثال المسيح

وانتقِلـوا الآن من العهـد القـديم الى العهـد الجديـد، من الرمـز الى الحقيقـة. فهنـاك أرسـل الله موسـى الى مصـر، وهنـا أرسـل الآب المسيح الى العالم لكي يحـرّر الـذين كـانوا يشـقَون في العـالم تحت نير الخطيئة.

هناك دم الحَمَل الذي أبعد المهلك، وهنا دم الحمـل الـبريء، يسـوع المسيح (1 بطرس 1/19). هو الذي حمل الشـياطين على الفـرار. هناك طارد الظالمُ المستبّد هذا الشعبَ القديم حتى البحر، وهنا كان هذا الشيطان الجرئ الشرير يطاردكم بلا خجل حتى ينبوع

الخلاص. فغـرق الأول في ميـاه البحـر، واختفى الثـاني في ميـاه الخلاص.

4 – رمز التوجّه نحو الغرب

والآن، أنت تسمع الأمر الصادر إليك ببسط يدك نحو الشيطان كما لو كان حاضراً، وبالقول : "أنا أكفر بك، أيها الشيطان".

ومن الضروري أن أقول لكم أيضاً لماذا كنتم واقفين، متجهين نحو الغرب : الغرب هو منطقة الظلمات المرئية، والشيطان الذي هو ظلام يبسط سلطانه على الظلمات. ورمزاً لذلك إتجهتم بأنظاركم نحو الغرب، وأنتم تكفرون بذلك القائد المظلم الكئيب. ما هي العبارة التي لفظها كل منكم، وهو واقف؟ "أنا أكفر بك، أيها الشيطان الشرير القاسي المستبّد" أي ما معناه : أنا لم أعد أخشى قوّتك، لأن المسيح سحقها، إذ إشترك معي في الدم واللحم ليبطل الموت بالموت (عبر 2/14 – 15)، ولا أظلّ تحت نير العبودية. أنا أكفر بك أيها الثعبان الماكر والصانع كل شرّ. أنا أكفر بك أنت الذي يحيك الشِراك ويرتكب كل إثم تحت قناع الصداقة ؛ أنت الذي أوحى لأبوينا الأولين معصيتهم الأولى. أنا أكفر بك، أيها الشيطان، الصانع والمحرّض على كل فساد.

5 – جحد الخطيئة ...

وهناك صيغة ثانية تعلّمك أن تقول : "وبكل أعمالك". وأعمال الشيطان هي كل خطيئة، ويجب التخلّي عنها، كما يُلقَى سلاح

الظالم عندما تترك خدمته. فكل خطيئة، على مختلف أنواعها، تدخل في أعمال الشيطان. وأعلم على كل حال أن كل ما تقوله في هذه الساعة الرهيبة يسجّل في كتب الله. وعليه إن كنت ترتكب عملاً مخالفاً لهذه الأقوال، فأنت ستُحاكم كمن يحنث بيمينه.

أنت إذن تكفر بأعمال الشيطان، أي بكل الأفكار والأعمال المخالفة للصواب.

6 - ... وأباطيل الشيطان

ثم تقول : "... وبكل أباطيلك". وأباطيل الشيطان هي منكرات المسرح وسباق الخيل، ومطاردة الوحوش في الميدان وكل الأباطيل من هذا القبيل التي يطلب القديس من الله أن ينقذه منها قائلاً : "إصرف عيني عن النظر الى الباطل" (مز 118/37). لا تسعَ الى منكرات المسرح حيث ترى تمثيل بعض مشاهد من الحياة بحركات جسدية مُزرية، وتحضر رقصات جنونية لرجال مخنثين.

وتجنب مطاردة الوحوش في الميدان حيث يتعرّض القنّاصة لأنياب الوحوش الضاربة رغبة في إشباع بطونهم الجائعة. إنهم يودّون العناية ببطونهم بتأمين الطعام لها، ولكنهم في الواقع يُصبحون هم طعام الوحوش المفترسة. والحقيقة أنهم يعرّضون حياتهم في هذه المصارعات الفردية لإرضاء الههم الخاص، وأعني به بطونهم (فيلبي 3/19). وأهرب كذلك من سباق الخيل حيث تضمحل قوى النفوس وتتلاشى. كل ذلك في الواقع هو أباطيل الشيطان.

7 – وغير ذلك من الأباطيل

وكل ما يُعلّق في مجتمعات عبدة الأصنام وفي أعيادهم، سواء من لحم أو خبز أو أي شيء آخر من هذا القبيل، كل ذلك دنس بسبب استدعاء الشياطين النجسة، ويعتبر من أباطيل الشيطان. وكما أن

خبز الإفخارستيا وخمرها هما عاديان قبل استدعاء الثالوث الأقدس، كذلك هذه الأطعمة المخصّصة لأباطيل الشيطان هي بطبيعتها أطعمة عادية، ولكنها تصبح نجسة باستدعاء الشياطين عليها.

8 - ... وعبادات الشيطان

وبعد ذلك تقول : "... وبجميع عباداتك". عبادات الشيطان هي الصلوات التي تقام في معابد الأصنام، والإكرام الذي يُؤدي للأصنام الجَامدة، مثل إضاءة المصابيح أو رفع البخور بجوار الينابيع والأنهار، كما يفعل البعض ممن تخدعهم الأحلام أو يغرّهم الشيطان، ظنًّا منهم أنهم سيجدون فيها الشفاء لأمراضهم الجسدية أو ما شابه ذلك من مزايا أخرى. فعليك أنت ألاّ تزاول مثل هذه الأعمال. وتُعتبر من عبادات الشيطان أيضاً أعمال العِرافة والتنجيم والفأل والأحجبة والأفعال السحرية والخرافية وما شابهها. فتجنّب كل ذلك لأنك لو انسقت إليها، بعد أن تكون قد كفرت بالشيطان وتبعت المسيح، ستجد المستبّد أكثر قوّة. (إذ لربما كان في الماضي يعاملك كأحد أتباعه المخلصين، فكان يريحك من قسوة عبوديته، ولكنك تكون في هذه المرّة قد أثرت

حنقه عليك) وستحرم من المسيح وتتعرّف الى الشيطان. ألم تسمع ما أورده العهد القديم في لوط وبناته؟ (تك 19/15 ـــ 29). ألم ينجُ مع بناته بعد أن لجأ الى الجبل، في حين أن زوجته تحوّلت الى عمود ملح وأصبحت أشبه بنُصب أُقيم الى الأبد، ليذكرنا برغبة فاسدة ونظرة ألقيت الى الوراء؟ فأحرص على نفسك، وبعد أن

تكون وضعت يدك على المحراث (لو 9/62)، فلا تتراجع إلى الوراء نحو الأفعال المرّة لهذه الحياة، بل تخلّص الى الجبل (تك 19/17) نحو يسوع المسيح، فإنه "الحجر الذي انقطع، لا باليدين، وملأ الأرض" (دانيال 2/34).

9 – التوّجه الى الشرق والجهر بالإيمان

فأنت إذن عندما تكفر بالشيطان، تدوس بقدميك كل ميثاق معه (أشعيا 28/15) وتسحق الأحلاف المعقودة مع الجحيم.

وعندئذ ينفتح أمامك فردوس الله الذي "غرسه في عدن شرقاً" (تك 2/8) وطرد منه أبونا الأول لعصيانه (تك 3/23). ورمزاً لذلك إتجهت من الغرب نحو الشرق الذي هو منطقة النور. وعندئذ طُلب منك أن تقول : "أؤمن بالآب والابن والروح القدس ... وبمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا". وعن هذا الموضوع حدّثتك العظاتُ السابقة حديثاً وافياً بموهبة نعمة الله.

10 – ابقوا متيقّظين

فلتثبّتك هذه الكلمات وابقَ متيقظاً، "لأن إبليس خصمنا كالأسد الزائر يرود في طلب فريسة له" (1 بطرس 5/8). لقد كان الموت، فيما مضى، شديدَ البأس مفترساً ؛ ولكن الله، في غُسل

الميلاد الثاني المقدس، مسح الدموع عن كل الوجوه (رؤيا 21/4 ؛ أشعيا 25/8). فأنت بعد الآن لن تكون أبداً حزيناً، بما أنك خلعت الإنسان العتيق، بل ستكون فرحاً بعدما ارتديت ثوب الخلاص، يسوع المسيح (رومه 13/14 ؛ غلا 3/27).

11 – إعلان باقي العظات في الأسرار

هذا كل ما حدث خارج مكان العماد. ولكن عندما ندخل، إن شاء الله، قدسَ الأقداس في شروحاتنا القادمة للأسرار المقدسة، سنتعلّم عندئذ معنى المراسيم التي تجري فيه. فلله الآب المجدُ والملك والعظة مع الابن والروح القدس الى أبد الدهور. آمين.

العظة العشرون، الثانية في الأسرار

في العماد

"أو تجهلون أنّا، وقد اعتمدنا في يسوع المسيح، إنما
إعتمدنا في موته، فدُفنا معه في المعمودية لنموت فنحيا حياة
جديدة كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب. فإذا
إتحدنا به في موت يشبه موته، فكذلك تكون حالنا في
قيامته ... فلا يكوننّ للخطيئة من سلطان عليكم من
بعد. فلستم حكم الشريعة ولكنكم في حكم النعمة"

(رومه 6/3 – 14)

1 – فائدة العظات في الأسرار

إنها لَكثيرة الفائدة هذه الشروحاتُ اليومية للأسرار ؛ هذه التعاليم الجديدة التي تبشّر بحقائق جديدة، ولاسيما لكم أنتم الذين تجددوا بانتقالكم من الإنسان العتيق الى الإنسان الجديد. ولذلك يجب أن أكمّل هذه الشروحات في الأسرار التي بدأتها بالأمس، لكي تعرفوا ما كانت ترمز إليه المراسيم التي أَدَّيتموها داخل مبنى العماد.

2 – خلعتم الرداء أي خلعتم الإنسان القديم

حالما دخلتم خلعتم رداءَكم، وكانت هذه صورة لخلعكم الإنسانَ القديم مع كل أعماله (كولسي 3/9). وإذ خلعتم ثيابكم أسبحتم عراة مقتدين بذلك بالمسيح الذي كان عارياً على الصليب، والذي

بعريـه، "خلـع أصـحاب الرئاسـة والسـلطة وعـاد بهم في ركبـه ظافراً" (كولسي 2/15). إذ بما أن القوّات المعادية كـانت تسكن في أعضـائكم، فلم يعـد من المسـموح لكم أن تلبسـوا هـذا الـرداء العتيق. إني لا أتحدّث عن هذا الثوب الذي يقع تحت الحواس، بـل عن "الإنسـان العـتيق الـذي تفسـده الشـهوات الخادعـة" (أفسـس 4/22). فعلى النفس الـتي خلعتـه ألاّ تسـتردّه ثانيـة، بـل لتقـل مـع عـروس نشـيد الأناشـيد : "خلعت ثـوبي فكيـف اسـتردّه"؟ (نشـيد 5/3). يـا لَلعجب ! إنكم ظهـرتم عـراة أمـام أعين الجميـع ولم تخجلوا، لأنكم تمثّلون فعلاً صورةَ الأب الأول آدم الذي كان عارياً في الفردوس بدون أن يخجل (تك 2/25).

3 – المسحة بالزيت

ولما خلعتم ثيابكم مُسحتم من قمـة رؤوسـكم حـتى أقـدامكم بـالزيت المُعزَّم. وأصبحتم شركاء في الزيتونـة البسـتانية (رومـه 11/24) يسـوع المسـيح. اذ انتُـزعتم من الزيتونـة البرّيـة وطُعّمتم في الزيتونـة البسـتانية، وأصـبحتم شـركاء لهـا في خصـب الزيتونـة الحقيقية.

فالزيت المعزّم كان يرمز إذن إلى المشـاركة في خصـب المسـيح، ويُبعد كل أثر لسلطان العدو. لأنه، كما أن نفخات القديسين

واسـتدعاء الله تحـرق الشـياطين كـاللهب المضـطرمة وتطـردهم، كذلك هذا الزيت المعـزَّم يتلقّى، باسـتدعاء اسـم الله والصـلاة، قـوّة التطهير بحرق آثار، لا الخطيئـة فحسـب، بـل يطـرد جميـع قـوات الشرّ غير المنظورة.

4 – العماد بالتغطيس

واقتـدُتم بعـد ذلـك الى البركـة المقدسـة للعمـاد الإلهي. كمـا حُمـل المسيح من الصليب حتى القبر الذي كان قريباً (يـو 19/42) وهـو أمامكم. وسُئل كل منكم إن كان يـؤمن باسـم الآب والابن والـروح القـدس، فـأدليتم بهـذا الاعـتراف الخلاصـي. ثم غطسـتم في المـاء ثلاث مرات وخرجتم منه، ممثلين بذلك دفَنَ المسيح الذي اسـتغرق ثلاثة أيام. لأنه، كما أن المخلّص بقي في جوف الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال (متى 12/40)، كذلك أنتم خـرجتم من المـاء أول مـرّة لكي تُمثّلوا اليوم الأول الذي قضاه المسيح في الأرض ؛ وغطسـتم فيـه لتمثّلـوا الليـل ؛ لأنـه كمـا أن الـذي في الليـل لا يـرى شـيئاً، وبالعكس الذي في النهار يحيا في النور، هكـذا أنتم عنـدما غطسـتم في الماء كأنكم دخلتم الليل المظلم لا ترون شيئاً، ولما خـرجتم منـه أصبحتم كمن هو في وضح النهار. وفي اللحظة ذاتها مُتم وَوُلِدتم، وأصبح هذا الماء الخلاصيّ لكم قبراً وأمّا في وقت واحد. وما قاله سليمان في موضع آخر يمكن تطبيقه عليكم، إذ هو قـال : "للـولادة وقت وللمـوت وقت" (جامعـة 3/2) ؛ ولكن الأمـر إنعكس بالنسـبة لكم : وقت للموت ووقت للولادة. أو بالحري آنٌ واحد حقّق

الإثنين معاً : في الوقت الذي مُتم كان ميلادُكم.

5 – الموتُ الرمزي والخلاصي الحقيقي

يا لَه من أمر عجيب مُدهش ! إننا لم نمت حقاً ولم ندفن حقاً ولم نصلب ونقم حقاً. وإن كان التمثيل صورياً إنما الخلاص تمَّ حقاً. لقد صُلب المسيح فعلاً ودُفن فعلاً وقام فعلاً من الموت. فكل هذه النعمة أُعطيت لنا حتى اذا نحن اشتركنا في آلامه بتمثيلها، ننعم بالخلاص الحق. يا لَلمحبة غير المحدودة للبشر ! يُسمَّر المسيح في قدميه ويديه الظاهرتين ويتحمّل العذاب، ويمنحني بهذه المشاركة أن أحصل على نعمة الخلاص بدون مشقة ولا عذاب !

6 – نِعم العماد الثلاث

فلا يظننّ أحد أن العماد ليس إلاّ نعمة مغفرة الخطايا والتبني الإلهي، مثل عماد يوحنا الذي كان يمنح مغفرة الخطايا. أما نحن الذين تعلّمنا بدّقة، فنعلم أن العماد، وإن كان لتطهير الخطايا والمشاركة في موهبة الروح القدس، إنما هو أيضاً صورة لآلام المسيح فينا. لذلك أعلن القديس بولس من قريب : "أوَ تجهلون أنّا، وقد إعتمدنا في يسوع المسيح، إنما إعتمدنا في موته، فدُفنا معه في المعمودية لنموت فتحيا" (رومه 6/3 – 4). وهذا ما كان يقوله بولس للذين كانوا يؤكّدون أن العماد يمنح مغفرة الخطايا والتبني، ولكنه لا يُشركنا في آلام المسيح الحقيقية بنوع من الامتثال.

7 – المشاركة في آلام المسيح

يجب أن نتعلّم أن كل ما تحمّله المسيح من عذاب، قد تحمّله من أجلنا ولأجل خلاصنا ؛ وقد تعذّب فعلاً لا ظاهرياً، ولكي نشاركه في آلامه. ولذلك يعلن بولس بكل وضوح : "لأننا، اذا كنا غرسنا

معه على شبه موته، فنكون على شبه قيامته أيضاً"! (رومه 6/5). وحسناً قال : "قد غُرسنا معه" ؛ فبما أن الكرمة الحقيقية (يو 15/1 ـ 8) غُرست هنا، فنحن أيضاً، إذ نشترك بمعمودية موته، نصبح غرسة واحدة معه. وأرجوك أن تنتبه إلى كلمات الرسول : إنه لا يقول : "إذا كنا غرسنا معه في موته" بل "على شبه موته". لأن المسيح مات فعلاً، ونفسه انفصلت عن جسده فعلاً، ودفنه كان حقيقة واقعية، إذ لُفَّ جسده بكتّان نقي، (متى 27/59)، وكانت قصّته كلّها واقعية. أما بالنسبة إلينا فالحالة تختلف، إذ كان موتُنا شبهَ موته وآلامنا كانت شبه آلامه ؛ ولكنّ خلاصنا لم يكن شبه خلاص، إنما خلاصاً حقيقياً.

8 – إحفظوا هذه التعاليم

هذه التعاليم تكفي، فاحفظوها في ذاكرتكم، لكيما أستطيع، أنا غير المستحق، أن أقول عنكم : "أن أقول عنكم : "إني أُحبكم لأنكم تذكروني في كل أمر وتحافظون على التقاليد كما سلّمتها اليكم" (1 كور 11/2). قادر الله الذي أخرجكم من عداد الموتى وأعادكم الى الحياة (رومه 6/13) أن يمنحكم أن تسلكوا في حياة جديدة (رومه 6/4)، لأنه له المجد والقدرة، الآن والى أبد الدهور. آمين.

العظة الحادية والعشرون، الثالثة في الأسرار

في مسحة الميرون

"أما أنتم فقد قبلتم المسحة من القدوس، وحصلتم جميعاً
على المعرفة، كتبت اليكم، لا لأنكم تجهلون الحق، بل
لأنكم تعرفونه ؛ وما من كذبة تأتي من الحق ... أجل
استقرّوا فيه الآن، يا أبنائي الصغار، فاذا ظهر كما واثقين
كل الثقة ولن نخزى في بُعدنا عنه عند مجيئه"

(1 يو 2/20 – 28).

1 – قبلتم مسحة المسيح أي الروح القدس

هـا انكم "اعتمـدتم في المسيح ولبستم المسيح" (غلا 3/27)، فأصبحتم على مثال صورة المسيح ابن الله (رومة 8/29). لأن الله الذي اختارنا لأن نكون أبناء بالتبني (أفسس 1/5) جعلنا على صورة جسد المسيح المجيد (فيلبي 3/21). وبما أنكم أصبحتم شركاء المسيح (عبر 3/14)، فأنتم مدعوّون بحق "مسحاء". وعنكم قال الله : "لا تمسّوا مسحائي" (مز 104/15). انكم أصبحتم مسحاء بتلقيكم ختم الروح القدس.

كل شيء تمَّ فيكم بالامتثال، بما أنكم صورة المسيح. وعندما تعمّد المسيح في نهر الأردن، ومنح المياه ملامسة ألوهيته، صعد منها،

فحلّ الروح القدس بذاته عليه، واستقرّ المشابه على المشابه له. وأنتم كذلك، عندما خرجتم من بركة المياه المقدسة، قبلتم المسحة (الميرون)، وهي الصورة الحقيقية لمسحة المسيح، وأعني بها الروح القدس الذي تحدّث عنه الطوباوي اشعيا إذ تنبّأ عنه وتكلّم

على لسان الرب قائلاً : "إن روح السيّد الرب عليّ، لأن الرب مسحني وأرسلني لأُبشِّر الفقراء" (أشعيا 61/1 ؛ لو 4/18).

2 – المسيح مسحة الروح القدس

لأن المسيح لم يُمسح بزيت أو بدهن مادّي على يد إنسان، لكن الآب الذي سبق واختاره ليكون مخلّص العالم اجمع، مسحه بالروح القدس، على حدّ قول بطرس : "... يسوعَ الناصري الذي مسحه الله بالروح القدس" (أعمال 10/38). كذلك أعلن النبيّ داود : "عرشُكَ يا الله الى الدهر والأبد، وصولجان مُلكك صولجان استقامة، احببتَ البّر وأبغضت النفاق، لذلك مسحك إلهك يا الله بدهن البهجة أفضل من شركائك" (مز 44/7 – 8 ؛ عبر 1/8 – 9). لقد صُلب المسيح وقُبر وقام فعلاً، بينما أنتم في العماد اعتُبرتم جديرين بأن تُصلبوا وتُدفنوا وتقوموا معه على مثاله، وكذلك هي الحال بما يختصّ بالمسحة. لقد مُسح المسيح بزيت البهجة الروحي أي بالروح القدس ؛ وقد سُمِّي "زيت البهجة" لأنه أصل البهجة الروحية. أما أنتم فمُسحتم بالدهن وصرتم أصحاب وشركاء المسيح.

3 – يُمسح الجسد وتُقدَّس النفس بالروح القدس

ولكن احذر من أن تظن أن الدهن ليس إلاّ دهناً. لأنه كما أن خبز الافخارستيا بعد استدعاء الروح القدس لم يعد خبزاً عادياً، إنما صار جسد المسيح، كذلك هذا الدهن المقدس لم يعد، بعد

الاستدعاء، دهناً بسيطاً عادياً، ولا دهناً مشتركاً، إذا صحّ القول. انه عطاء المسيح وقد أصبح، بحضور الروح القدس، مانحاً لاهوته. بهذا الدهن مُسحت رمزياً على جبينك وسائر حواسَك.

وفي الوقت الذي يُمسح فيه جسدك بالدهن المنظور، تُقدَّس نفسك بالروح القدس المحيي.

4 – معنى المسحة على مختلف أعضاء الجسد

لقد مُسحتم أولاً على الجبين لتُعتَقوا من وصمة العار التي كان يحملها في كل مكان الإنسانُ الأول العاصي (تك 3/7 – 10)، ولكي "تعكسوا بوجهكم المكشوف كأنه مرآة مجدَ الرب" (2 كور 2/15). ثم على الآذان، لتحصلوا على آذان تسمع الأسرار الإلهية، وهي التي قال عنها أشعيا : "أعطاني الرب أُذناً للسمع" (اشعيا 50/4) ؛ والرب يسوع في الانجيل : "من كان له أذنان فليسمع" (متى 11/15). ثم على المناخر، حتى عند قبولكم هذا الدهن يمكنكم القول : "إنّا في سبيل الله عبير المسيح للسائرين في طريق الخلاص" (2 كور 2/15). بعد ذلك على الصدر، لكيما، بعد أن تدرّعتم بدرع البّر، تستطيعوا مقاومة مكايد ابليس (أفسس 6/14 ، 11). وكما أن المخلّص، بعد عماده وحلول الروح القدس

خرج ليحارب العدو، كذلك أنتم، بعد العماد المقدس والمسحة السرّية، وبعد أن تسلّحتم بسلاح الروح القدس، قاوموا قوّة الشرّ وحاربوها قائلين : "إني أستطيع كل شيء بالمسيح الذي يقوّيني" (فيلبي 4/13).

5 – اسم "مسيحي"

وأنتم اذ قُبلتم لهذه المسحة المقدسة دُعيتم مسيحيين، وميلادكم الثاني أيّد شرعية هذه التسمية. وقبل أن تستحقوا نوال العماد ونعمة الروح القدس، لم تكونوا تستحقون هذا الاسم فعلاً، ولكنكم كنتم سائرين في الطريق الذي يؤهلكم لاسم مسيحيين.

6 – مثال المسحة في العهد القديم

ويجب أن تعلموا أن هذه المسحة لها مثالها في العهد القديم. اذ عندما أبلغ موسى أخاه أمرَ الله، ونصّبه رئيس كهنة، غسله بالماء أولاً ثم مسحه (أحبار 8/1 – 12). ودُعي هرون "مسيحاً" بسبب هذه المسحة التي كانت رمزاً. وكذلك عندما نادى رئيسُ الكهنة بسليمان ملكاً، مسحه في جيجون بعد أن جعله يستحّم (3 ملوك 1/33 – 39). وكل هذه الأمور أُجريت لهم على سبيل الرمز. أما لكم فلم تكن رمزاً بل حقيقة واقعية. إذ أن مبدأ خلاصكم يرجع الى ذاك الذي مسحه الروح القدس. هو الباكورة حقاً، وأنتم العجين. "فإن كانت الباكورة مقدسة فالعجين كلّه مقدس" (رومه 11/16 ؛ 1 كور 5/6 – 7).

7 – حافظوا على هذه المسحة بلا دنس

حافظوا على هذه المسحة بلا دنس، فهي تعلمكم كل شيء، شرط أن تقيم فيكم، كما سمعتم ذلك الآن على لسان الطوباوي يوحنا (1 يو 2/27). الذي أعطانا تعليمات حكيمة كثيرة عن هذه المسحة.

هذه المسحة المقدسة صيانة روحية للجسد وخلاص للنفس. فمنذ قديم الزمان تنبأ عنها الطوباوي اشعيا بقوله : "هذا ما سيفعل الرب لجميع الشعوب على هذا الجبل" (اشعيا 25/6).

(وما يسميه "الجبل" هو الكنيسة، كما قال ذلك في موضع آخر مثلاً : "ويكون في آخر الأيام ان جبل بيت الرب يُوطَّد في رأس الجبال" (أشعيا 2/2))، "فيشربون الخمر الصرف، خمر الابتهاج، ويُمسحون بالدهن" (اشعيا 25/6). ولكي تزداد تأكيداً أن هذا الدهن يجب أن يفهم بالمعنى السرّي، يقول : "بلّغ كل ذلك الى الشعوب، لأن تصميم الرب يمتّد الى كل الشعوب" (اشعيا 25/7). وإذ قد مسحتم بهذا الدهن المقدس، فاحفظوه فيكم بلا عيب ولا دنس. تساموا في الأعمال الصالحة، ساعين على ارضاء مبدئ خلاصنا، يسوع المسيح الذي له المجد أبد الدهور. آمين.

العظة الثانية والعشرون، الرابعة في الأسرار

في جسد المسيح ودمه

"إني تلقيت من الرب ما بلّغته إليكم، وهو أن الرب
يسوع، في الليلة التي أسلم فيها، أخذ خبزاً وشكر، ثم
كسره وقال : هذا هو جسدي، إنه من أجلكم. اعملوا
هذا لذكري. وكذلك أخذ الكأس بعد العشاء وقال :
هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. كلما شربتم فاعملوه
ذكراً لي ..."

(1 كور 11/23 – 29)

1 – نحصل على جسد المسيح ودمه في اشتراكنا بالأسرار الإلهية

هذا التعليم للطوباوي بولس يكفي هو أيضاً لإقناعكم بصحة الأسرار الإلهية التي وُجدتم جديرين بالإشتراك فيها، فصرتم هكذا جسداً واحداً ودماً واحداً مع المسيح. فقد أعلن بولس الآن : "إن ربنا يسوع المسيح، في الليلة التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً وشكر، ثم كسره وأعطاه لتلاميذه قائلاً : خذوا فكلوا، هذا هو جسدي. ثم أخذ الكأس وشكر وقال : خذوا فاشربوا، هذا هو دمي" (1 كور 11/23 – 25). بما أن يسوع صرّح بذلك وقال عن الخبز (متى 26/26) "وهذا هو جسدي" ، فمن يتجاسر ويشكّ بعد ذلك ؟ ولما

هو ذاته يؤكد بكلام قاطع : "هذا هو دمي" (متى 26/28)، فمن الذي يعارض ويقول إنه ليس دمه ؟

2 – تحويل المـاء الى خمـر في قانـا مثـال لتحويـل الخمـر الى دم المسيح

لقد سبق له في قانا الجليل أن حوّل الماءَ الى خمر بفعل إرادته (يو 2/1 ـ 11) ؛ أفلا يكون جديراً بالتصديق عندما يحوّل الخمر الى دمه ؟ لقد قام بهذه الآيـة العجيبـة عنـدما دُعي الى عـرس دنيـوي، وعنـدما يهب لأصـدقاء العـريس (مـتى 9/15) أن يتلـذذوا بجسـده ودمه، أفلا نعترف به بالأكثر؟

3 – المناولة تُشركنا بالطبيعة الإلهية

فلنشترك إذن، بكل ثقة، في جسـد المسـيح ودمـه، إنّ جسـده يُعطي لك تحت شكل الخبز، ودمه يُعطي لك تحت شكل الخمر.

وإذ أنت تشترك في جسد المسيح ودمه، تصبح جسـداً واحـداً ودمـاً واحداً مع المسيح. وهكـذا نصـبح نحن "حـاملي المسـيح"، بمـا أن جسده ودمه ينتشران في أعضائنا. وبهذه الكيفية نصـبح، على حـد تعبير الطوبـاوي بطـرس، "شـركاء الطبيعـة الإلهيـة" (2 بطـرس 1/4).

4 – لم يفهم اليهود كلام يسوع بمعناه الروحي

وفيما كان المسيح يتحدّث ذات يوم مع اليهود، قال : "إذا لم

تأكلوا جسدي وتشربوا دمي، فلن تكـون فيكم الحيـاة" (يـو 6/53). أما اليهـود الـذين لم يفهمـوا كلام يسـوع بمعنـاه الـروحي، تشـكّكوا وولّوا عنه، ظناً منهم أن المخلّص يدعوهم الى أكل جسده البشري.

5 – خبز التقدمة مثال الإفخارستيا

وكان أيضاً في العهد القديم خبز التقدمة (أحبار 24/5 ـ 9 ؛ متى 12/4). وبما أن هذا الخبز يعود الى العهد القديم فقد بطل.

على أن في العهد الجديد خبزاً سماوياً وكأس يقدّسان النفس والجسد. إذ كما أن الخبز هو للجسد كذلك الكلمة هو للنفس.

6 – احكموا بحسب الإيمان لا بحسب الحواسّ

فلا تنظر إذن إلى الخبز والخمر كأنهما عنصران طبيعيان ؛ إنما لّجَّسدٌ ودم، كما أكد ذلك المعلّم نفسه. والحق يقال إن الحواس توحي إليك ذلك، فليُعطِكَ الإيمانُ الثقة التامة. لا تحكم في هذا المجال بحسب الذوق، ولكن امتلئ ثقة بحسب الإيمان، أنت الذي وُجد أهلاً لتناول جسد المسيح ودمه.

7 – داود نبيّ الإفخارستيا

وقد بيّن لك الطوباوي داود قوّة هذا السرّ عندما قال : "تُهيءٍّ أمامي مائدة تجاه مضايقي" (مز 22/5). وإليك ما أراد أن يقول :

قبل مجيئك يارب، كان الشيطان قد أعدّوا للبشر مائدة ملّوثة، نجسة (ملاخي 1/7)، مليئة بالقوة الشيطانية. ولكن، بعد مجيئك، أيها السيّد، "هيأتَ أمامي مائدة". ماذا هو يعني غير المائدة

الروحيـة السـرّية الـتي أعـدّها الله لنـا لمواجهـة العـدو ومقاومـة الشياطين؟ وهذا هو الواقع، لأن المائـدة الأولـى كـانت تشـركنا مـع الشـياطين، أمـا هـذه المائـدة فتشـركنا مـع الله. "مسـحت رأسـي بالدهن" (مز 22/5). لقد مسـح رأسـك بـزيت على جبينـك بسـبب الختم الذي تسلّمته من الله لتصبح سمَة الختم وشخصاً مكرَّسا لله".

"وكأسك التي أسكرتني كم هي عذبة" ! (مز 22/5). هـذه الكـأس المذكورة هي التي أخذها يسوع في يديـه وشـكر وقـال : "هـذا هـو دمي المُـراق من أجـل جماعـة كثـيرة لغفـران الخطايـا" (مـتى 26/28).

8 – أشار سليمان الى نعمة الإفخارستيا

ولـذلك يقـول أيضـاً سـليمان مشـيراً الى هـذه النعمـة، في سـفر الجامعة : "تعـالَ كـلُ خـبزَك بفـرح" (جامعـة 9/7 – 8)، الخـبز الروحي بالطبع. "تعالَ"! هذا يعـني الـدعوة الى الخلاص، الـدعوة الى السعادة. "واشرب خمرك بنفس مسرورة"، الخمر الروحية.

"واسـكب الـزيت على رأسـك"، أنت تـرى كيـف أنـه يشـير الى المسـحة السـرّية ! "ولتكن ثيابـك بيضـاء في كـل حين، لأن الـرب رضـي عن أعمالـك" (جامعـة 9/1 – 2). أمـا الآن، وقـد خلعت ثيابك القديمة ولبست البياض الروحي، يجب أن تظـلّ دائمـاً ثيابُـكَ بيضـاء.

أنا لا أُريد أقول إنه يجب أن تلبس دائماً ثيابـاً بيضــاء، بـل يجب أن تكون مرتدياً النقاوة الحقّة والبهاءَ الروحي، لكي يمكنك القـول مـع الطوبـاوي أشـعيا : "تبتهج نفسـي في الـرب، لأنـه ألبسـني ثـوب الخلاص "وشملني برداء البّر والبهجة" (أشعيا 61/10).

9 ـ ليتك تعكس، كما في مرآة، مجد الرب

الآن وقد تعلّمت واقتنعت أن ما يبدو خبزاً ليس خبزاً، وإن يكن له طعم الخبز، ولكن جسد الرب ؛ وإن ما تبدو خمراً ليست خمراً، وإن يكن طعمها كذلك، ولكن دم المسيح. وأنت تعلم أيضاً أن داود كان يترّنم بهذا الصدد : "الخبز يسند قلب الإنسان، والزيت يلمع على وجهه إبتهاجاً". (مز 103/15). ثّبت إذن قلبك بتناولك هذا الخبز من أنه خبز روحاني، وأبهج وجه نفسك.

ليتك بوجه مكشوف وضمير نقي تعكس، كما في مرآة، مجد الرب (2 كور 3/18)، وتزداد مجداً على مجد في المسيح يسوع ربنا، الذي له الإكرام والقدرة والمجد أبد الدهور. آمين.

العظة الثالثة والعشرون، الخامسة في الأسرار

في القداس الإلـهي

"فألقوا عنكم كل خبث وغش ورياء وحسد ونميمة.

وارغبوا كالأطفال الرَضع في اللبن الروحي الصافي لتنموا به

من أجل الخلاص، اذا كنتم قد ذقتم كيف أن الله طيّب.

اقتربوا منه فهو الحجر الحيّ الذي رذله الناس، فاختاره

الله وكان عنده كريماً. وأنتم أيضاً حجارة حية، فقدّموا

أنفسكم لبناء بيت روحاني للكهنوت المقدس كيما تقربوا

ذبائح روحية يقبلها الله ...".

(1 بطرس 2/1 – 6)

1 – الصلة بين ما سبق وما سيأتي

بمحبة الله للبشر تعلّمتم في العظات السابقة كلّ ما يجب معرفته عن العماد والمسحة والمشاركة في جسد المسيح ودمه. وعلينا الآن أن ننتقل الى ما يلي، وأن نتوّج اليوم المبني الذي أقمناه لمنفعتكم الروحية.

2 – غسل الأيدي يرمز إلى البرارة

لقد رأيتم الشماس يقدّم الماء للأسقف والكهنة المحيطين، بمذبح

الله. إنه لم يعطِ الماء لقذارة الجسد. ليس هذا. لأننا في البداية عندما دخلنا الكنيسة لم تكن أجسادنا قذرة. ولكن غسل اليدين يضير الى ضرورة تطهيرنا من كل خطايانا وآثامنا. فكما أن الأيدي هي رمز الحركة، فبغسلها نظهر طهارة أعمالنا وصلاحها. ألم تسمع الطوباوي داود يفسّر هذا السّر ويقول : "أغسل يديّ في

وسط الأطهار، وأطوف بمذبحك يا رب" (مز 25/6). فغسل الأيدي معناه إذن محو الخطايا.

3 – قبلة السلام

ثم يعلن الشماس : "صافحوا بعضكم بعضاً، ولنتبادل قبلة السلام". لا تتصوّر أن هذه القبلة هي كتلك التي يتبادلها الأصدقاء العاديون في الساحات. كَلاّ ! إنها ليست من هذا النوع ! هذه القبلة توحّد النفوس بعضها مع بعض وتفترض نسيان جميع الإهانات. هذه القبلة تعني أنَّ الأنفس تتّحد وتُقصي كل حقد.

لذلك يقول المسيح : "اذا كنت تقرّب قربانك عند المذبح وذكرت هناك أن لأخيك عليك شيئاً، فدع قربانك عند المذبح هناك، واذهب قبل ذلك فصالح أخاك، ثم عد فقرّب قربانك" (متى 5/23 – 24). فهذه القبلة هي إذن مصالحة، ولهذا السبب هي مقدّسة كما أعلن ذلك الطوباوي بولس في موضع : "سلّموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة" (1 كور 16/20) ؛ وبطرس : "لِيُسَلِّم بعضكم على بعض بقبلة المحبة" (1 بطرس 5/14).

4 – إرفعوا قلوبكم الى العلاء

وبعد ذلك يقول الكاهن بصوت عالٍ : "إرفعوا قلوبكم الى العلاء". لأنه حقاً يجب علينا في هذه الساعة الرهيبة أن نرفع قلبنا الى الله

وألاّ نتركه على الأرض منهمكاً بالهموم الدنيوية. فالكاهن يأمرنا في تلك الساعة بأن نطرح عنا الهموم، لا سيما الهموم المنزلية، وأن نرفع قلبنا الى السماء نحو الله المحب البشر. حينئذٍ تجيبون : "إنها لدى الرب". وأنتم بهذا الاعتراف تعلنون أنكم أطعمتم الأمر. فلا يقل أحد من الحاضرين بفمه : "إنها لدى الرب"، بينما فكره مشغول بهموم هذه الحياة. من واجبنا ولا شك أن نذكر الله في كل حين. فاذا استحال علينا ذلك بالنظر لضعفنا البشري، فعلينا أن نذكره على الأقل في هذه الساعة.

5 – واشكروا الرب

ثم يقول الكاهن : "لِنشكرنّ الرب". أجل يجب علينا أن نشكر الرب، لأنه، على الرغم من عدم استحقاقنا، دعانا الى مثل هذه النعمة العظيمة، وصالحنا معه بعد أن كنا اعداءه، لأنه وجدنا جديرين لروح التبني (رومه 8/15). فتجيبون : "ذلك حق وعدل"، لأننا عندما نشكر الله نقوم بعمل حق وعادل. بينما هو لا يفعل العدل فقط، بل يتجاوزه الى حدّ غريب، عندما يغمرنا بالخيرات ويجعلنا جديرين بمثل هذه الهبات العظيمة.

6 – جميع الخلائق تشكر الرب

ونذكر بعد هذا السماءَ والأرض والبحر، الشمس والقمر والنجـوم، وكـلّ الخليفـة العاقلـة وغـير العاقلـة، المنظـورة وغـير المنظـورة. وكذلك الملائكة ورؤساء الملائكة، القـوّات والسـيادات، الرئاسـات والسـلاطين، والعـروش والشـاروبيم ذوي الوجـوه الكثـيرة (حـز 10/21). ونقول بحمـاس مـع داود : "عظّمـوا الـرب معي" (مـز 33/4). ونذكر كذلك السيرافيم الذين رآهم اشعيا بـالروح القـدس، قـائمين حـول عـرش الله، فبجنـاحين يسـترون وجههم وبجنـاحين يسترون أرجلهم وبجناحين يطيرون قائلين : "قدوس قدوس قدوس رب الجنـود" (اشـعيا 6/2 – 3). ونحن نـرنّم هـذا النشـيد الـذي وصـل إلينـا من السـيرافيم، حـتى، باشـتراكنا بهـذا النشـيد، نتحِّد بالجيوش السماوية.

7 – الاستحالة تحصل باستدعاء الروح القدس وصلاة المؤمنين

ثم بعـد أن نكـون تقدّسـنا بهـذه الأناشـيد الروحيّـة، نتوّسـل الى الله المحب البشر أن يرسل روحه القـدوس على القـرابين الموضـوعة لكي يجعل الخبز جسدَ المسـيح، والخمـرَ دم المسـيح. لأن كـل مـا يسمّه الروح القدس يتقدّس ويتحوّل.

8 - الإبتهالات من أجل الكنيسة وجميع المحتاجين

ثم، بعد إتمام الذبيحة الروحية والعبادة غير الدموية على هذه

الضحية الاستعطافية، نتوّسل الى الله من أجل السلام المشترك في الكنائس، من أجل التوازن في العـالم، من أجـل الملـوك والجيـوش

والحلفاء، من أجل المرضى والمحزونين، وبوجه عام، من أجل جميع الذين هم في حاجة الى معونة، نصلي جميعنا ونقدّم هذه الذبيحة.

9 - تذكار الراقدين

وبعد ذلك، نذكر أيضاً جميع الذين رقدوا : أولاً الأجدادَ والأنبياء، والرسل والشهداء، لكيما يتقبل الله طلباتنا بصلواتهم وشفاعاتهم. ثم نصلّي من أجل الآباء القديسين والأساقفة الذين رقدوا، وعموماً لأجل جميع الذين رقدوا قبلنا ؛ ونحن مقتنعون بأن هنالك فائدة عظيمة للأنفس التي لأجلها نرفع هذه التوّسلات، بينما تقام الذبيحة المقدسة الرهيبة.

10 - الصلاة لأجل الراقدين تفيدهم

وأنا أودّ أُقنعكم في هذا الصدد بمَثَل، لأني أعلم أن هناك كثيرين مَن يقولون : ما الفائدة لنفس خرجت من هذا العالم، خاطئة كانت أو غير خاطئة، ان نذكرها وقت التقدمة الافخارستية؟ لنفرض مثلاً أن ملكاً نفى اشخاصاً أهانوه، وبعد ذلك أتى أهل المنفيين ليقدّموا للملك تاجاً صاغوه خصيصاً له ليعفو عن المحكومين، ألا يستجيب الملك طلبهم بترك القصاص؟ كذلك نحن، عندما نتوّسل الى الله من أجل الراقدين، حتى ولو كانوا خطأة، لا نصيغ له تاجاً،

بل نقدّم المسيح المقرّب لأجل خطايانا، وهكذا نسترضي الله المحبّ البشر لأجلهم ولأجلنا.

11 - الصلاة الربّانية وشرحها

وبعد ذلك، تقول هذه الصلاة التي سلّمها المخلّص لأخصّائه التلاميذ، وبضمير نقيّ تُعطي اللهُ اسم الآب وتقول : "أبانا الذي في السماوات ..." (متى 6/9 - 13). يا لعظمة محبة الله للبشر ! فالى الذين إبتعدوا عنه وسقطوا في هاوية الرذائل منحهم غفران الخطايا ونصيباً وافراً من نعمه، بحيث أنهم يدعونه أبا " أبانا الذي في السماوات" ؛ السماوات هي أيضاً هؤلاء الذي يحملون صورة العالم السماوي، والذي يسكن الله فيهم ويقيم.

12 - ليتقدّس اسمك

"ليتقدّس اسمك". إن اسم الله مقدّس بطبيعته، إن قلنا ذلك أو لم نقل. ولكن بما أن اسم الله يمتهنه أحياناً الخطأة، كما هو مكتوب : "إن إسمي يُجدّف عليه بسببكم بين الأمم" (اشعيا 52/5 ؛ رومه 2/24)، فنحن نطلب أن يتقدّس اسمُ الله فينا، لا بمعنى أن يصبح مقدساً – كأنه لن يكن مقدساً من قبل – بل أن يصبح مقدساً فينا نحن الذين يسعون الى تقديس نفوسهم وإلى القيام بأعمال تليق بقداستهم.

13 - ليأتِ ملكوتك

"ليأت ملكوتك". يليق بالنفس الطاهرة أن تقول بكل ثقة : "ليأتِ ملكوتك". لأن الذي يسمع بولس يقول : فلا تسودَنّ الخطيئة

جسدكم الفاني" (رومة 6/12)، ويعمل على تطهير نفسه بالفعل والفكر والقول، يستطيع أن يقول : "ليأتِ ملكوتك".

14 - لتكن مشيئتك

"لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض". ملائكة الله الطوباويون الإلهيون يصنعون مشيئة الله، كما يرّنم ذلك داود : "باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوّة، العاملين بكلمته" (مز 102/20) ؛ عندما تصلّي بقوّة تريد أن تقول هذا : كما أن مشيئتك تتمّ في ملائكتك، فلتتمّ كذلك فينا على الأرض، يا سيدّ.

15 - خبزنا كفافنا أعطنا اليوم

"خبزنا كفافنا أعطنا اليوم". الخبز العادي ليس بجوهري، الخبز الجوهريّ هو هذا الخبز المقدس الذي يوزع لغذاء النفس.

هذا الخبز لا ينزل الى الجوف ولا يُدفع الى المخرج (متى 15/17)، لكنه يتوّزع في كل بُنيتك لفائدة النفس والجسد. أما كلمة "اليوم" فتعني في الواقع كل يوم، كما يقول ذلك بولس أيضاً : "ما دام الوقت يُدعى اليوم" (عبر 3/13).

16 – إغفر لنا خطايانا

"واعفِنا مما علينا كما أعفينا غيرنا مما لنا عليه". الحق أن لدينا خطايا كثيرة، لأننا نسقط بالقول والفكر ونرتكب أعمالاً كثيرة نستحقّ عليها العقاب. "اذا زعمنا أننا بلا خطيئة، خدعنا أنفسنا ولن نكن على الحق"، كما يقول يوحنا (1 يو 1/8). ولذلك نحن نساوم الله ونطلب إليه أن يغفر خطايانا، كما نحن من جهتنا نترك لقريبنا ما لنا عليه. فلنفكّر بما نتلقّى مقابل ما نعطي، ولا ننتظر ولا نتمهّل في أن نغفر بعضنا لبعض. إن الاساءات الى الله فكبيرة، ولا سبيل لنا غير محبته للبشر ؛ فاحذر إذن من أن تمنع الله، بسبب ما لحقَ بك من إساءات صغيرة طفيفة، أن يغفر لك ما ارتكبته نحوه من ذنوب كبيرة.

17 – ولا تُدخلنا في تجربة

"ولا تدخلنا في تجربة" يا رب. هل يُعلّمنا الرب أن نطلب ألاّ نُجرَّب أبداً؟ كيف إذن يقول في موضع آخر : "الذي لم يُختبر يعلم قليلاً" ؟ (سيراخ 34/10 ؛ رومه 5/3 – 4). وأيضاً : "أُنظروا، يا إخوتي، إلى ما يصيبكم من مختلف المحن نظركم الى دواعي الفرح الخالص" (يعقوب 1/2). ولكن ربما هذه الكلمات "لا تدخلنا في تجربة" تعني : لا تدع التجربة تغمرنا وتجرفنا، باعتبار التجربة سيلاً عارماً يصعب اجتيازه. فالذين لا تغمرهم التجربة يجتازون السيل كالسبّاحين الماهرين الذين لا يتركون

التيار يجرفهم ؛ أما الباقون الذين لا يُجيدون السباحة فيغرقون. يهوذا مثلاً، حالما نزل في تيار البخل، لم يتمكن من السباحة،

فغرق جسدياً وروحياً واختنق. ودخل بطرس في تجربة نكران سيّده، ولكنه لم يغرق، بل سبح بشجاعة وتخلّص من التجربة. واسمع في موضع آخر جوقةَ القديسين الذين لم يُقهروا، وهم يؤدّون الشكر لكونهم أُنقذوا من التجربة : "لقد بلوتنا يا الله، ومحصّتنا تمحيص الفضّة. أدخلتنا المصيدة، جعلت ضغطاً على متوننا. أركبت أناساً على رأسنا. دخلنا النار والماء، ثم أخرجتنا الى ريف" (مز 65/10 –- 12). أُنظر كيف أنهم يبتهجون لاجتيازهم التجربة سالمين ! "لقد أخرجتنا الى مكان راحة" ، معناه أنهم نجوا من التجربة.

18 – لكن نجنّا من الشرير

" لكن نجنّا من الشرير". لو كانت عبارة : "لا تدخلنا في تجربة" تعني ألاّ نتجرّب أبداً، لَما أضاف الرب : "ولكن نجنّا من الشرير". الشرير هو عدونا إبليس، ونحن نطلب النجاة منه. ثم عند نهاية الصلاة تقول : "آمين" أي "فليكن كذلك" ، مما يعني أنك تصدّق على الطلبات في هذه الصلاة التي علّمنا إياها الله.

19 – الأقداس للقديسين

وبعد ذلك يقول الكاهن : "الأقداس للقديسين". القرابين المقدّمة على الهيكل مقدّسة، لأنها تلّقت حلول الروح القدس عليها.

وأنتم كذلك قدّيسون، بما أنكم وُجدتم جديرين لاقتبال الروح القدس. فالأقداس للقديسين، هذا يتفق تماماً. ثم تقولون : "قدوس واحد، رب واحد، يسوع المسيح". وفعلاً ليس هناك إلاّ قدوس واحد، قدوس من طبيعته. أما بالنسبة إلينا، فنحن قديسون كذلك، لا بالطبيعة ولكن بالمشاركة وبممارسة الفضائل والصلاة.

20 – ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب

ثم تسمعون صوت المرّنم يدعوكم، بنغم إلهي، الى تناول الأسـرار المقدسة : "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب" (مز 33/9).

لا تسلّموا الحكم الى حلقكم الجسـدي، ولكن الى الإيمـان الـذي لا يشكّ. لأنكم عندما تتذوقون لا تـذوقون خـبزاً وخمـراً، بـل جسـد المسيح ودمه اللذين يمثّلانه.

21 – كيفية التقرّب لتناول جسد الرب ...

وعنـدما تقـترب، لا تتقـدّم باسـط اليـدين والأصـابع منفـردة، ولكن إجعل من يدك اليسرى عرشاً ليدك اليمنى، لأن هذه ستتقبّل الملـك، وفي راحة يدك تقبّل جسد المسيح قـائلاً : "آمين". وبعـد أن تلمس عينيك بهذا الجسد المقـدس لتقديسـهما، تنـاول. وأحـرص على ألاّ يسقط جزء منه (على الأرض) لأنك اذا اسقطت جزءاً منـه فكأنمـا يُبتَر منك أحد أعضائك. قل لي : إن أعطاك أحد بعض شـذور من ذهب، هلاّ تحافظ عليها بكل عناية خوفاً من أن تفقد منها جزءاً

فيصيبك ضرر؟ فكم بالحري يجب عليك أن تعني بعدم فقد فُتات من هذا الخبز الذي هو أثمن من الذهب والأحجار الكريمة.

22 - ... ودم الرب

وبعد تناول جسد المسيح، إقترب من كأس دمه. لا تمدّ يديك، بل احنِ رأسك دلالة على العبادة والإجلال، قائلاً : "آمين". وتقدّس بتناولك دم المسيح. وبينما شفتاك رطبة إلمسها بأصابعك وقدّس

عينيك وجبينك وسائر حواسك. وفيما تنتظر نهاية الصلاة، أشكر الله الذي أهّلك لهذه الأسرار العظيمة.

23 – حافظوا على القداسة ليوم مجيء الرب

حـافظوا بكـل أمانــة على هـذه التقاليـد، واحفظـوا أنفسـكم من كـل خطيئــة. ولا تبتعـدوا عن التنــاول، ولا تحرمـوا أنفسـكم، بـدنس الخطيئة، من هذه الأسرار المقدسة الروحيـة. "قدَّسـكم إلـهُ السـلام نفسه تقديساً تاماً، وحفظكم سالمين روحاً ونفساً وجسداً يـوم مجيء ربنـا يسـوع المسـيح" (1 تسـا 5/23)، الـذي لـه المجـد والإكـرام والقدرة، مع الآب والروح القدس، الآن وإلى أبد الدهور. آمين.

صدر حتى الآن، في سلسلة **"أقدم النصوص المسيحية"** :

أولاً : سلسلة النصوص اللاهوتية

1 – اقليمندوس الروماني. راعي هرماس. تعريب الأب جورج نصور.

2 – القديس باسيليوس الكبير : مقال عن الروح القدس.

تعريب الأرشمندريت أدريانوس شكور ق . ب .

3 – مار افرام السرياني : منظومة الفردوس . تعريب الأب روفائيل مطر اللبناني.

ثانياً : سلسلة النصوص الليتورجية

1 – الديداكيه. التقليد الرسولي . نافور ادي وماري. خولاجي سيرابيون. عهد الرب. تعريب الأبوين جورج نصور ويوحنا ثابت.

2 – كيرلّس الأورشليمي : العظات . تعريب المرحوم الأب جورج نصور.